حقائق وأساسيات



الإيمان المسيحي

حقائق وأساسيات
الإيمان المسيحي

تأليف: ر.ك. سبرول
ترجمة: نكلس نسيم سلامة

Essential Truths of the Christian Faith

Publisher of the Arabic Edition
Lighthouse Book Centre:
17, Mourad El Sharei St.,
Saint Fatima, Heliopolis, Cairo.
Tel: (202) 2495030 - (202) 2403848
Fax: (202) 5191077

حقوق النشر للنسخة العربية
مكتبة المنار
١٧ شارع مراد الشريعي،
سانت فاتيما، مصر الجديدة، القاهرة.
تليفون: ٢٤٠٣٨٤٨-٢٤٩٥٠٣٠
فاكس: ٥١٩١٠٧٧

الأعمال الفنية شركة ماستر ميديا
تليفون: ٣٥١٤٥٢٠ / فاكس: ٣٧٥٦٢١٥
طباعة: دار نوبار للطباعة
ت: ٤٣٠٨٣١٦ - ف: ٤٣٠٠٦٤٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٠/٣٨٢١

محتويات الكتاب

تمهيد

أورلاندو

يوليو ١٩٩٢

كل مسيحي يعد مفكرا لاهوتيا. فدائما ما ننخرط في محاولة تعلم الأمور المتعلقة بالله. ولسنا كلنا بالطبع لاهوتيين محترفين أو أكاديميين، بل لاهوتيين جيدين أو أردياء.

وعبارة "أردياء" ليست بالشيء البسيط. فرسالة بطرس الثانية تحذرنا بأن الهرطقات تدمر شعب الله، فضلا عن أنها تجديف ضده. وهي مدمرة لأن الفكر اللاهوتي يلمس كل نواحي حياتنا.

ويقول الكتاب المقدس إنه كما يفكر الإنسان يكون. ويبدو هذا قولا غريبا. وكأن كاتب السفر يتخبط في أقواله. كما يبدو أنه يربك العقل والقلب. ونحن نربط في العادة بين الفكر والمشاعر والقلب. ولذا، ماذا يعني القول بأن الإنسان يفكر في قلبه؟ وعبارة "يفكر في قلبه" تشير إلى تفكير عميق. وهناك أفكار كثيرة تخطر على الفكر بإيجاز دون أن تنفذ إلى القلب. ومع ذلك فإن تلك الأفكار التي تتملكنا وتنفذ إلى أعماقنا، هي التي تشكل حياتنا، فنحن بحسب فكرنا. وحين تفسد أفكارنا، تفسد بالتالي حياتنا.

ونعرف جميعا أن الناس بمقدورهم أن يقولوا قانون الإيمان دون أي خطأ، ويحصلوا على درجة "امتياز" في الدراسات اللاهوتية في الوقت الذي يعيشون فيه بعيدين عن الله. ذلك أننا نستطيع أن يكون لنا فكر لاهوتي سليم، ومع ذلك نعيش حياة خاطئة. فالفكر اللاهوتي السليم ليس بكاف لحياة التقوى. لكنه مع ذلك يشكل شرطا لها. فكيف يتأتى لنا أن "نعمل" الحق دون أن "نعرف" أولا ما هو الحق؟

وما من مسيحي يمكنه أن يتجنب الفكر اللاهوتي. فكل مسيحي له فكره اللاهوتي. فالموضوع إذا ليس هو: هل نحن نريد أن يكون لنا

فكر لاهوتي؟ فهذا أمر مسلم به. فالموضوع الحقيقي هو، هل لدينا فكر لاهوتي صحيح؟ هل نتبنى تعليماً صحيحاً أم خاطئاً؟

وهذا ليس كتاباً لاهوتياً رسمياً. بل هو مدخل علماني لأساسيات تعاليم المسيحية. فلكي نفهم رسالة الكتاب المقدس، علينا أولاً فهم المفاهيم التي تُعلن بها الرسالة. ولذا فإن هدف هذا الكتاب هو أن يقدم للقارئ المفاهيم الأساسية التي تكوّن معاً الرسالة الكتابية.

ولقد توضح كل مفهوم بأجزاء صغيرة موجزة. واقتُرحت شواهد كتابية لتعطي المعالجة الهيكلية لكل مفهوم. والكتاب يُعد كتاباً أساسياً، كما يُعد في الوقت ذاته كتاباً أولياً. فقد صُمم بحيث يكون بسيطاً وليس مفرطاً في التبسيط. ولقد حاولت أن أبلور في صفحات قليلة جوهر المفاهيم اللاهوتية، التي تستحق كل منها أن يُكتب عنها كتاباً كاملاً لسبر أعماقها.

والذين يقرأون هذا الكتاب ويدرسونه، لن يصبحوا خبراء في اللاهوت. غير أنه ستكون لديهم دراية بالمفاهيم الرئيسية التي تشكل إطار فكر لاهوتي متكامل. وآمل أن يحفز هذا الكتاب كل من يقرأه على أن يبدأ دراسة لاهوتية أكثر عمقاً، وهذه مهمة تستغرق العمر كله.

وأنتهز هذه الفرصة لأقدم شكري لويندل هولي من دار تيندال لاقتراحه هذا العمل، ولدوناماك لقيامها بإعداد المخطوطة، ولدافيد فريلاند، لمساعدته بالرسومات، وإلى اين آر. سي، لبراعته التحريرية.

مقدمة

في عقد الثمانينيات، قام معهد جالوب بدراسة شاملة ومكثفة عن تأثير الدين على الحياة الأمريكية. وعلى الرغم من أن الاتجاهات والميول الجامحة التي أسفرت عنها الدراسة تم نشرها وتقييمها في مجالات عديدة، إلا أن كم المعلومات التي جُمعت لم تُعلن بصفة عامة. ذلك أن جورج جالوب قدم المعلومات لمجلة "المسيحية اليوم" Christianity Today والتي قامت بدورها بانتقاء عدد قليل من اللاهوتيين لفحص هذه المعلومات وتقييم أهميتها. ولقد كنت من بين المجموعة التي كان لها حظ تحليل البيانات الكاملة.

وكانت نتائج الدراسة مفزعة بقدر ما كشفت عن الكثير من الحقائق. ومن بين أكثر العناصر الجديرة بالذكر: (١) أكثر من ستين مليوناً من الأمريكيين قالوا إنه كان لهم اختبار تجديد شخصي، (٢) نسبة مئوية عالية وغير عادية من الأمريكيين قالوا إنهم يعتقدون أن الكتاب المقدس هو كلمة الله.

ومع ذلك، وبالتقابل مع هذه التأكيدات، هناك الاكتشاف الواضح بأن الأمريكيين، حتى الإنجيليين منهم، يجهلون إلى حد يُرثى له مضمون الكتاب المقدس، بل وأكثر جهلاً بتاريخ المسيحية والفكر اللاهوتي المسيحي الكلاسيكي. ولعل أخطر ما في الأمر إدراك أن غالبية الناس الذين قالوا إنهم يتمتعون بإيمان كتابي لم يكن لهم تأثير يُذكر على هياكل الثقافة الأمريكية وقيمها. وعلى سبيل المثال، توحي بعض الدراسات الحديثة بشأن أخلاقيات الجنس وموضوع الإجهاض أن الفرق في السلوك بين المسيحيين الإنجيليين، والدنيويين فرق ضئيل للغاية. وبعبارة أخرى، الرسالة الواضحة لهذه الدراسات هي: "الإيمان" المسيحي لم يحدث فرقاً يذكر في حياة الناس وفي الثقافة الأمريكية. أما مدى دقة هذه الدراسات فهذا موضع جدل.

كيف يمكن أن يحدث هذا؟ ثمة احتمال واحد خطر على فكري بسرعة. لعل كثيرين من أولئك الذين ادعوا أنه كان لهم اختبار تجديد كانوا على خطأ، أو كانوا يكذبون بشأن تجديدهم، ومع ذلك، لو أن نصف الذين قالوا إنهم وُلدوا ثانية كانوا محقين، لتعين علينا استنتاج أن أمريكا اختبرت نهضة أكثر انتشاراً من النهضة الكبرى.

ولو كانت هذه النهضة الدينية قد حدثت بالفعل، لتوجب علينا أن نتساءل، لماذا لا يوجد سوى دليل ضئيل على وجود تأثير على الثقافة.

ويبدو أنه كانت لدينا نهضة كبيرة لم يكن من نتيجتها إصلاح يذكر، والواقع أن التناقض بين النهضة الروحية والإصلاح سيكون أعظم ما يحدث على الإطلاق في تاريخ المسيحية. ومثل هذه النهضة هي مجرد خيال، وهي شيء غير منطقي. ذلك أن الذي تم إنعاشه ليس الإيمان الكتابي الحقيقي.

وثمة وجهة نظر أكثر تفاؤلاً بالنسبة لهذا الأمر الغريب تقول: السبب الرئيسي في إننا لا نلاحظ دليلاً يُذكر لتأثير النهضة الروحية على الحياة والثقافة أن الوقت مبكر جداً لملاحظته. فملايين الناس الذين ولدوا ثانية ما زالوا في طفولتهم الروحية، وحين يصلون إلى مرحلة النضج الروحي فمن المؤكد أن تأثيرهم على الأمة سيكون ملموساً.

يميل المراهقون في الثقافة الدنيوية إلى أن يكون لهم تأثير قوي في تشكيل القيم، ولكنه ليس تأثيراً كبيراً مثل الذي يحدثه الكبار ممن يشغلون مراكز القوة والتأثير. ومع ذلك، فليس للأطفال في الواقع أي تأثير على تشكيل القيم الثقافية. فلا يُسمع لهم صوت إلا في صراخهم طالبين المزيد من اللبن. فلم يطور الأطفال تفكيرهم ومهاراتهم إلى مستوى يؤهلهم لأن تُطلب مشورتهم من قبل العائلة أو المجتمع. وينبغي أن ينضجوا، وأن يبلغوا سن الرشد، قبل أن يُوضعوا في مراكز قيادية سواء في العائلة أو في المجتمع.

وبالنسبة لأولئك المستمرين في طفولتهم الروحية فنأمل أن ينموا حقاً إلى مرحلة النضج ويكون لهم تأثير قوي على العائلة،

والمجتمع، والأمة، والعالم. وإلى الآن لم يحدث هـــذا. وقـــد لا يحـــدث إطلاقا. غير أنه لكي تحدث نهضة روحية حقيقيـــة وإصـــلاح فعلـــي، يجب التغلب على العديد من العوائـــق. وإنـــه لمـــن المـــهم جـــدا أن يعرف المسيحيون هذه العوائـــق.

ونورد فيما يلي موجـــز لعشـــرة أسـباب تقـف ضـــد مـــا يســـتهدفه المسيحيون من نضج روحي. ولسوف أذكـــر كـــلا منـــها علـــى حـــدة وأعطي كلا منها تعريفـــا.

السبب الأول: غلطة الإيمان الطفولي

في بعض الدوائر المسيحية صارت الدعوة الكتابيـــة إلى إيمـــان مثـــل إيمـــان الأطفال، هي النموذج المثالي الروحي مما يشـــوه بدرجـــة جذريـــة المعـــنى الكتابي للإيمان. والعهد الجديد يصف بالفعل إيمانـــا طفوليـــا معينـــا بأنـــه فضيلة. قال يسوع: "من لا يقبل ملكوت الله مثـــل ولـــد فلـــن يدخلـــه" (مرقـــس ١٠: ١٥).

ولكن ما هو إيمان الأطفال هذا؟ فالكلمـــة "مثـل" توحـــي بنـــوع مـــن التشابه. والتشـــبيه واضـــح. فكمـــا أن الأطفـــال يثقـــون في والديـــهم ويعرفون أنهم عند كلمتهم، هكذا علينا نحـــن أيضـــا، بطريقـــة مماثلـــة، أن نثق في الله. وتعتمد حياة الطفل على الثقـــة في عنايـــة الوالديـــن. وحـــين يتجه طفل صغير فضولي صوب شـــعلة نـــار الموقـــد، يقـــول الوالـــدان: "كلا". ولا وقـــت لشـــرح تعقيـــدات الطاقـــة الحراريـــة، فمثـــل هـــذه التفسيرات المعقدة لا طائل ورائها بالنسبة للطفل علـــى أي حـــال.

ومع ذلك، فبينما يبدأ الأولاد في النمـــو، تبـــدأ قدرتهـــم علـــى الثقـــة في قيادة والديهم في التضاؤل. وقبل مرور وقت ليـــس بطويـــل يشـــرعون في التساؤل لماذا، وبعد ذلك يتحدونهم علانيـــــة.

ومثل هذا التحدي ليس له موضـــع في ملكـــوت الله. فـــأولاد الله عليـــهم أن يظلوا إلى الأبد في حالة من الخشية من أبيـــهم الســـماوي والثقـــة فيـــه على غرار ثقة الطفل في والديه. وهنا نلمـــس ممارســـة مناســـبة للإيمـــان التام. والله جدير بأن نثق فيه تماما. والواقع أنها حماقة وتهـــور ألا نثـــق فيـــه

بشكل تام. فهو جدير تماماً بالثقة، والمسيحي الناضج لا يكبر إطلاقاً على هذا النوع من إيمان الأطفال.

ومع ذلك، هناك فرق شاسع، بين إيمان يشبه إيمان الأطفال، وإيمان صبياني، على الرغم من أنه كثيراً ما يتم الخلط بين النوعين.

والإيمان الصبياني لا يبالي بتعلم الأمور المختصة بالله على نحو عميق. هو يرفض التعمق في فهم الإنجيل في الوقت الذي يتشبث بالأمور السطحية. ولهذا هناك نصيحة موجهة للمسيحي ذي الإيمان الصبياني: "لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي. لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر لأنه طفل. وأما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر" (عبرانيين ٥: ١٢-١٤).

فدعوة العهد الجديد إنما هي للنضج. ويقول الرسول بولس "لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت أفتكر. ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل" (١كورنثوس ١٣: ١١).

ويذكر بولس فرقا آخر بين الطريقة التي علينا أن نظل فيها كأطفال، والطريقة التي دعينا فيها إلى مرحلة النضج. فهو يقول: "أيها الإخوة لا تكونوا أولادا في أذهانكم بل كونوا أولادا في الشر. وأما في الأذهان فكونوا كاملين" (١كورنثوس ١٤: ٢٠).

السبب الثاني: الخوف من الشك اللاهوتي

هناك عدم ثقة عميق في الثقافة المسيحية الفطرية بالنسبة للفكر اللاهوتي. وهذا المقت في كثير من الأحيان مرده عدم الثقة في المفكرين اللاهوتيين.

مما يذكر أن ج. ف. لانجميد كاسيرلي، اللاهوتي الإنجيلي المدافع، خصص فصلا بأكمله في كتابه "المفكرون المدافعون والكرازة" لموضوع "خيانة المفكرين". فقد لاحظ كاسيرلي أن شك جمهور المسيحيين المتزايد في المفكرين اللاهوتيين حفزه الشك الأساسي نحو

الكتاب المقدس والمسيحية التاريخية الذي عبر عنه مفكرو النقد الأعلى في العصر الحديث. فالمفكرون اللاهوتيون في الكنيسة هم الذين أعلنوا موت الله. وأساتذة كلية اللاهوت وأساتذة الكليات المسيحيون هم الذين كانوا أكثر صراحة في هجومهم على مصداقية الأسفار المقدسة.

ونقطة التحول في هذا القرن هي أن المفكر اللاهوتي الهولندي أبراهام كويبر قال: "النقد الكتابي تحول إلى هدم كتابي"، ولا ريب أن الكثير من كليات اللاهوت في أمريكا أصبحت قلاعاً لعدم الإيمان. وكثيراً ما يُصدم الآباء المسيحيون ويتملكهم الحزن حين يعود أولادهم إلى البيت من كليات "مسيحية" وقد امتلأوا ريبة وشكاً أخذوهما عن أساتذتهم. وكثيراً ما تكون ردة الفعل لهذه الخيانة اللاهوتية القول: "إذا كان هذا هو ما تفضي إليه دراسة الفكر اللاهوتي، فلسوف أتجنبه تماماً".

وما من شك في أنه يوجد فكر لاهوتي سيئ. ولا ريب أن الدراسة الجادة للاهوت تعرض الطالب للنقد المتشكك، وليس من شك في أن كثيرا مما يطرح على أنه فكر لاهوتي مسيحي ما هو إلا محاولة من المفكر اللاهوتي لتبرير عدم إيمانه هو فحسب.

ومع ذلك، يتعين علينا أن نتذكر أنه على الرغم من أن الفكر اللاهوتي المتشكك منتشر الآن في مؤسساتنا، فوجوده ليس بالأمر الجديد. وأكبر معارضي يسوع أثناء خدمته على الأرض كانوا رجال الدين. والمفكرون اللاهوتيون في ذلك الحين، كانوا يمقتون فكره اللاهوتي. غير أن رفض الفكر اللاهوتي برمته، والتعليم اللاهوتي، بغية تجنب الفكر اللاهوتي السيئ، معناه رفض معرفة الله. وهذا ليس من بين خيارات المسيحي.

السبب الثالث: خطية السبيل السهل للإيمان

السبيل السهل للإيمان صيغة حديثة للهرطقة القديمة المتمثلة في اللاناموسية. وهذا السبيل يؤكد على أنه بعد أن يتخير الإنسان قراره بالإيمان بالمسيح، أو يصلي كي يقبله مخلصا، لا يكون من الضروري

عليه أن يقبله رباً وسيداً. ولا توجد أية متطلبات للناموس تقيد المسيحي.

وهناك معلمون مسيحيون قليلون، وقد لا يوجدون إطلاقاً، ممن يعلنون أن الشخص الذي يقبل المسيح مخلصاً لا يتعين عليه أيضاً أن يقبله سيداً. وعوضاً عن ذلك يشجعون "المسيحي الجسدي" على أن يصبح بالأكثر روحياً ومطيعاً. لكنهم ينأون بأنفسهم عن إعلان أن قبول المسيح رباً وسيداً أمر ضروري للخلاص. والواقع أنهم يصرون على أن ذلك ليس لازماً للحصول على الخلاص. ويسمحون بحقيقة وجود مسيحي جسدي.

وهذه النوعية من معاداة المألوف (أو اللاناموسية) منتشرة للغاية في الإنجيلية الأمريكية حتى أنها تكاد تكون حالة الأغلبية. والجدال الذي يدور حالياً قول "الخلاص باتخاذ المسيح رباً وسيداً" يركز على هذا الموضوع.

منذ فترة قريبة حدثني أحد الرعاة عن شاب في كنيسته كان يتعاطى المخدرات، وله علاقة محرمة مع صديقته. وقد حاول الراعي أن ينصح هذا الشاب فيما يختص بأسلوب حياته. فقال الشاب بلا مبالاة "حسناً أيها الراعي، أنا مسيحي جسدي".

وأن تكون مسيحياً بالمعنى الكتابي للكلمة هو أن تكون تلميذاً للمسيح. والتلميذ معناه "طالب علم ومعرفة" ويلتحق بمدرسة المسيح، والتلميذ كما يُستشف من الاسم، دُعي لدراسة منتظمة للأمور المتعلقة بالله.

السبب الرابع: الرهبانية المحدثة

حركة الرهبنة في تاريخ الكنيسة تتضمن تمجيد الانسحاب من العالم. وأولئك الذين يهربون إلى هذا الملاذ كانوا يسعون إلى الاحتماء من النفوذ السائد للمجتمع الشرير. وكان الدير يشكل ملاذاً لأولئك الذين يسعون وراء النقاء الروحي.

والكثيرون ممن دخلوا حياة الرهبنة، فعلوا ذلك للانخراط في حياة الصلاة والتكريس الروحي. وبالنسبة لآخرين، كان هذا يشكل فرصة للعزلة من أجل الدراسة. وهناك عنصر للرهبنة الكلاسيكية لا تجده في الرهبنة المحدثة وهو التكريس للمنح الدراسية اللاهوتية.

وحين أتحدث عن الرهبانية المحدثة، فإني أشير بذلك إلى ميل بين بعض الإنجيليين إلى "الهروب" من العالم. وإني بهذا أصف موقفاً كما أصف أسلوب حياة. وهذا نوع من رفض العالم يتضمن أكثر من مجرد رفض الدنيوية. فالأمر يتضمن رفض العالم كالميدان الأساسي للنشاط المسيحي. ويحدد النشاط المسيحي في حيز محصور لأقلية روحية. ويتضمن الرفض القاطع لدراسة أي شيء لا يكون من الواضح أنه "إنجيلي".

أتذكر السنة الثانية في حياتي المسيحية. وكطالب في السنة الثانية في الكلية تملكتني إثارة في نفسي أثناء محاضرة عن الفلسفة الغربية.

كان الأستاذ يلقي محاضرة عن مقالة كتبها القديس أغسطينوس. ونبهتني هذه المحاضرة إلى مستوى جديد تماما لفهم شخص الله. وكمسيحي شاب كنت أتلهف إلى أن أتعمق في إيماني. ووجدت في كتابات أغسطينوس ومن هم على غراره عونا هائلا لتحقيق هذه الغاية.

وقررت أن أغير دراستي الأكاديمية الرئيسية من دراسة الكتاب المقدس إلى دراسة الفلسفة. وحين فعلت ذلك طردت من المجموعة الإنجيلية المشكلة في الكلية. ذلك أن أصدقائي ارتاعوا جدا من ردتي الواضحة. وآية الكتاب المقدس التي كنت أسمعها تتردد لمرات لا حصر لها هي: "انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل" (كولوسي ٢: ٨).

وكان من شأن ردود أفعال أصدقائي أن أربكتني وآلمتني. لقد اتجهت إلى الفلسفة لتقوية فهمي لله، وليس لإضعافه. وعلى الرغم من أن دراستي الأساسية لم تعد بعد هي دراسة الكتاب المقدس، إلا أنني لم أترك بأي حال الكتاب المقدس أو دراستي له. و لم أستطع أن أعرف كيف يأخذ الإنسان

"حذره" من شيء قبل أن يعرفه أولاً. و لم يكن من نتيجة دراستي للفلسفة الدنيوية سوى أنها زادت من تقديري لعمق وغنى الأشياء التي أُعلن عنها في الكتاب المقدس. كما أنها زودتني بفهم بالموضوعات الضرورية اللازمة لمهمة الكتابات الدفاعية المسيحية. و لم يدر بخلدي إطلاقاً أنه من المفروض علينا أن نهجر العالم فنتركه للوثنيين.

والرهبانية المحدثة تولد الجهل، ليس جهلاً فقط بالثقافة والأفكار التي تشكلها، بل جهلاً بالفكر اللاهوتي أيضاً. بل إنها تنم بالأكثر عن الافتقار إلى الإيمان، لا قوة الإيمان.

ونتائج الرهبانية المحدثة مفجعة. فانسحابنا من الانخراط في العالم كان من نتيجته أن هُزمنا غيابياً. تركنا المجال لإضفاء الطابع الدنيوي على الثقافة الأمريكية، وبعد ذلك أخذنا نتعجب كيف حدث هذا.

السبب الخامس: الخوف من المجادلات

الفكر اللاهوتي يولد المجالات، هذا أمر لا ريب فيه. وأينما يُدرس الفكر اللاهوتي، لابد وأن تنجم عنه المجادلات. وجميعنا نود علاقات تتسم بالسلام والوحدة. كما نعرف أيضاً أن الكتاب المقدس يمنعنا من أن نكون مشاكسين مسببين للشقاق، مجادلين، ديانين. وعلينا أن نظهر ثمر الروح الذي يتضمن: طول أناة ولطف ووداعة.

وهنا نقول في أنفسنا: إذا كان يتعين علينا أن نتجنب روح المشاكسة، ونظهر ثمر الروح، فعلينا إذاً أن نتجنب دراسة الفكر اللاهوتي. وثمة بديهية أمريكية تقول: "لا تجادل إطلاقاً في الدين أو السياسة". والسبب في رفع هذا القول إلى مستوى البديهيات الأساسية مرجعه أن المناقشات حول الدين أو السياسة كثيراً ما يكون ضررها أكثر من نفعها. فقد سئمنا من مطاردات المنشقين، والجدال والغضب حول نقاط الاختلاف الطفيفة، والاضطهادات بل وحتى الحروب التي اندلعت نتيجة خلاف لاهوتي.

ومع ذلك فإن الجدال يصاحب الالتزام اللاهوتي. ذكر جون ستوت في كتاب عنوانه "المسيح المجادل الكبير" ما يجب أن يكون واضحاً لكل من يقرأ الكتاب المقدس، كانت حياة يسوع عاصفة من

المجادلات. والرسل، على غرار الأنبياء من قبلهم، بالكاد يمر عليهم يوم دون جدال. وقال بولس إنه كان يجادل يومياً في ساحة السوق. ومن يحاول تجنب الجدال، فإنه يتجنب المسيح. وبوسعنا أن يكون لنا سلام، ولكنه سلام ذليل ودنيوي، حيث تذبح الحقيقة في الشوارع.

طُلب منا تفادي المجادلات الشريرة، ودُعينا للمجادلات الورعة. وثمة جانب إيجابي من الجدال المسيحي، وهو أن المسيحيين يميلون إلى أن يتجادلوا فيما بينهم عن الفكر اللاهوتي لأنهم يعرفون أن الحق، ولاسيما الحق اللاهوتي، له نتائج أبدية. وتلتهب المشاعر لأن الرهان عال.

وكثيراً ما تندلع المجادلات البعيدة عن الإيمان، وليس ذلك مرده أن المتنافسين يعرفون الكثير جداً عن الفكر اللاهوتي، بل لأن ما يعرفونه قليل جداً. وهم يفشلون في معرفة الفرق بين نقاط الجدال التي لها وزنها، والنقاط البسيطة التي ما كان يجب على الإطلاق أن تفرقنا.

ولدينا حكمة أخرى: "المعرفة القليلة خطر". إن الطالب الذي لم يصل إلى مرحلة النضج في الدراسة اللاهوتية هو الذي يجادل في التوافه، والفكر اللاهوتي الذي لم يحصل على التدريب الكافي هو الذي تراه سريع الانفعال محباً للمشاركة. وكلما زاد تمكن المرء من دراسته اللاهوتية، زادت قدرته على معرفة الموضوعات التي يمكن التفاوض بشأنها واحتمالها، وأي الموضوعات تتطلب جدالاً قوياً.

السبب السادس: روح العصر اللاعقلانية

أعتقد أننا نعيش في أكثر حقبة مضادة للعقل عرفتها المسيحية طوال تاريخها. ولا أقصد بذلك أننا ضد النواحي الأكاديمية أو التكنولوجية أو العلمية. بل أقصد باللاعقلانية، أي "ضد العقل".

ونحن نعيش في زمن ينفر من العقلانية، ذلك أن تأثير فلاسفة الوجودية كان هائلاً. وقد أصبحنا شعباً شديد الحساسية، بل وحتى لغتنا تنم عن هذا. فطلبتي في كلية اللاهوت كثيراً ما يكررون في أوراق إجابتهم عبارات مثل "أشعر أنه من الخطأ أن ..."، أو "أشعر أنه من الصواب

أن ...". ولكن دائماً أشطب كلمة "أشعر" التي يستخدمونها وأستبدلها بكلمة "أعتقد". وهناك فرق بين الشعور والاعتقاد.

وهناك أولوية للعقل في الإيمان المسيحي. كما توجد أيضاً أولوية للقلب في هذا الإيمان. ومن المؤكد أن هذا الكلام يبدو متناقضاً. إذ كيف يتسنى أن تكون هناك أولويتان؟ فلابد وأن يكون هناك ما يجب أن تكون له الأولوية المطلقة. ومن الطبيعي أنه ليس بوسعنا أن تكون لدينا أولويتان مختلفتان في ذات الوقت، وفي نفس العلاقة. ولكن حين أتحدث عن أولويتين مختلفتين، فإني أعني أن ذلك يتعلق بموضوعين مختلفين.

وفيما يتعلق بأولوية الأهمية، تكون الأولوية للقلب. لأنه إذا توفر لي تعليم صحيح في عقلي، دون أن تكون هناك محبة للمسيح في قلبي، هنا أكون قد فقدت ملكوت الله. وأن يكون قلبي مستقيماً أمام الله، أمر يفوق في أهميته وبلا حدود أن يكون فكري اللاهوتي صحيحاً لا تشوبه شائبه.

ومع ذلك، فلكي يكون قلبي مستقيماً، هناك أهمية للعقل من ناحية "الترتيب". فلا يمكن أن يُوجد شيء في قلبي ما لم يكن أولاً في عقلي. فكيف يتسنى لي أن أحب إلهاً أو مسيحاً لا أعرف عنه شيئاً؟

والواقع أنه، كلما زاد فهمي لشخص الله، زادت قدرتي على محبته. والله يعلن لنا عن ذاته في كتاب. وهذا الكتاب مكون من كلمات. وهي توصل لنا مفاهيم يجب على العقل أن يستوعبها. ومن المؤكد أن تظل بعض الأمور غامضة. غير أن القصد من الإعلان الإلهي هو أن نفهمه بعقولنا بغية أن ينفذ إلى قلوبنا. واحتقار دراسة اللاهوت معناه احتقار تعلم كلمة الله.

السبب السابع: إغراء الدنيوية

تتذكر أن أول منعطف من الطريق إلى السماء والذي صادفه "المسيحي" في قصة جون بنيان "سياحة المسيحي" حدث حين وقع "المسيحي" في إغراء نصيحة السيد / الحكيم الدنيوي. و لم يُطلق على

الحكيم الدنيوي اسم "اللاهوتي الزائف"، غير أن الفكر اللاهوتي الذي يعلم به هو فكر زائف.

ونعرف كيف أن النزعة الدنيوية تغرينا من ناحية الشهوات الحسية، والمادية، ومذهب المتعة وما إلى ذلك. بيد أنه من بين أشد القوى المغرية للعالم الدنيوي هو إغراء تبني وجهة النظر عن الحق التي تلقى رواجاً حالياً في الثقافة الأمريكية.

سجل ألن بلوم في كتابه "انغلاق العقل الأمريكي" تبني التعليم الحديث، وبشكل يكاد يكون تاماً، نظرية النسبية على أنها نظرية المعرفة التي يأخذون بها. وأصبح العقل الأمريكي منغلقاً للحق الموضوعي الذي يمكن معرفته بطريقة عقلانية. والنسبية هي في أساسها غير عقلانية. وأن تقول إن الحق نسبي يعني أنك تقول كلاماً غبياً.

فهذا قول لا يمكن أن يكون صحيحاً. فعبارة "كل الحق نسبي"، يمكن أن تكون هي نفسها نسبية وليست لها قيمة تتعلق بالحق.

فالعقل العنيد، أو بالأحرى، العقل العنيد اللاعقلاني للتعليم الدنيوي قد تسلل إلى الإنجيلية وهزمها تقريباً. الإنجيليون يشعرون بسعادة بالغة إذ يؤكدون أفكاراً متناقضة ويقبلون أفكاراً لاهوتية غير متناغمة جذرياً وكل منها قاصرة على نفسها.

ومن المؤكد أن الإنجيليين لا يطلقون على هذا وصف النسبية أو الذاتية. فقد تمت معمودية هذه الفلسفة وتم إضفاء الصبغة الروحية عليها، حيث تتخفى بشكل واهن في رطانة دينية. و"قيادة الروح" هي الرخصة للكثير من الخطايا المعرفية، فالناس "بقيادة الروح" يعملون أشياء من الجلي أنها محرمة طبقاً لما جاء في الكتاب المقدس. غير أن القيادة الوهمية قد تتغلب على الأسفار المقدسة لأن الحق نسبي. فتأكيد التناقضات غير العقلانية (وهذا حشوٌ زائد) يبرر باللجوء إلى "نظام أعلى من المنطق" موجود في عقل الله.

وإذا أردنا فهماً عقلانياً متماسكاً ومنطقياً ومتناغماً للكتاب المقدس، فلسوف نُتهم مباشرة بأننا نتعبد عند ضريح أرسطو. وبالنظر إلى أن فلسفة العقلانية كثيراً ما كانت معادية للمسيحية، تجدنا نهرب من أي

شيء يبدو من بعيد انه عقلاني. وبالنظر إلى أن لـــــدى المســـيحية "الحـــق" الذي لا يمكن للعقـــل أن يكتشـــفه بجـــهوده التفكريـــة المحضـــة، تجدنـــا نفترض أن المنطق نفسه قابل للتفـــــاوض.

والمسيحية ليست هي العقلانية. لكنها عقلانيـــة. ولعـــل لديـــها حـــق لا يستطيع العقل أن يستوعبه. غير أنها أكثر مـــن عقلانيـــة، وليســـت أقـــل. وإنما لفضيلة، وليست رذيلة أن تسعى وراء فـــهم متماســـك لكلمـــة الله. فكلمة الله ليست غير عقلانية. وقد جاءت بشكل يفهمـــه العقـــل.

السبب الثامن: بديل تقوى للتكريس للدراسة

هل من المحتمل أن تكون القراءة التعبدية للكتـــاب المقـــدس عقبـــة للنمـــو المسيحي؟ ولسوف أرد بالقول إنها بالفعل كذلـــك، إذا أصبحـــت بديـــلا للدراسة الجادة للكتاب المقـــــدس.

ومع ذلك، يجب أن أسلم بأني لست أعرف علـــى وجـــه اليقـــين الفـــرق بين "القراءة التعبدية للكتـــاب المقـــدس"، و"دراســـة الكتـــاب المقـــدس بشكل جـــــدي".

دراسة الكتاب المقدس دراسة جدية تعد عملا تعبديا. وقـــد قـــال ســـي. إس. لويس ذات مـــــرة:

"الكتاب الحالي هو نوع من التجربة. والترجمة قصـــد بهـــا العـــالم بجملتـــه، وليس طلبة اللاهوت فقط. فإذا نجح، فلســـوف تتبعـــه ترجمـــات أخـــرى لكتب مسيحية أخرى عظيمة. بمعـــنى أنـــه بـــالطبع ليـــس الأول في هـــذا المجال. ذلك أنه توجد في المكتبات بـــالفعل ترجمـــات لكتـــاب "Theologia Germanica"، و"التقليد"، و"ميزان الكمال"، و"الإعلانـــات الإلهيـــة" تعليـــم ليدي جوليان النرويجية، وهي كتب قيمة للغاية، ولـــو أن بعضـــها لا يصـــل إلى مستوى كتابات كبار اللاهوتيين. غير أنـــه ســـوف يلاحـــظ أن هـــذه كلها كتب تتعلق بالعبادة لا العقيـــدة. والإنســـان العـــادي أو الهـــاوي في حاجة إلى التعليم كما أنه في حاجة إلى النصح. وحاجتـــه إلى المعرفـــة تعـــد ملحة ولا سيما في هذا العصر. بل وما كـــان لي أن أعـــترف بوجـــود أي فرق كبير بين هاتين النوعيتين من الكـــــتب.

أما أنا، فإني من ناحيتي أجد الكتب العقيدية في كثير من الأحوال أكثر نفعاً في العبادة من الكتب التعبدية، وإني أشك بالأحرى من أن نفس الاختبار ينتظر الكثيرين غيري. وأعتقد أن الكثيرين ممن يجدون أنه "لم يحدث شيء" عندما يجلسون، أو يركعون أثناء القراءة التعبدية، سيكتشفون فيما هم منشغلون بفقرة لاهوتية صعبة، أنهم سعداء فرحون بالدراسة والقلم في يدهم.

وهناك وسائل مساعدة كثيرة للقراءات التعبدية اليومية. فأولئك الذين يقرأون الكتاب المقدس لمدة خمس عشرة دقيقة حتى ثلاثين دقيقة هم الأقلية. غير أنه من المؤكد أن قراءة الكتاب المقدس لمدة خمس عشرة دقيقة يومياً، أفضل من عدم القراءة.

وتبرز المشكلة حين نعتقد أنه بمقدورنا أن نسبر غور الأسفار بواسطة نظام بسيط عن طريق القراءة لمدة تتراوح بين خمس عشرة إلى ثلاثين دقيقة. وقليلة هي فروع المعرفة أو الدراسة التي يمكن إجادتها بمثل هذا الاهتمام الوجيز. فكلمة الله تحتاج إلى جهد أوفر من ذلك الذي نكسبه من خلال فترات قصيرة من القراءة التعبدية. والقراءة التعبدية تُعد تكملة عظيمة للدراسة الجادة، ولكنها ليست بديلاً كافياً لها. ودراسة الفقرات الكتابية المذكورة شواهدها في نهاية كل فصل في هذا الكتاب، والتعليق عليها الموجود في فصوله، قد تكون بداية رائعة لهذه الدراسة الجادة.

السبب التاسع: الكسل

قال كارل بارت ذات مرة أن الخطايا الثلاث الأساسية للبشرية الساقطة هي الكبرياء، والخيانة، والكسل. ولست على يقين ما إذا كان بارت على صواب في ترتيبه لها، غير أنه من المؤكد أنها خطايا شنيعة يقول الكتاب المقدس الكثير عنها.

وإذا كان، لطبيعتنا الساقطة، ميل قوي نحو الكسل، علينا أن نحذر الكسل. فليس بالأمر الآمن بأي حال أن تفترض أن الميلاد الثاني قد خلصنا تماما وفي الحال من كوننا كسالى. فنحن لم نشفى على الفور من تراخينا، بقدر ما إننا لم نشف من الكبرياء وعدم الأمانة.

والحياة المسيحية تتطلب عملاً شاقاً. وتقديسنا عملية بواسطتها نكون عاملين مع الله. ولدينا وعد الله بمساعدتنا في عملنا، غير أن عونه الإلهي لا يلغي مسئوليتنا قبل العمل. "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فيلبي ٢: ١٢، ١٣).

وهذا العمل ليس شيئاً يكسبنا استحقاقاً أو يربح لنا تبريرنا. إن العمل الذي يتبع التبرير هو الذي يكمل الإيمان. والمسيحيون الكسالى يظلون غير ناضجين لأنهم لا ينكبون على دراسة واعية لكلمة الله.

كثيراً ما أفزع طلبتي في كلية اللاهوت بقولي إن الأخطاء اللاهوتية تُعد خطايا، حيث يرتجفون فزعاً من هذا الاتهام، قائلين إنه لا يوجد لوم أدبي لارتكاب الأخطاء. وإني لأجادل بالقول إن السبب الرئيسي لسوء تفسيرنا للكتاب المقدس ليس مرده أن الروح القدس تخلف عن القيام بعمله، بل لأننا تخاذلنا عن القيام بعملنا. فقد افتقرنا إلى محبة الله من كل فكرنا، وأهملنا مسئولية الانكباب على دراسة جدية للأمور المتعلقة بالله.

السبب العاشر: العصيان

قد يكون أمرا مضللا أن نذكر العصيان كتأثير منفرد ومن أسباب فشلنا في النمو إلى النضج، بالنظر إلى أن العصيان كامن على الأقل في كل الأسباب الأخرى. وعلى ذلك سنذكره، كموجز واف، لكل الأسباب الباقية.

وفي حين أننا تأملنا عددا من الأسباب المتعلقة بإهمال المسيحيين أحيانا دراسة اللاهوت. إلا أنه توجد أيضا أسباب هامة وقاطعة لهذه الدراسة. فإنه من الضروري أن نتخطى كل العوائق التي تعترض طريقنا مهما كانت، لنتابع بجد وجهد فهما لاهوتيا أعمق.

الدراسة اللاهوتية تغذي النفس:

لكي تشتعل نفس الإنسان بمحبة الإله الحي، يتعين أن يغذي عقل الشخص أولاً بمعرفة عن شخص الله وقصده. ولا يمكن أن يُوجد شيء في القلب لم يمر على العقل أولاً. وعلى الرغم من أنه من الممكن أن يكون الفكر اللاهوتي في العقل دون أن يخترق النفس، إلا أنه لا يمكن أن يخترق النفس دون أن يفهمه العقل أولاً.

والفهم العقلي لعقيدة ما، يُعد شرطاً ضرورياً للنمو الروحي. ومع ذلك، فإنه ليس شرطاً كافياً لهذا النمو. والشرط الضروري هو الشرط الذي يجب توافره لنتيجة مطلوب حدوثها. وبدونه لن تكون النتيجة وشيكة.

وعلى سبيل المثال، الأكسجين شرط ضروري للنار. ومع ذلك، فبمجرد وجود الأكسجين ليس كافياً لضمان حدوث النار. وهذا من حسن حظنا، لأن العالم كان سيشتعل لو كان الأكسجين ينتج النار تلقائياً. إذاً الأكسجين ضروري للنار، ولكنه في حد ذاته ليس بكاف لإشعال نار.

وكما أن الأكسجين ضروري، ولكنه ليس كافياً لأن تشتعل النار، هكذا العقيدة أيضاً ضرورية، ولكنها ليست كافية لتشعل ناراً في قلوبنا. وبدون عمل الروح القدس في قلوبنا، فإن مجرد وجود العقيدة، حتى العقيدة الصحيحة، لن تفيد شيئاً.

الله يأمرنا أن نكد ونجتهد في دراستنا:

والسبب الثاني لمواصلة المعرفة اللاهوتية هي أن الله، الذي هو موضوع الدراسات اللاهوتية، يأمرنا أن نتقدم في فهمنا العقيدي. ولنتبع وصية الرسول بولس: "أبطلت ما للطفل" (كورنثوس الأولى ١٣: ١١) حتى نستطيع أن نواصل تقدمنا نحو هدف الفهم المسيحي.

نحن في الشر أولاد، أما في المعرفة فنسعى لكي نكون كاملين (كورنثوس الأولى ١٤: ٢٠). ونحن لا نفعل هذا كي نتعجرف في

معرفتنا، بل بغية أن ننمو في النعمة. فالنضج في الفهم هو أساس النضج في الحياة.

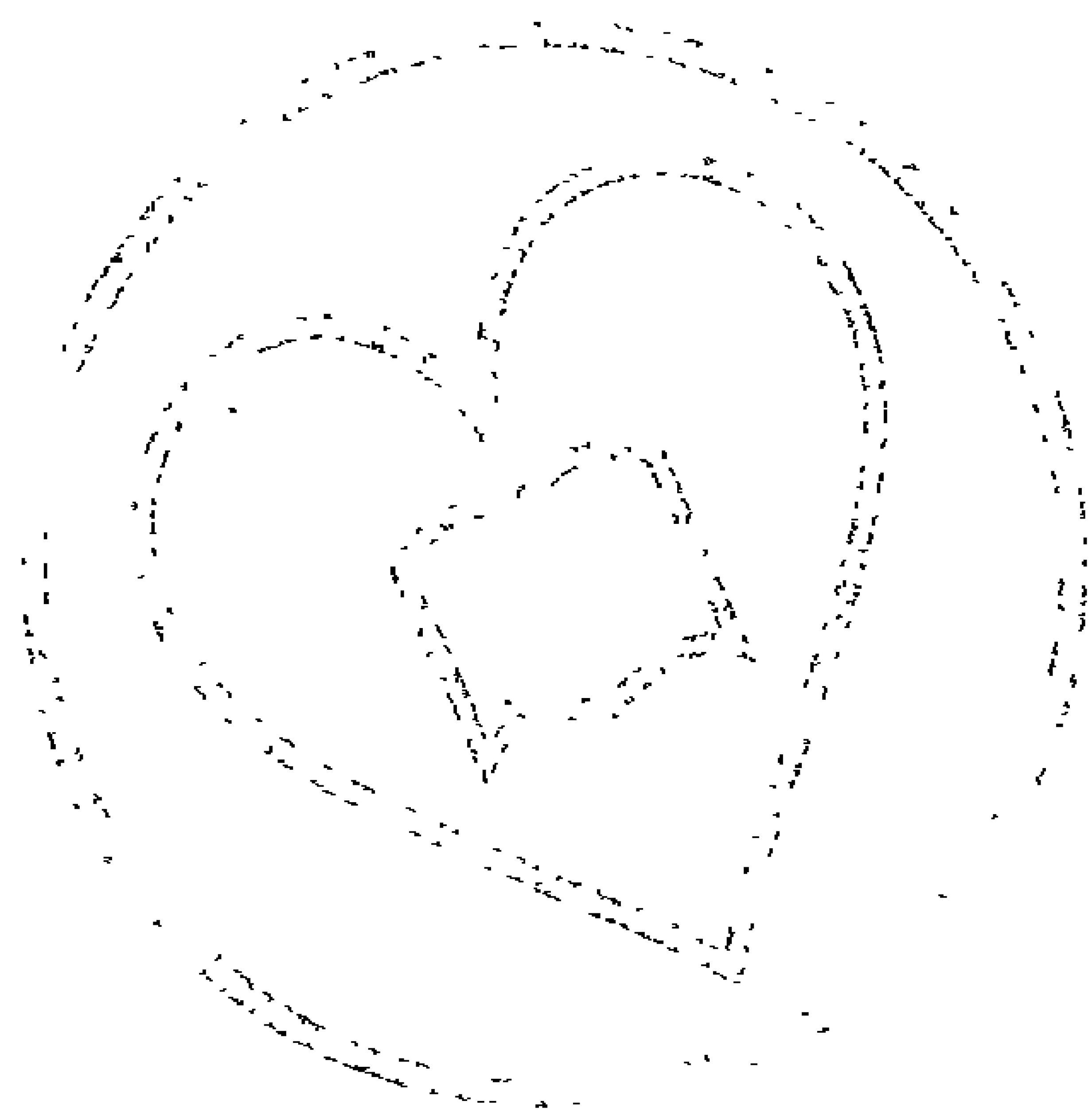
والنمو في معرفة الله هو فرح عظيم وميزة لنا. وهذا موضع سرورنا. ومع ذلك فإنه أكثر من ميزة، ذلك أنه واجب أيضاً. ويأمرنا الله بأن ننمو إلى قياس قامة ملء المسيح. لنتأمل في وصايا الله لإسرائيل العهد القديم:

"اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم. واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك" (تثنية ٦: ٤-٩).

وفي قلب هذه الوصية المقدسة نجد الواجب المقدس بشأن تعلم ناموس الله، ومعرفة إعلانه الإلهي على أكمل وجه. وهذا ليس بأي حال مهمة عارضة أو أمراً يتطلب فارساً للقيام به. فلكي تجيد كلمة الله معناه أن تستغرق وبعمق في الدراسة اللاهوتية.

ونذكر القارئ بأنه من الممكن أن تتوفر لك معرفة لاهوتية سليمة، دون أن تتوفر لك حياة سليمة. غير أنه لا يمكن أن تتوفر لنا حياة سليمة دون دراسة لاهوتية صحيحة. وبهذا المعنى لا يجب أن يُنظر إطلاقاً إلى الفكر اللاهوتي كعلم مجرد. إنه موضوع حياة وموت، بل حياة أبدية أو موت أبدي. وقُصد بهذا الكتاب أن يكون مرحلة موجهة عبر هذه الموضوعات المتعلقة بالموت والحياة في نطاق الفكر اللاهوتي.

الجزء الأول



الإعلان الإلهي



الإعلان الإلهي

كل ما نعرفه عن المسيحية أعلنه الله لنا. و"يعلن" تعـني "يكشـف عـن". وهذا أمر يتطلب رفع غطاء من على شـيء مخفـى.

فيما كان ابني ينمو، عملنـا تقليـداً سـنوياً للاحتفـال بعيـد ميـلاده. وعوضاً عن النموذج المعتاد، وهو توزيـع الهدايـا، كنـا نعمـل ذلـك بطريقة اتبعتها بلادنا للعبة التليفزيونية "لنعقـد صفقـة". فكنـت أخبـئ هداياه في أماكن سرية كدرج، أو تحت الأريكة، أو خلـف مقعـد. بعـد ذلك أعرض عليه خيارات: "بوسعك أن تـأخذ مـا في درج المكتـب، أو ما في جيبي". وذروة اللعبة تركز على "صفقة اليـوم الكبـيرة".

كنت أرتب ثلاثة مقاعد مغطاة بالبطاطين. وكل بطانية تخفـي هديـة. أحـد المقاعد به هدية صغيرة، والثاني به هدية كبيرة، والمقعـد الثـالث بـه عكـاز كان قد استعمله بعد أن كسر ساقه حين كان في السابعة مـن عمـره.

ولمدة ثلاث سنوات متتالية! اختار ابـني الكرسـي الـذي كـان عليـه العكاز. ولكني في هذه المرة أخفيت الهدية الكبـيرة إلى جـانب العكـاز، وجعلت طرف العكاز يبرز قليلاً من تحت البطانية. وإذ لمـح ابـني طـرف العكاز فقد تجنب اختيار ذلك المقعد. لقد انتصرت عليـه ثانيـة.

الجزء الممتع للعبة تمثل في محاولة تخمين الموضع الـذي أُخفـي فيـه الكـنز. ولكن هذا كان مجرد تخمين، ولا شيء أكثر من ذلـك. واكتشـاف الكـنز الحقيقي لم يتم إلا بعد إزاحة البطانية وأصبحت الهديـة مكشـوفة.

هكذا الحال بالنسبة لمعرفتنـا لله. فـالتخمين البـاطل عـن الله مغـامرة سخيفة لا طائل من ورائها. وإذا أردنا معرفته في الحـق، يتعـين علينـا أن نعتمد على ما قاله لنا عن نفسـه.

ويشير الكتاب المقدس إلى أن الله أعلن عن نفسـه بطـرق مختلفـة، لقـد أظهر مجده في الطبيعة وبواسـطتها.

لقد أعلن عن نفسه في الأزمنة القديمة عن طريق الأحلام والرؤى. وعلامة تدبيره الإلهي تظهر على صفحات التاريخ. فقد أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس الموحى به. وذروة إعلانه الإلهي رأيناها في يسوع المسيح الذي صار جسداً، إنساناً، بشراً وهذا ما يسميه اللاهوتيون "التجسد".

وقال كاتب الرسالة إلى العبرانيين:

"الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة. كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين" (عبرانيين ١: ١،٢).

وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس تحدث عن "طرق كثيرة" أعلن بها الله عن ذاته، غير أننا نميز بين نوعيتين رئيسيتين من الإعلان الإلهي، عام وخاص.

والإعلان الإلهي العام دُعي كذلك لسببين: (١) عام في مضمونه، (٢) أُعلن لجمهور من الناس.

المضمون العام:

الإعلان الإلهي العام يقدم لنا معرفة أن الله موجود: "السموات تحدث بمجد الله" كما يقول المرنم، ومجد الله يظهر في "عمل يديه". وهذا العرض واضح ويبين أنه لا يمكن لأي مخلوق أن يخطئه. وهو يعلن قوة الله الأبدية وألوهيته (رو ١: ١٨-٢٣).

والإعلان الإلهي في الطبيعة لا يعطي إعلاناً كاملاً عن الله. ولا يعطينا معلومات عن الله الفادي، تلك المعلومات التي نجدها في الكتاب المقدس، ولكن الله الذي كشف عن ذاته في الطبيعة هو نفسه الله الذي أعلن عن ذاته في الأسفار المقدسة.

الجمهور العام:

ليس كل شخص في العالم قرأ الكتاب المقدس أو سمع الكرازة بالإنجيل. غير أن نور الطبيعة يشرق على كل إنسان وفي كل مكان، وفي كل زمان. وإعلان الله العام عن ذاته يحدث كل يوم. وهو لا

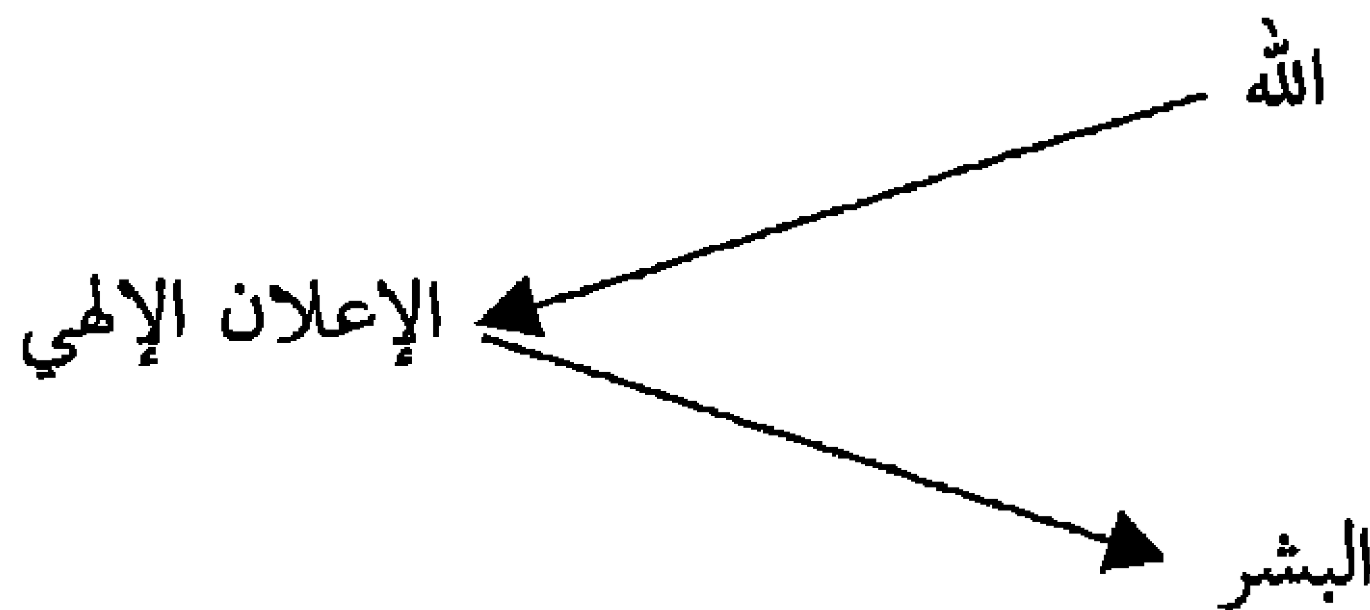
يترك نفسه إطلاقا بلا شاهد. والعالم المنظور يعد بمثابة مرآة تعكس مجد خالقه.

والعالم هو مسرح الله. والله هو الممثل الرئيسي الذي يظهر في المسرح بأكمله. ولا يمكن لأي ستارة أن تترل وتحجب وجوده. ونعرف من لمحة واحدة للخليقة أن الطبيعة لم تخلق نفسها. وليس هناك "أم" مثل أمنا الطبيعية. فالطبيعة نفسها عاجزة عن إنتاج حياة من أي نوع. فالطبيعة في حد ذاتها عقيمة. وقوة إعطاء الحياة تكمن في خالق الطبيعة، الذي هو الله. أما وأن تقول إن الطبيعة هي مصدر الحياة فمعناه أنك تخلط بين الخليقة والخالق. وكل أشكال عبادة الطبيعة هي أعمال وثنية بغيضة أمام الله.

وبسبب قوة الإعلان الإلهي العام، كل إنسان يعرف أن الله موجود.

والإلحاد يتضمن الإنكار التام لشيء من المعروف أنه حقيقي. وهذا هو السبب في أن الكتاب المقدس يقول: "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز ١٤: ١).

وحين يوبخ الكتاب المقدس الملحد بوصفه إنه "جاهل" فهذا معناه إصدار حكم أخلاقي ضده. ومعنى الجاهل في الأزمنة الكتابية لا يقصد به الغباء أو الافتقار إلى الذكاء، بل تعني أنه "فاسق لا أخلاق له. وكما أن مخافة الله هي رأس الحكمة، فإنكار الله بالتالي هو ذروة الجهل"



واللاأدريون أيضا، ينكرون قوة الإعلان الإلهي العام. فاللاأدري أقل وطأة من الملحد، فهو لا ينكر وجود الله صراحة. بل يعلن "اللاأدري" أنه لا يوجد دليل كاف لاتخاذ قرار بالنسبة لوجود الله أو إنكاره. وهو

يفضل أن يؤجل قـــراره، وأن يـــترك موضـــوع وجـــود الله، كموضـــوع مفتوح. ومع ذلك، فإنه على ضوء وضوح الإعـــلان الإلهـــي العـــام، فـــإن وضع اللاأدريين ليس أقل بغضة أمام الله من وضـــع الملحـــــدين.

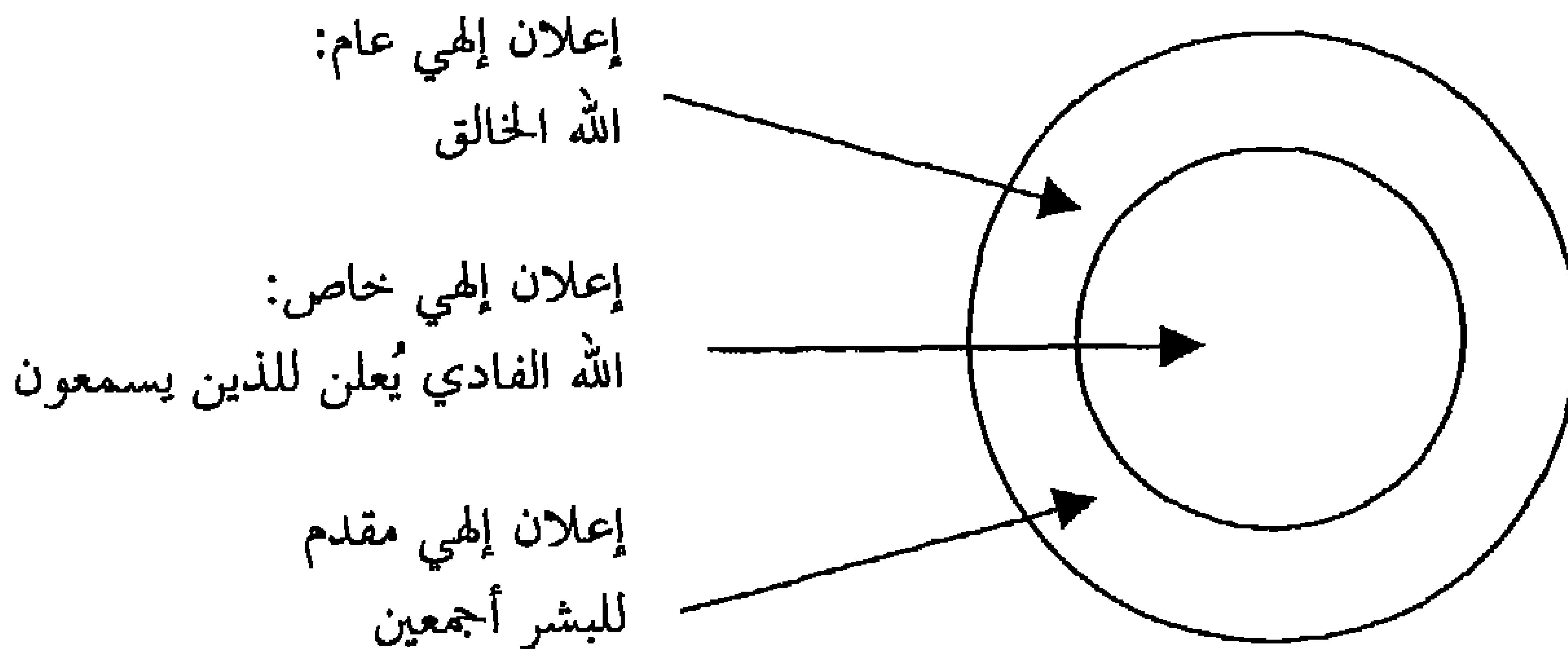
غير أنه بالنسبة لأي شخص متفتح الذهن والقلـــب، فـــإن مجـــد الله أمـــر رائع أن نتأملـــه، في بلايـــين الأجـــرام الـــتي في الســـماء إلى جســـيمات الجزيء الذري الذي يتكون من أصغر الجزيئات. يا له مـــن إلـــه عجيـــب ذاك الذي نعبـــده.

موجز

١. المسيحية دين معلن من الله.
٢. إعلان الله، هو كشف ذاتي. فهو ينزع الحجاب الـــذي كـــان يمنعنـــا من معرفتـــه.
٣. لم نعرف الله من خلال التخمين.
٤. أعلن الله عن ذاته بطرق كثيرة طوال التاريخ.
٥. الإعلان الإلهي الهام مقدم لكل البشر.
٦. الإلحاد واللاأدرية تقومان على أساس إنكار ما يعرف الناس أنه صحيح.
٧. الجهل أساسه إنكار الله.
٨. الحكمة أساسها مخافة الله.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ١٩: ١-١٤
أفسس ٣: ١-١٣
٢تيموثاوس ٣: ١٤-١٧
عبرانيين ١: ١-١٤



٢

تناقض ظاهري، غموض، وتناقض فعلي

تأثير الحركات المختلفة داخل ثقافتنا: مثل العصر الجديد، الديانة الشرقية، الفلسفة اللاعقلانية كان من شأنها أن أدت إلى أزمة في الفهم.

وقد برز شكل جديد من التصوف يمجد ما هو مناف للعقل كسمة من الحق الديني.

ونحن ننظر إلى الحكمة البوذية Zen-Buddist القائلة بأن "الله يد واحدة تصفق" بأنه صورة من هذا النموذج.

والقول إن الله يد واحدة تصفق، يبدو أمرا صعبا. وهو قول يربك العقل الواعي لأنه على النقيض من نماذج الفكر العادية. فهو يبدو عميقا وخداعا إلى أن نحلله بحرص ونكتشف أنه في أساسه وبكل بساطة عبارة تافهة.

واللاعقلانية، هي نوع من الفوضى الذهنية. وهي تقوم على أساس فوضى تتناقض مع خالق كل الحق والذي لم يخلق الفوضى.

والمسيحية الكتابية معرضة لمثل هذه النوعيات من اللاعقلانية الممجدة، بسبب اعترافها الصريح أن هناك الكثير من التناقض الظاهري والغموض في الكتاب المقدس، وبالنظر إلى أن هناك خطوطاً رقيقة ولكنها حاسمة، تفصل التناقض الظاهري والغموض والتعارض، فإنه من المهم بالنسبة لنا أن نتعلم التمييز بينها.

وسرعان ما نرتبك حين نريد أن نعرف أعماق الله. وما من مخلوق بوسعه أن يفهم الله بشكل شامل. والكتاب المقدس يكشف لنا عن أمور تتعلق بالله نعرف أنها صاعقة على الرغم من عدم قدرتنا على فهمها تماماً. وليست لدينا مراجع بشرية لنفهم مثلاً، كائناً هو ثلاثة في شخص وواحد في الجوهر (الثالوث الأقدس) أو كائناً هو شخص واحد له طبيعتان مميزتان، بشرية وإلهية (شخص المسيح). وهذه الحقائق، ولو أنها مؤكدة إلا أنها أعلى من مستوى فهمنا. ونواجه

مشاكل مماثلة في العالم الطبيعي. ونحن نعرف أن الجاذبية الأرضية موجودة، لكننا لا نفهمها، بل ولا نحاول تعريفها بعبارات لاعقلانية أو متعارضة، وكل واحد في الأغلب يوافق على أن الحركة جزء لا يتجزأ من الحقيقة، ومع ذلك فإن جوهر الحركة نفسها أربك الفلاسفة والعلماء لزمن طويل.

وهناك الكثير مما هو غامض بالنسبة للحقيقة، والكثير مما لا نفهمه. ولكن هذا لا يعني الاستغراق فيما هو مناف للعقل. فاللامعقولية أمر خطير بالنسبة للدين والعلم والواقع، أنها مميتة بالنسبة لأي حق.

حدد الفيلسوف المسيحي الراحل جوردن هـ. كلارك ذات مرة التناقض بأنه يشبه "الألم والتصلب بين الأذنين". وملاحظته الطريفة قُصد بها الإشارة إلى أن ما يسمى أحياناً "تناقضاً ظاهرياً" لا يكون في كثير من الأحيان سوى تفكير سقيم. ومع ذلك، فإن كلارك كان يعرف بوضوح دور التناقض الظاهري المشروع ووظيفته. وكلمة "تناقض ظاهري" مأخوذة من الأصل اليوناني الذي معناه "يبدو أو يظهر". والتناقض الظاهري صعب بالنسبة لنا، لأنه للوهلة الأولى "يبدو" متناقضا، غير أنه عند الفحص الدقيق كثيرا ما يمكن إيجاد الحلول. وعلى سبيل المثال، قال يسوع: "من وجد حياته يضيعها. ومن أضاع حياته من أجلي يجدها" (مت ١٠: ٣٩). ومن الناحية السطحية فإن هذه العبارة تشبه القول "الله يد واحدة تصفق". وتبدو وكأنها عبارة تناقض نفسها. ومع ذلك فإن الذي كان يقصده يسوع، هو أنه إذا كان أحد يضيع حياته "بمعنى ما"، فلسوف يجدها "بمعنى آخر". وبالنظر إلى أن التضييع، والخلاص، هما في معنيين مختلفين، إذا لا يوجد تناقض.

فأنا أب وابن في ذات الوقت، ولكن من الواضح أن ذلك ليس في ذات العلاقة.

وبالنظر إلى أن عبارة "تناقض ظاهري" أسيء فهمها في أحوال كثيرة على أنها مرادفة لكلمة "تناقض"، نجدها الآن في بعض القواميس الإنجليزية كمعنى ثان لكلمة "تناقض". والتناقض هو تعبير ينتهك

القانون التقليدي لعدم التناقض. ويقول قانون عدم التناقض إن (أ) لا يمكن أن تكون (أ)، و(لا ألف) في ذات الوقت، وفي ذات العلاقة. أي أن الشيء لا يمكن أن يكون "ما هو"، و"ما ليس هو" في ذات الوقت وفي نفس العلاقة. وهذا هو أكثر قوانين المنطق أهمية.

وما من أحد بمقدوره أن يفهم "تناقضاً ما" لأن التناقض في أساسه غير مفهوم. بل والله نفسه لا يفهمها على أنها تناقضات.

بل يعرفها على حقيقتها بأنها أكاذيب، وكلمة "تكذيب أو إنكار" مأخوذة عن تعبير لاتيني معناه "يتكلم ضد"، وأحياناً يُطلق عليه "تناقض"، وهذا يعني "ضد القانون". وأن يتكلم الله بالتناقضات سيعني هذا أنه من الناحية الفكرية بلا قانون، وأنه يتكلم بلسان متشعب. وإنها لإهانة عظيمة وتجديف مفرط بمجرد أن تقترح أن خالق الحق يتكلم في يوم ما بالمتناقضات. فالتناقض هو وسيلة الشخص الذي يكذب – أبو الكذاب الذي يحتقر الحق.

فقرات كتابية للتأمل

متى ١٣: ١١

متى ١٦: ٢٥

رومية ١٦: ٢٥-٢٧

١كورنثوس ٢: ٧

١كورنثوس ١٤: ٣٣

وهناك علاقة بين الغموض والتناقض، الأمر الذي يحملنا بسهولة على الخلط بينهما. فنحن لا نفهم ما هو غامض. ولا نستطيع أن نفهم المتناقضات. ونقطة الاتصال بين المفهومين، هي طابعها غير المفهوم. والأسرار قد لا تكون واضحة لنا الآن وذلك ببساطة لافتقارنا إلى المعلومات أو وجهة النظر اللازمين لفهمها. ويعدنا الكتاب المقدس بإلقاء مزيد من النور في السماء على الأسرار التي لم نستطع فهمها الآن. ومزيد من النور قد يحل الأسرار الحالية. ومع ذلك لا يوجد نور كاف في السماء والأرض ليحل على الإطلاق تناقضاً محدداً.

موجز

١. التناقض الظاهري هو تناقض في الظاهر وبالفحص الدقيق يمكن أن يعطي حلاً.
٢. الغموض، هو شيء غير معروف لنا، غير أنه قد يمكن حله.
٣. التناقض هو انتهاك لقانون عدم التناقض. ويستحيل حله سواء من قبل البشر أو بمعرفة الله، سواء في هذا العالم أو العالم الآتي.

٣

الإعلان الإلهي العام المباشر وغير المباشر

حين كنت صبيا صغيرا، وكانت والـدتي تريـدني أن أعمـل شـيئا مـا بدون تأخير كانت تؤكد أوامرها باستخدام كلمـة "فـورا". فكـانت تقول: "اذهب لحجرة نومك يا بني فـــورا".

وكانت تستخدم كلمة "فورا" للإشارة إلى حـدث في الزمـان يقـع دون أي تدخل من أية كتلة زمنية. وكلمة "مباشر" في الفكـر اللاهـوتي تعـني شيئا آخر، فهي تعني حـدوث شـيء، دون أن يمـر بـأي تدخـل لأي عامل، أو شيء أو وسيلة. فهو حدث يقع بدون أيـة وسـاطة.

وفي الفكر اللاهوتي الكتابي نميز بين نوعين مـن الإعـلان الإلهـي العـام، ذلك الذي يبلغ بواسطة وسيلة ما، وذلك الذي يكـون مباشـرا. وحـين نتحدث عن إعلان إلهي عام ومباشر، فنحـن بهـذا نشـير إلى الإعـلان الإلهي الذي ينقل بواسطة شيء ما. وحـين تعلـن السـموات عـن الله، تصبح الواسطة أو الوسيلة التي بواسطتها يعلن الله مجـده. وبهـذا المعـنى، فإن الكون كله يعد وسيلة للإعلان الإلهي، فالخليقة تشـهد لخالقـها.

ويقول الكتاب المقدس إن الأرض كلها مليئة بمجـد الله. غـير أنـه ممـا يؤسف له أننا في كثير من الأحيان نغفل عـن نفـس المجـد المحيـط بنـا. فنحن نميل إلى أن نعيش على سطح الأشياء. ونحن لا ننتبـه إلى مـا وفـره الله في خليقته الرائعـة.

من الأمور التي تدعو إلى العجب والخشية، لقد عكسـنا التنـاغم، وفقدنـا الصلة، والأفكار الدينية لا قيمة لها ما لم تعبر عن شـيء حقيقـي.

والحضور السامي لله موجود حولنا. ومع ذلك كثيرا مـا نكـون عميانـا صما بالنسبة له. فنحن لا نفهم لغته. والأمر يتطلب أكـثر مـن التوقـف لشم الأزهار، فالزهرة تتضمن أكثر من رائحة عطـرة أو شـذى. ذلـك أنها تنشر مجد خالقها. ونحن لا نكون جميعا على صلـة بـالإعلان الإلهـي

حين ندرك مجد الله في الطبيعة. والطبيعة ليست مقدسة. غير أن مجد الله يملأ الطبيعة، ويُعلن فيها وبواسطتها.

وفضلاً عن إعلان الله لمجده مباشرة بواسطة الخليقة، فإنه أيضاً يعلن عن نفسه بصفة مباشرة لعقل الإنسان. وهذا الإعلان الإلهي يُسمى الإعلان الإلهي المباشر.

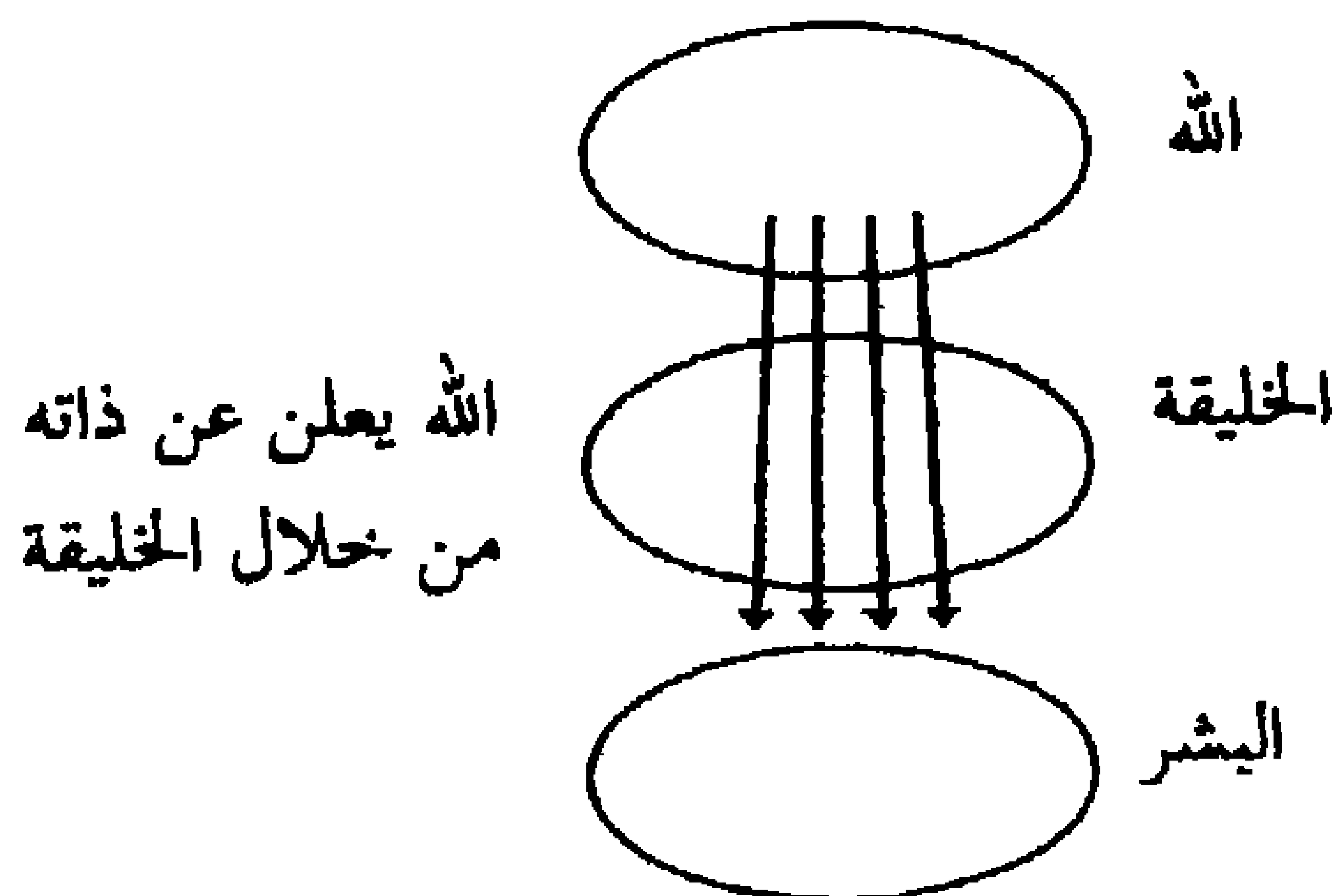
ويتحدث الرسول بولس عن ناموس الله المكتوب على قلوبنا (رومية ٢: ١٢-١٦) ويتحدث جون كالفن عن إحساس بالله يزرعه الله في عقل كل إنسان، وقد قال:

"أما وأنه يوجد في العقل البشري، والواقع بغريزة طبيعية، شعور ما بالله، فهذا ما نعتقده دون جدال، لأن الله نفسه أعطى كل إنسان فكرة عن لاهوته، يجدد بصفة مستمرة تذكرها، بل ويوسعها بين آونة وأخرى.

وتشهد الثقافات في كل مكان بوجود نوع من النشاط الديني، مؤكدة الطبيعة الدينية للبشر والتي لا يمكنهم الفكاك منها. فالبشر متدينون في صميمهم. وطبيعة هذا التدين قد تكون وثنية تامة، غير أنه حتى الوثنية في الواقع، والوثنية بصفة خاصة، تقدم دليلاً على هذه المعرفة الفطرية التي يمكن تشويهها غير أنه لا يمكن إزالتها.

فنحن نعرف في أعماق نفوسنا أن الله موجود، وأنه أعطانا ناموسه. ونسعى لإخماد هذه المعرفة لنتهرب من وصايا الله. غير أنه مهما بذلنا من جهد، لن نستطيع أن نسكت هذا الصوت الداخلي. بوسعنا كبته، ولكن ليس بوسعنا تدميره.

إعلان الله العام غير المباشر



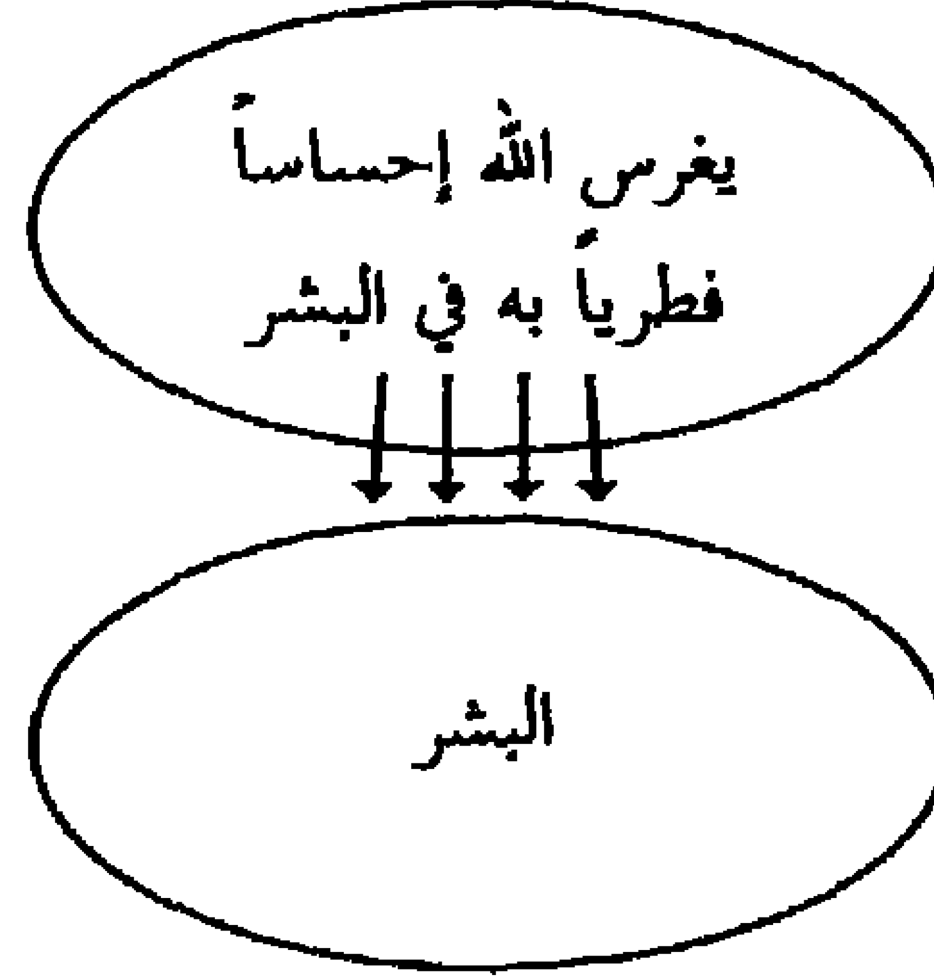
موجز

١. مجد الله ظاهر في كل ما يحيط بنا.
٢. البشر متدينون بالطبيعة.
٣. يغرس الله في جميع البشر معرفة فطرية به، وهذا ما يسمى الإعلان الإلهي العام المباشر.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ١٩: ١-١٤
أعمال ١٤: ٨-١٨
أعمال ١٧: ١٦-٣٤
رومية ١: ١٨-٢٣
رومية ٢: ١٤-١٥

الإعلان الإلهي العام المباشر



٤

إعلان إلهي خاص، والكتاب المقدس

حين جُرب يسوع من الشيطان في البرية، وبخ الشيطان بقوله: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (متى ٤: ٤). ومن الناحية التاريخية، كررت الكنيسة تعليم يسوع بتأكيدها أن الكتاب المقدس هو "صوت الله" أو "كلمة الله". وأن تقول عن الكتاب المقدس إنه كلمة الله، فلا يعني هذا أنه كُتب بواسطة يد الله نفسه، أو أنه نزل من السماء بالمظلة. فالكتاب المقدس نفسه يلفت الانتباه بكل وضوح إلى كتبته الكثيرين والذين هم من البشر. وبدراسة متأنية للكتاب المقدس، نلاحظ أن كل كاتب من البشر كان له أسلوبه الأدبي الخاص به، وكذلك الأمر من ناحية مفردات اللغة، وتأكيده الخاص، والنقاط المعينة التي يركز عليها ووجهة نظره وما إلى ذلك. وبالنظر إلى أن كتابة الإنجيل تطلبت جهداً بشرياً، فكيف يمكن اعتباره كلمة الله؟

يسمى الكتاب المقدس كلمة الله، لأن ما يعلنه، وما تؤمن به الكنيسة، أن الكتبة الذين هم من البشر، لم يسجلوا آراءهم فحسب، بل إن كلماتهم كانت موحى بها من الله. وكتب الرسول بولس: "كل الكتاب هو موحى به من الله" (تيموثاوس الثانية ٣: ١٦). وكلمة "موحى" ترجمة لكلمة يونانية تعني "الله تنفس". فلقد تنفس الله الكتاب المقدس. وكما نزفر نحن النفس من أفواهنا حين نتكلم، هكذا فإن الكتاب المقدس في أساسه هو الله يتكلم.

وعلى الرغم من أن الأسفار المقدسة كُتبت بأقلام أناس من البشر، إلا أن المصدر الأساسي لها هو الله. وهذا هو السبب في أن الأنبياء استطاعوا أن يستهلوا كلامهم بالقول: "هكذا يقول الرب". وهذا أيضاً هو السبب في أن يسوع استطاع القول: "كلامك هو حق" (يوحنا ١٧: ١٧)، "ولا يمكن أن ينقض المكتوب" (يوحنا ١٠: ٣٥).

وكلمة "موحى" تلفت الانتباه أيضاً للعملية التي أشرف بها الروح القدس على كتابة الأسفار المقدسة. فقد أرشد الروح القدس الكتبة الذين من البشر حتى لا تكون كلماتهم سوى كلمات الله. أما كيف أشرف الله على الكتابات الأصلية للكتاب المقدس فهذا أمر غير معروف. غير أن الوحي لا يعني أن الله أملى رسالته لأولئك الذين كتبوا الكتاب المقدس. بل بالأحرى أن الروح القدس أوصل كلمات الله نفسها إلى الكتبة الذين من البشر.

والمسيحيون يؤكدون عصمة الكتاب المقدس وعدم تعرضه للخطأ، وذلك لأن الله هو الكاتب الأساسي للكتاب المقدس. ولأن الله لا يمكن أن يوحي بالزيف، فإن كلمته صادقة وموثوق بها تماماً. وأي كتابات عادية يكتبها الإنسان عرضة للخطأ. لكن الكتاب المقدس ليس منتجاً بشرياً عادياً. وإذا كان الكتاب المقدس موحى به من الله، وقد أشرف الله على كتابته، فلا يمكن إذاً أن يخطئ.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ١١٩

يوحنا ١٧: ١٧

١تسالونيكي ٢: ١٣

٢تيموثاوس ٣: ١٥-١٧

٢بطرس ١: ٢٠-٢١

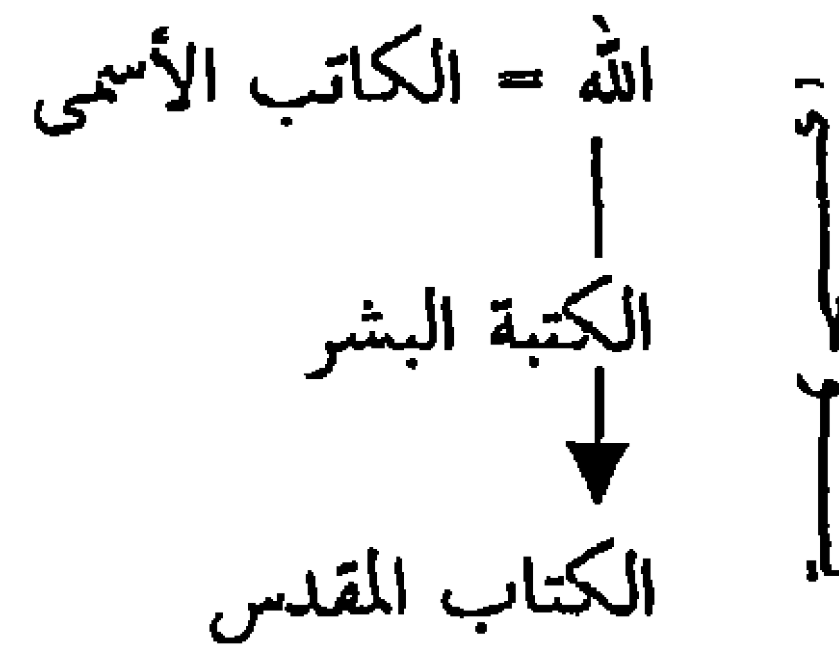
ولكن هذا لا يعني أن ترجمات الكتاب المقدس التي نتداولها اليوم ليست بلا خطأ، لكن المخطوطات الأصلية كانت صحيحة تماماً. بل ولا يعني هذا أن كل عبارة في الكتاب المقدس صحيحة. فعلى سبيل المثال يقول كاتب سفر الجامعة: "ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها" (جامعة ٩: ١٠). فالكاتب هنا يتحدث من وجهة البشر المحبطين، ونحن نعرف من أجزاء أخرى في الكتاب المقدس أن قوله غير صحيح.

وحتى في كشف الحجج الزائفة للإنسان المحبط، نجد أن الكتاب المقدس يتكلم بالصدق.

موجز

١. الوحي هو العملية التي تنفس بها الله كلمته.
٢. الله هو المصدر الأساسي للكتاب المقدس.
٣. الله هو المشرف الرئيسي على الكتاب المقدس.

٤. مخطوطات الكتاب المقدس الأصلية هي التي بلا خطأ.



٥

ناموس الله

يسيطر الله على الكون الذي خلقه بواسطة الناموس. بل إن الطبيعة نفسها تعمل تحت سيطرة عنايته الإلهية. وما تسمى نواميس الطبيعة ما هي إلا وصف لطريقة الله العادية في تنظيم كونه. وهذه "النواميس" هي تعبيرات عن إرادته السامية.

والله ليس مسئولاً أمام أية نواميس خارج ذاته. فلا توجد نواميس كونية مستقلة تفرض على الله طاعتها. بل الله بالأحرى هو ناموس في نفسه. وهذا ببساطة يعني أن الله يتصرف طبقاً لطبيعته الأدبية. وطبيعته ليست كاملة من الناحية الأدبية فقط، بل هي المقياس الأساسي للكمال. وأعماله كاملة لأن طبيعته كاملة، وهو يتصرف دائماً طبقاً لطبيعته. ولذلك فإن الله أبعد من أن يكون مستبداً، أو متقلباً، فهو دائماً يعمل ما هو صواب.

ونحن – كخلائق الله – مطلوب منا أيضاً أن نعمل ما هو صواب. والله يطلب منا أن نعيش طبقاً لناموسه الأدبي، الذي أعلنه لنا في الكتاب المقدس.

وناموس الله هو المعيار الأساسي للبر، وهو المقياس الأسمى للحكم على ما هو صواب وما هو خطأ. وباعتبار أن الله سيد لنا، فله السلطان في أن يفرض التزامات علينا، وأن يأمرنا بطاعته، وأن يقيد ضميرنا. كما أن له القوة والحق لمعاقبتنا على العصيان حين ننتهك ناموسه. (يمكن تعريف الخطية بأنها انتهاك لناموس الله).

وبعض النواميس في الكتاب المقدس تقوم أساسا على طبيعة الله. وتعكس هذه النواميس عناصر العلاقات الدائمة التي تتجاوز الثقافات، سواء ما كان منها إلهيا أو بشريا. وهناك نواميس أخرى قصد بها ظروف وقتية للمجتمع. وهذا يعني أن بعض النواميس مطلقة وأبدية، في حين أن بعضها الآخر قد يلغيه الله لأسباب تاريخية، مثل نواميس

الأكلات المعنية والنواميس الطقسية التي أُعطيت لإسرائيل. والله وحده هو الذي يلغي مثل هذه النواميس. ولم يعط للبشر إطلاقاً سلطة إبطال ناموس الله.

ونحن لا نتمتع باستقلال ذاتي. بمعنى أنه ليس لنا أن نعيش طبقاً لنواميسنا. والحالة الأدبية للبشرية هي حالة تبعية، فنحن نعيش تحت ناموس آخر. والصيغة المعنية للتبعية التي نعيش في ظلها هي أننا نعيش في ظل ناموس الله.

فقرات كتابية للتأمل

خروج ٢٠: ١-١٧
مزمور ١١٥: ٣
متى ٥: ١٧-٢٠
رومية ٧: ٧-٢٥
غلاطية ٣: ٢٣-٢٩

استقلال ذاتي = ناموس ذاتي

تبعية = ناموس آخر

= ناموس الله

موجز

١. يسيطر الله على الكون بالناموس. فالجاذبية الأرضية تُعد مثالاً من نواميس الله للطبيعة. وناموس الله الأخلاقي موضح في الوصايا العشر.
٢. الله لديه السلطان في أن يفرض التزامات على خلائقه.
٣. فالله يعمل طبقا لناموس طبيعته.
٤. والله يعلن ناموسه الأدبي لضميرنا، وكذلك في الأسفار المقدسة.
٥. لله فقط سلطة إبطال نواميسه.

٦

أنبياء الله

كان أنبياء العهد القديم أشخاصاً دعاهم الله بطريقة فريدة، وأعطاهم رسالاته بطريقة خارقة للطبيعة كي يوصلوها لنا. ولقد تكلم الله بكلمته على فم الأنبياء وكتاباتهم.

والنبوة تتضمن نبوات مستقبلية، وإعلاناً حاضراً وتوصيات لكلمة الله. ولقد أُعطي الأنبياء موهبة من الروح القدس حتى أن كلماتهم كانت أقوال الله. وهذا هو السبب في أن الرسائل النبوية كثيراً ما كانت تُستهل بعبارة: "هكذا قال الرب".

وكان الأنبياء مصلحي ديانة إسرائيل. فقد دعوا الناس إلى العودة إلى العبادة النقية وطاعة الله. وعلى الرغم من أن الأنبياء كانوا ينتقدون الطريقة التي كثيراً ما كانت تتفسخ إلى مجرد طقوس، إلا أنهم لم يشجبوا أو يهاجموا صيغ العبادة الأصلية التي أعطاها الله لشعبه. ولم يكن الأنبياء ثواراً أو فوضويين دينيين. وكانت مهمتهم أن ينقوا عبادة إسرائيل لا أن يدمروها، أن يصلحوها لا أن يستبدلوها.

وكان الأنبياء مهتمين أيضاً وبدرجة كبيرة بالعدالة الاجتماعية والبر. فقد كانوا ضمير إسرائيل، ويدعون الناس إلى التوبة كما أنهم عملوا كما لو كان كل منهم "النائب العام" في المحكمة المختصة بعهد الله. كما كانوا يوجهون "الاستدعاءات" للأمة لانتهاكها شروط العهد مع الله.

وكان الأنبياء يتكلمون بسلطان إلهي، لأن الله دعاهم بصفة خاصة ليكونوا المتحدثين باسمه. ولم يكونوا يرثون وظيفتهم، بل ولم ينتخبوا لها. فالدعوة المباشرة من الله إلى جانب قوة الروح القدس كانتا تشكلان أوراق اعتماد الأنبياء.

وكان الأنبياء الكذبة يمثلون مشكلة دائمة لإسرائيل. وبدلا من التكلم بأقوال الله، كانوا يتحدثون عن أحلامهم وآرائهم، لا يقولون للشعب

إلا ما يريدونهم أن يسمعوه. أما الأنبياء الحقيقيون فكثيراً ما كانوا يتعرضون للاضطهاد الشنيع، ويرفضهم معاصروهم لرفضهم التهاون في إعلان وصية الله بكاملها.

فقرات كتابية للتأمل

تثنية ١٨: ١٥-٢٢

إشعياء ٦

يوئيل ٢: ٢٨-٣٢

متى ٧: ١٥-٢٠

أفسس ٤: ١١-١٦

أحياناً تُقسم أسفار الأنبياء إلى "الأنبياء الكبار" و"الأنبياء الصغار" وهذا التقسيم ليس إشارة إلى عظمة الأنبياء أو صغر شأنهم، بل إلى حجم كتاباتهم القانونية. فإشعياء، وإرميا، وحزقيال، ودانيال يُدعون أنبياء كبار لأنهم كتبوا الكثير جداً، في حين أن عاموس، وهوشع وميخا، ويونان، إلخ، يُشار إليهم بالأنبياء الصغار لأن أسفارهم أصغر بكثير جداً.

وكان رسل العهد الجديد يمتلكون الكثير من سمات أنبياء العهد القديم. والرسل والأنبياء يُسمون معاً "أساس الكنيسة".

موجز

١. كان أنبياء العهد القديم وكلاء للإعلان الإلهي.
٢. النبوة تتضمن التنبؤ لأحداث مستقبلية كما تتضمن أموراً تحدث من الآن فصاعداً.
٣. كان الأنبياء بمثابة مصلحين للعبادة والحياة في إسرائيل.
٤. والذين دعاهم الله بصفة مباشرة هم فقط الذين لهم سلطة أن يكونوا أنبياءه.
٥. الأنبياء الكذبة كانوا يعبرون عن آرائهم، ولا يقولون للناس إلا ما يريدون أن يسمعوه.
٦. الأنبياء الكبار والصغار وُصفوا كذلك على أساس حجم الأسفار التي كتبوها، وليس على أساس أهميتها.

٧

اللائحة القانونية للأسفار الكتابية

عادة ما ننظر إلى الكتاب المقدس باعتباره كتاباً واحداً كبيراً. والواقع أنه مكتبة صغيرة تتكون من ستة وستين كتاباً منفصلاً. وهذه الكتب (الأسفار) تكون معاً ما نسميه باللائحة القانونية للأسفار الكتابية المقدسة. وعبارة "قانونية" مأخوذة من كلمة يونانية معناها "قصبة القياس"، أو "النموذج"، أو "المعيار".

والكتاب المقدس، من الناحية التاريخية، كان القاعدة القانونية للإيمان والأعمال في الكنيسة.

وفيما يتعلق بالأسفار التي يتضمنها العهد الجديد، هناك اتفاق تام بين الكاثوليك والبروتستانت. ومع ذلك، هناك خلاف شديد بين الجماعتين فيما يتعلق بالأسفار التي يجب أن يتضمنها العهد القديم.

الكاثوليك يعتبرون أسفار الأبوكريفا أسفارا قانونية، في حين أن البروتستانتية التاريخية لا توافق على ذلك. (أسفار الأبوكريفا كتبت بعد أسفار العهد القديم، وقبل بداية كتابة أسفار العهد الجديد). وتركز المناقشة حول أسفار الأبوكريفا على الموضوع الأوسع بشأن ما يعتبره المجتمع اليهودي أسفارا قانونية. وهناك دليل قوي على أن أسفار الأبوكريفا لم تكن ضمن الأسفار القانونية المعترف بها من قبل يهود فلسطين. وعلى صعيد آخر، يبدو أن اليهود الذين كانوا يعيشون في مصر كانوا قد ضمنوا أسفار الأبوكريفا في لائحتهم السكندرية الخاصة بالأسفار القانونية. ومع ذلك، ظهر دليل حديث، يلقي على هذا قدرا من الشك.

ويجادل بعض نقاد الكتاب المقدس بأن الكنيسة لم يكن لديها كتاب مقدس على هذا النحو حتى بداية القرن الخامس تقريبا. ولكن هذا تشويه لعملية تطور لائحة الأسفار القانونية برمتها. فقد اجتمعت

الكنيسة في مجامع في العديد من المناسبات في القرون الأولى لتسوية النزاعات حول أي الأسفار تنتمي للائحة بشكل صحيح.

وأول لائحة قانونية رسمية لأسفار العهد الجديد وضعها مرسيون الهرطوقي الذي قدم نسخة الكتاب المقدس التي عدلها بنفسه. ولمحاربة هذا الهرطوقي، وجدت الكنيسة أنه لزاماً عليها أن تعلن اللائحة القانونية الصحيحة لأسفار العهد الجديد.

وعلى الرغم من أن الأغلبية الغالبة من الأسفار التي يتضمنها العهد الجديد الآن كانت تُعد أسفاراً قانونية من وقت كتابتها، إلا أنه كانت بعض الأسفار القليلة كان تضمينها في العهد الجديد موضع نزاع. وهذه الأسفار هي العبرانيين، يعقوب، بطرس الثانية، يوحنا الثانية والثالثة، يهوذا وسفر الرؤيا.

كما كانت هناك أسفار تتنافس للحصول على وضع قانوني، ولم يتضمنها العهد الجديد. والغالبية العظمى من هذه الأسفار كانت كتابات منحولة كتبها هراطقة غنوسيين في القرن الثاني. وهذه الأسفار لم تُعط على الإطلاق أية اعتبارات جادة. (هذه النقطة لم ينتبه إليها النقاد الذين زعموا أن أكثر من ألفين من المتنافسين قدموا قائمة تضم سبعة وعشرين سفراً. ثم تساءلوا: "ما هو الأمر الغريب في أن السبعة والعشرين الصحيحة تم اختيارها؟"). والواقع أن سفرين أو ثلاثة أسفار فقط والتي لم تتضمنها القائمة لم تلق إطلاقا اعتبارا حقيقيا. وهذه هي: كلمندس الأول، راعي هيرماس، والتعليم الرسولي. وهذه الأسفار لم تتضمنها قائمة الأسفار القانونية لأنها لم تكتب بواسطة الرسل، وأن الكتبة أنفسهم اعترفوا بأن سلطاهم خاضع للرسل.

وقد شعر بعض المسيحيين بالانزعاج لوجود عملية اختيار تاريخي بأي حال. ذلك أهم كانوا يشعرون بضيق بسبب السؤال: كيف نعرف أن القائمة القانونية لأسفار العهد الجديد ستتضمن الأسفار الصحيحة؟ والفكر اللاهوتي التقليدي للكاثوليك يجيب على هذا السؤال بالاستناد على عصمة الكنيسة. وقد نظر إلى الكنيسة عندئذ

على أنها "تخلق" اللائحة القانونية، وبهـــذا يكـــون لهـــا ســـلطان مســـاو للأسفار المقدسة نفسها. أما البروتســـتانتية الكلاســـيكية فتنكـــر عصمـــة الكنيسة، كما تنكر أن الكنيسة "خلقـــت" لائحـــة الأســـفار القانونيـــة. والفرق بين الكاثوليكية من جهة، والبروتستانتية من جهـــة أخـــرى يمكـــن إيجازه على النحو التـــالي:

وجهة نظر الكاثوليك: لائحة الأسفار القانونية هـــي مجموعـــة معصومـــة لأسفار معصومـــة.

وجهة نظر النقاد التحرريين: اللائحـــة عرضـــة للخطـــأ وهـــي لأســـفار عرضة للخطأ أيضـــاً.

وعلى الرغم مـــن أن البروتســـتانت يعتقـــدون أن الله أولى عنايـــة إلهيـــة خاصة لتأكيد أن اللائحة ستتضمن الأسفار الصحيحـــة، فإنـــه بذلـــك لم يجعل الكنيسة نفسها معصومة من الخطـــأ. ويذكـــر البروتســـتانت أيضـــاً الروم الكـــاثوليك أن الكنيســـة لم "تخلـــق" لائحـــة الأســـفار القانونيـــة. فالكنيسة عرفـــت واعـــترفت وتقبلـــت وخضعـــت للائحـــة الأســـفار القانونية. والتعبير الذي اســـتخدمته الكنيســـة في المجمـــع هـــو receptions ومعناه: "نتســـلم".

بأي معيار قيمت الأســـفار الكتابيـــة؟ مـــا ســـمي بعلامـــات القانونيـــة تضمنت الآتـــي:

١. لابد أن تحظى بسلطة أو مصادقة رسولية.
٢. يجب أن تقبل باعتبارها قانونية من قبل الكنيسة الأولى.
٣. يجب أن تتناغم مع الأسفار الكتابية التي لم يتطرق إليها الشك.

وعلى الرغم من أن مارتن لوثـــر في إحـــدى مراحـــل حياتـــه شـــكك في قانونية رسالة يعقوب، إلا أنه غير رأيه في وقـــت لاحـــق. ولا يوجـــد أي سبب جدي يدعـــو إلى أدنى قـــدر مـــن الشـــك في أن الأســـفار الـــتي تضمنتها لائحة الأسفار القانونية للعهد الجديد هـــي الأســـفار الصحيحـــة والقانونيـــة.

فقرات كتابية للتأمل

لوقا ٢٤: ٤٤،٤٥
١كورنثوس ١٥: ٣-٨
٢تيموثاوس ٣: ١٦،١٧
٢بطرس ١: ١٩-٢١
٢بطرس ٣: ١٤-١٦

موجز

١. كلمة "قانونية" مأخوذة عن اليونانية، ومعناها "معيار" أو "مقياس". واستخدمت كلمة قانونية لوصف قائمة الأسفار القانونية التي اعترفت الكنيسة أنها أسفار مقدسة، وبذلك أصبحت "قاعدة" الإيمان والممارسة.

٢. علاوة على أسفار الكتاب المقدس الستة والستين التي قبلها البروتستانت، فإن الروم الكاثوليك يقبلون أيضاً أسفار أبوكريفا على أنها أسفار قانونية.

٣. لمحاربة إحدى الهرطقات، وجدت الكنيسة أنه يتعين عليها أن تعلن عن الأسفار التي تم الاعتراف بقانونيتها.

٤. هناك أسفار قليلة في لائحة الأسفار القانونية كانت موضع جدل (العبرانيين، يعقوب، بطرس الثانية، يوحنا الثانية والثالثة، يهوذا، وسفر الرؤيا) وهناك أسفار نوقش موضوع ضمها ولكنها لم تُضم إلى لائحة الأسفار القانونية، وتتضمن كليمندس الأول، راعي هيرماس، والتعليم الرسولي.

٥. الكنيسة لم "تخلق" لائحة الأسفار القانونية، بل إنها اعترفت فحسب بالأسفار التي توافرت فيها علامات القانونية، وبذلك اعترُف بها في الكنيسة.

٦. علامات قانونية الأسفار تتضمن:

(أ) أن يكون كاتبها أو صادق عليها أحد الرسل.

(ب) أن تكون الكنيسة الأولى قد اعترفت بقانونيتها.

(ج) أن تكون متناغمة مع الأسفار التي لم يتطرق إليها أي شك في قانونيتها.

٨

تفسير الكتاب المقدس

أي مستند مكتوب يجب تفسيره إذا أريد له أن يُفهم. ولدى الولايات المتحدة تسعة أفراد على أرفع درجة من الخبرة، عملهم اليومي هو تفسير الدستور. وهم يشكلون المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. ذلك أنها عملية تتطلب عناية واجتهاداً بالغين.

والكتاب المقدس نفسه هو المحكمة العليا الخاصة به. والقاعدة الرئيسية للتفسير الكتابي هي "الأسفار المقدسة تفسر نفسها بنفسها". وهذا المبدأ معناه أن الكتاب المقدس يجب تفسيره بواسطة الكتاب المقدس. فما يكتنفه غموض في جزء ما قد يكون واضحاً في جزء آخر منه. وتفسير الأسفار الكتابية بواسطة الأسفار الكتابية معناه أنه لا ينبغي علينا أن نضع فقرة مقابل فقرة أخرى. بل أنه يتعين فهم كل نص ليس فقط في سياقه المباشر بل أيضاً على ضوء سياق الكتاب المقدس كله.

وفضلا عن ذلك، إذا ما كان فهمنا صحيحا، فإن الطريقة الوحيدة المشروعة والصحيحة لتفسير الكتاب المقدس هي طريقة التفسير الواقعي. ومع ذلك هناك ارتباك كبير حول فكرة الترجمة الحرفية. فالترجمة الحرفية تعني في الواقع أنه علينا أن نفسر الكتاب المقدس بحسب ما كتب. فالاسم يجب أن يعامل على أنه اسم، والفعل كفعل. وهذا يعني أن جميع الصيغ التي استخدمت في كتابة الكتاب المقدس يجب تفسيرها طبقا للقواعد المعتادة التي تحكم هذه الصيغ. فالشعر يجب أن يعامل كشعر، والقصص التاريخية يجب معاملتها كتاريخ، والأمثال كأمثال، والمبالغة كمبالغة، وهكذا.

ومن هذه الناحية، يجب تفسير الكتاب المقدس طبقا للقواعد المتبعة لتفسير أي كتاب. والكتاب المقدس من بعض النواحي ليس كأي كتاب آخر مهما كان. ومع ذلك، فمن ناحية ترجمته، يجب أن يعامل كأي كتاب آخر.

ولا يجب ترجمة الكتاب المقدس طبقاً لرغباتنا وتحيزاتنا. بل يتعين علينا معرفة ما يقوله بالفعل، ونحذر من فرض وجهة نظرنا عليه. وإنها هواية الهراطقة أن يسعوا إلى الحصول على تأييد من الكتاب المقدس لتعاليم زائفة ليس لها أساس في النص. بل إن الشيطان نفسه اقتبس من الكتاب المقدس بطريقة غير معقولة في محاولة لإغراء المسيح على الخطية (متى ٤: ١-١١).

والرسالة الأساسية للكتاب المقدس بسيطة للغاية وواضحة تماماً بحيث يستطيع الطفل فهمها. ومع ذلك فإن لب الكتاب المقدس يتطلب عناية تامة، ودراسة كي يُفهم على نحو سليم. وبعض الموضوعات التي تناولها الكتاب المقدس معقدة وعميقة للغاية حتى أنها شغلت أفضل المفكرين وبصفة دائمة في جهد لتصنيفها.

فقرات كتابية للتأمل

أعمال ١٥: ١٥، ١٦

أفسس ٤: ١١-١٦

٢بطرس ١: ١٦-٢١

٢بطرس ٣: ١٤-١٨

وهناك بعض مبادئ التفسير التي تُعد أساسية لدراسة الكتاب المقدس على وجه سليم، وهي تتضمن الآتي: (١) الأجزاء القصصية يجب تفسيرها على ضوء الأجزاء التعليمية. وعلى سبيل المثال، فإن قصة تقديم إبراهيم لإسحق ذبيحة على جبل المريا قد توحي بأن الله لم يعرف أن إيمان إبراهيم كان حقيقياً. غير أن الأجزاء التعليمية للكتاب المقدس توضح أن الله كلي المعرفة. (٢) المعنى الضمني يجب تفسيره دائماً على ضوء ما هو واضح، ولا يجب إطلاقاً إتباع العكس. وهذا معناه، إذا كان نص معين، يلمح إلى شيء ما، لا يجب أن نتقبل هذا التلميح على أنه صحيح إذا ما كان يتعارض مع شيء ذُكر بوضوح في موضع آخر في الكتاب المقدس. (٣) قواعد المنطق تحكم التفسير الكتابي. وعلى سبيل المثال، إذا ما عرفنا أن جميع القطط لها ذيول، فليس بمقدورنا إذاً أن نخمن أن بعض القطط ليس لها ذيول. وإذا كان صحيحاً أن بعض القطط ليس لها ذيول، فهذا لا يمكن أن يعني أيضاً أن كل القطط لها ذيول. وهذا ليس بمجرد موضوع قواعد فنية للاستدلال، بل هو موضوع المنطق السليم. ومع ذلك فالغالبية الغالبة من الترجمات الخاطئة للكتاب المقدس مردها الاستنتاج غير المنطقي من الكتاب المقدس.

موجز

١. الكتاب المقدس يفسر نفسه بنفسه.
٢. يجب تفسير الكتاب المقدس حرفياً.
٣. يجب تفسير الكتاب المقدس كأي كتاب آخر.
٤. الأجزاء الغامضة من الكتاب المقدس يتعين تفسيرها على أساس الأجزاء الأكثر وضوحا.
٥. المعنى الضمني يتوجب تفسيره على أساس المعنى الواضح.
٦. قواعد المنطق تحكم ما يمكن أن يُخمن أو يُستخلص بشكل معقول من الكتاب المقدس.

٩

التفسير الخاص

ثمة مبدآن خلفهما لنا التراث العظيم الذي ورثناه عن حركة الإصلاح الديني، أولهما مبدأ التفسير الخاص، وثانيهما مبدأ ترجمة الكتاب المقدس إلى لغة الشعب العامة. ولوثر نفسه هو الذي جعل الموضوع محل تركيز هائل.

حين ظهر لوثر أمام الدايت Diet of Worms (مجلس يتهمه بالهرطقة بسبب تعليمه) قال:

"ما لم أكن مقتنعا بالكتاب المقدس والمنطق الواضح السليم، أنا لا أقبل سلطات الباباوات والمجالس، لأن كل منها يناقض الآخر، فإن ضميري أسير كلمة الله. ولا أستطيع أن أنكر أي شيء، ولن أفعل ذلك، لأن التصرف ضد ما يمليه الضمير لا هو بالأمر الصحيح أو الآمن. ساعدني يا الله".

وإعلان لوثر هذا، وترجمته للكتاب المقدس إلى لغته الوطنية عقب ذلك، نجم عنها أمران: أولا، سلبت من الكنيسة الكاثوليكية الحق الذي كانت تنفرد به من حيث ترجمة الكتاب المقدس. ولم يعد الناس بعد تحت رحمة تعليم الكنيسة، ولن يضطروا بعد إلى قبول تقليد الكنيسة أو تعليمها باعتباره سلطة مساوية لسلطان كلمة الله. ثانيا، وضعت تفسيرا في أيدي الشعب. وهذا التغيير كان موضع جدل أكثر. ذلك أنه أدى إلى نفس المبالغات التي كانت موضع قلق الكنيسة الكاثوليكية – الترجمة الذاتية (غير الموضوعية) للنص تبعده عن الإيمان المسيحي التاريخي.

وكانت الذاتية الخطر الأكبر الناجم عن الترجمة الخاصة، ومع ذلك فإن مبدأ الترجمة الخاصة لا يعني أن لشعب الله الحق في ترجمة الكتاب المقدس بأية طريقة يرغبونها.

وبالإضافة إلى "الحق" في تفسير الكتاب المقدس تأتي مسئولية تفسيره على نحو سليم. فللمؤمنين حرية اكتشاف الحقائق المتعلقة بالأسفار المقدسة. ولكن ليس لهم حرية اختلاق الحق بحسب هواهم. فالمؤمنون مدعوون لفهم مبادئ الترجمة الصحيحة، وأن يتفادوا خطر الذاتانية.

فقرات كتابية للتأمل

نحميا ٨: ٨

٢تيموثاوس ٢: ١٥

٢تيموثاوس ٣: ١٤-١٧

عبرانيين ١: ١-٤

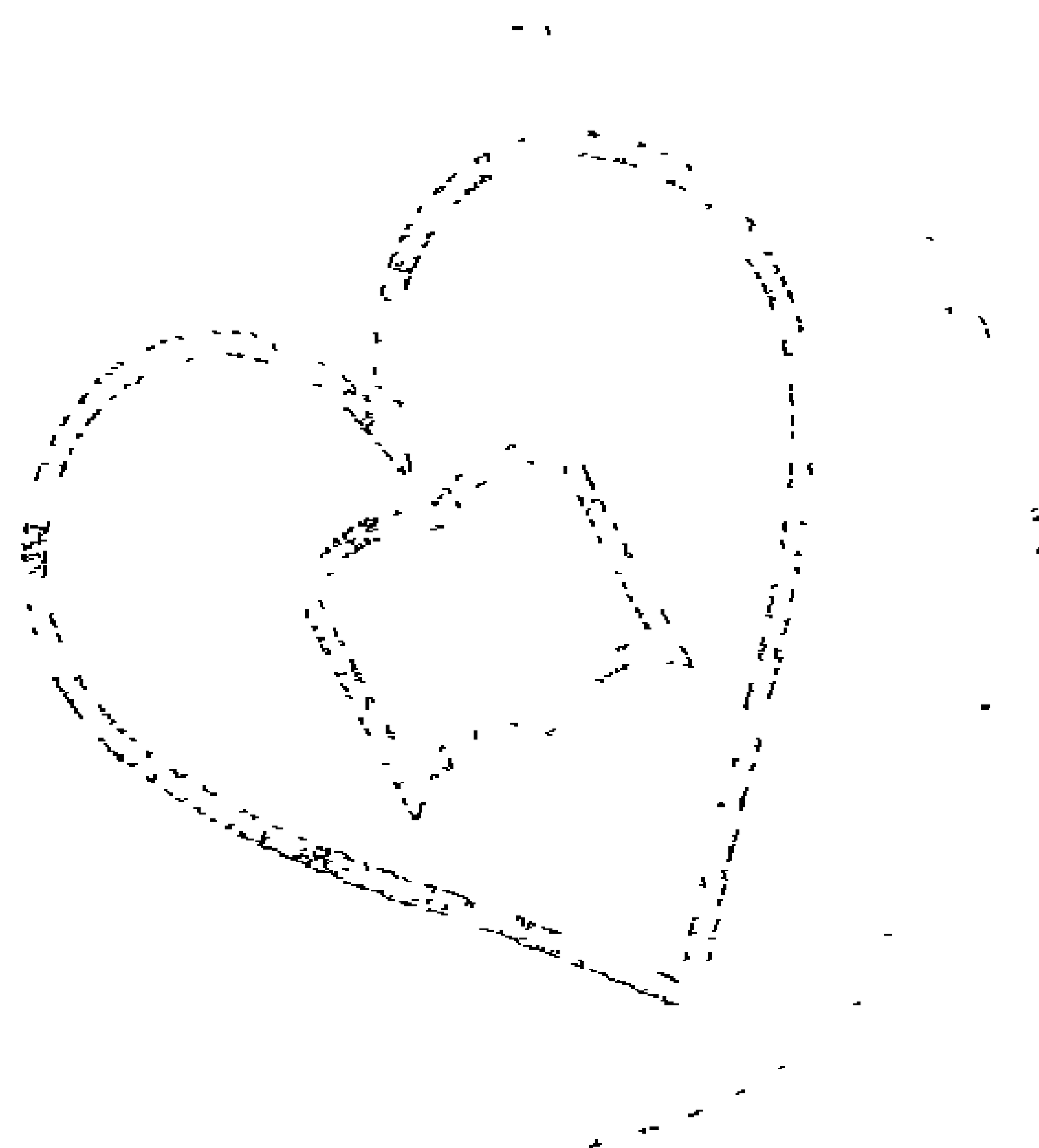
٢بطرس ١: ٢٠، ٢١

وسعينا من أجل فهم موضوعي للكتاب المقدس، ليس معناه أن نختزل الكتاب المقدس فنجعله شيئاً فاتراً، مجرداً لا حياة فيه. وما نفعله هو السعي لفهم ما تقوله كلمة الله في سياقها، قبل أن نشرع في العمل المساوي لذلك في الأهمية، ألا وهو تطبيقها على حياتنا. وقد يكون لقول معين تطبيقات شخصية عديدة محتملة، غير أنه لا يمكن أن يكون لها سوى معنى صحيح واحد. فحق تفسير الكتاب المقدس يصاحبه الالتزام بتفسيره على نحو صحيح. فالكتاب المقدس ليس "أنفاً من شمع" يمكن تشكيلها على نحو يناسب وجهة نظر المفسر.

موجز

١. أعطت حركة الإصلاح للكنيسة حق ترجمة للكتاب المقدس باللغة العامية، ولكل مؤمن الحق في ترجمة خاصة للكتاب المقدس وتحمل مسئولية ذلك.
٢. تقليد الكنيسة على الرغم من فائدته كدليل، إلا أنه لا يتمتع بسلطان مساو لسلطان الكتاب المقدس.
٣. التفسير الخاص ليس معناه تصريحاً لأسلوب الذاتانية.
٤. مبدأ التفسير الخاص يحمل معه التزام السعي من أجل تفسير سليم للكتاب المقدس.
٥. على الرغم من أن النص الكتابي قد يكون له تطبيقات عديدة، إلا أنه ليس له سوى معنى صحيح واحد.

الجزء الثاني



طبيعة الله وصفاته

١٠

عدم فهم الله

في إحدى الحلقات الدراسية في الولايات المتحدة طرح أحد الطلبة على المفكر اللاهوتي السويسري كارل بارت سؤالا جاء به: ما هو أهم شيء تعلمته في دراستك اللاهوتية؟ فكر د. بارت هنيهة ثم قال: "يسوع يحبني، وهذا أعرفه، لأن الكتاب المقدس يقول لي ذلك"*. قهقه الطلبة لهذه الإجابة البسيطة للغاية، غير أن ضحكهم كان من النوع العصبي ذلك أنهم شرعوا يدركون أن بارت كان جادا في كلامه.

لقد قدم بارت إجابة بسيطة لسؤال عميق جدا. وهو بهذا كان يلفت الانتباه إلى أمرين في غاية الأهمية. (١) إنه في أبسط حق مسيحي يكمن عمق يمكن أن يشغل أذهان أكثر الناس ذكاء طوال العمر. (٢) حتى في أعقد النواحي اللاهوتية التي نتعلمها، لا يمكن أن نرتفع إطلاقا فوق مستوى فهم الطفل للأعماق الغامضة لطبيعة الله وثرائها.

أما جون كالفن، فقد استخدم تشبيهاً آخر. وقال إن الله يتكلم معنا بنوع من اللغة البسيطة كلغة الأطفال، وكما يتكلم الوالدان "بلغة الأطفال" حين يكلمون أطفالهم الصغار، هكذا الله أيضاً، فبغية أن يتصل بنا نحن الجنس البشري الوضيع، كان لابد وأن يتنازل ويحدثنا كمن يحدث الأطفال.

وما من بشر لديه القدرة على أن يفهم الله بشكل تام. فهناك جدار ثابت يحول دون فهم الله بشكل تام وشامل. فنحن بشر محدودون، والله كائن غير محدود. وهنا تكمن مشكلتنا. فكيف يمكن للمحدود أن يلم بغير المحدود؟ كان المفكرون اللاهوتيون في العصور الوسطى يرددون عبارة أصبحت بديهية سائدة لكل دراسة لاهوتية لاحقة

* ترنيمة إنجليزية معروفة يرنمها الأطفال.

وهي: "لا يمكن للمحدود أن يفهم (أو يحتوي) غير المحدود". ومن الواضح أن الشيء غير المحدود لا يمكن أن يُحشر في حيز محدود.

هذه البديهية تشكل واحدة من أكثر التعاليم المسيحية المستقيمة أهمية. وهو تعليم غموض الله، وهذا التعبير يمكن أن يكون مضللاً. فقد يوحي لنا بأنه طالما أن المحدود لا يمكن أن "يفهم" غير المحدود، فعلى ذلك ليس بوسعنا أن نعرف شيئاً عن الله. وإذا كان الله فوق فهم الإنسان، ألا يستشف من هذا أن كل حديثنا الديني ما هو إلا ثرثرة لاهوتية، وأننا لا نخرج منه، في أفضل الحالات، إلا بمذبح لإله مجهول؟ وهذا ليس المقصود بأي حال. ذلك أن ما يكتنف الله من غموض لا يعني أننا لا نعرف شيئاً عنه. بل يعني بالأحرى أن معرفتنا به هي معرفة جزئية ومحدودة، وأبعد من أن تكون معرفة كاملة شاملة. والمعرفة التي يعطيها الله عن نفسه من خلال الوحي الإلهي هي معرفة حقيقية ونافعة. وبوسعنا أن نعرف الله بالدرجة التي يختار أن يعلن بها عن ذاته. فالمحدود بمقدوره أن "يفهم" غير المحدود، غير أن المحدود لا يمكنه إطلاقاً أن يمسك بغير المحدود في قبضته. فهناك دائماً الكثير عن الله مما لا يمكننا فهمه.

فقرات كتابية للتأمل

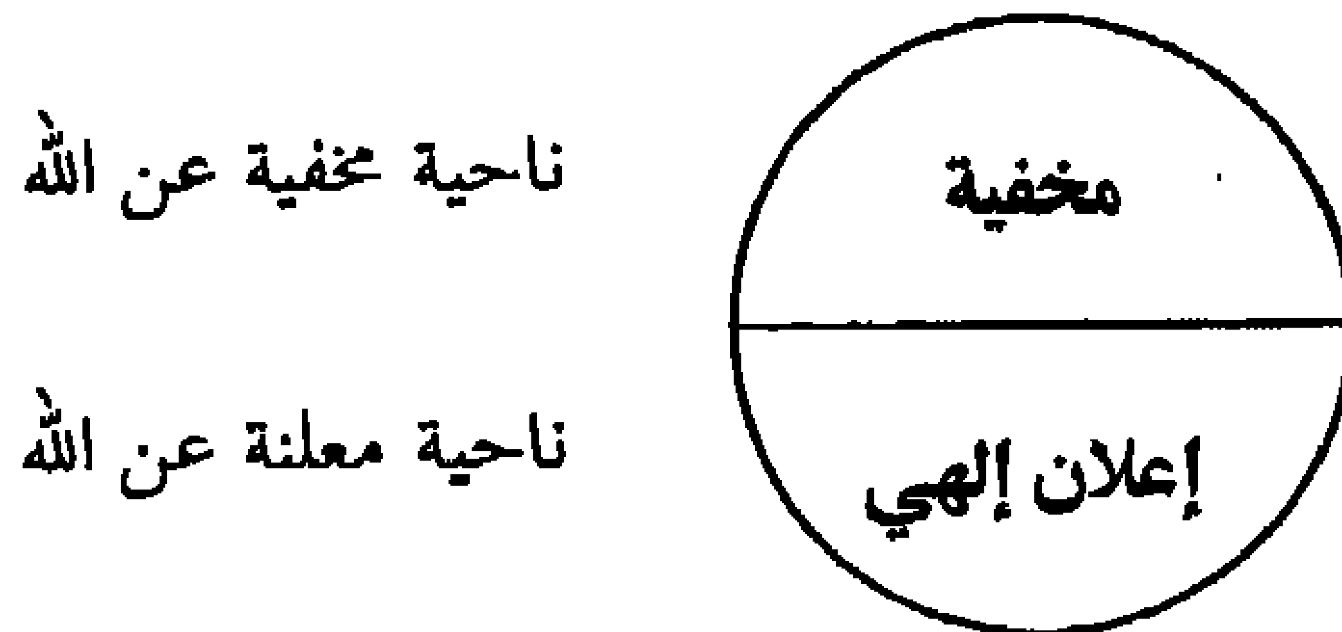
أيوب ٣٨: ١-٤١: ٣٤

مزمور ١٣٩: ١-١٨

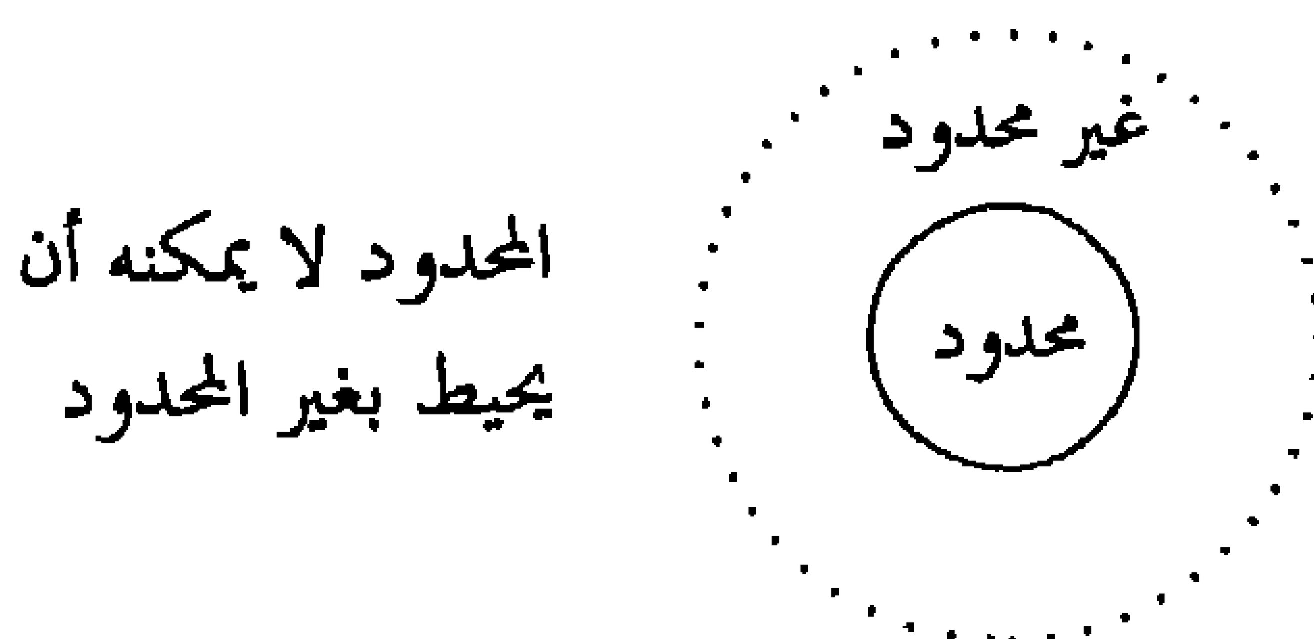
إشعياء ٥٥: ٨،٩

رومية ١١: ٣٣-٣٦

١كورنثوس ٢: ٦-١٦



ويعبر الكتاب المقدس عن هذا بقوله: "السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد" (تثنية ٢٩: ٢٩). ولقد أشار مارتن لوثر إلى ناحيتين تتعلقان بالله هما الناحيتان، المخفية والمعلنة. فجزء من المعرفة الإلهية يظل مخفياً عن أنظارنا. فنحن نعمل في ضوء ما أعلنه الله.



موجز

١. يوجد معنى عميق حتى في أبسط الحقائق المسيحية.

٢. مهما كانت معرفتنا بالنواحي اللاهوتيـة عميقـة، إلا أنـه سيكون هناك دائماً الكثير عن طبيعة الله وشخصه مما سيظل سراً بالنسبة لنـا.

٣. ما من بشر بوسعه أن تكون لديه معرفة شاملة عن الله.

٤. التعليم القائل بعدم إمكانية معرفة الله بشكل تام لا يعـني أنـه ليس بوسعنا أن نعرف عنه شيئاً، بـل يعـني أن معرفتنـا بـه محدودة، ومقيدة ببشريتنـا.

١١

الثالوث القدوس

تعليم الثالوث القدوس صعب علينا ومربك لنا. وأحياناً يُعتقد أن المسيحية تعلم فكرة غبية هي ١+١+١= ١. ومن الجلي أن هذه معادلة غبية. وتعبير "الثالوث" يصف علاقة، ليست بين ثلاثة آلهة، بل لإله واحد في ثلاثة أقانيم. والثالوث لا يعني تثليثاً، أي أن هناك ثلاثة كائنات هي معاً الله. وكلمة ثالوث تستعمل كجهد لتعريف ملء اللاهوت من ناحية وحدته وتنوعه.

والصيغة التاريخية للثالوث الأقدس هي أن الله واحد في الجوهر ولكن له ثلاثة أقانيم. وعلى الرغم من أن الصيغة غامضة، بل وتبدو متناقضة، إلا أنها لا تتضمن تناقضاً بأي حال. ذلك أن وحدة الله تتأكد من ناحية الجوهر أو الكينونة، في حين أن تنوع الألوهية تم التعبير عنه بالأقانيم.

وعلى الرغم من أن تعبير "الثالوث القدوس" ليس موجوداً في الكتاب المقدس، غير أنه من الجلي أن المفهوم موجود هناك. فالكتاب المقدس من ناحية، يؤكد بقوة وحدانية الله (تثنية ٦: ٤) إلا أنه من ناحية أخرى يؤكد بوضوح الألوهية التامة لأقانيم اللاهوت الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. وقد رفضت الكنيسة هرطقات الظهورات(*). والتثليث (أي القول بثلاثة آلهة).

فالظهورات ترفض التفريق بين أقانيم الإله الواحد، مدعية بأن الآب، والابن، والروح القدس ما هي إلا ظهورات يعبر بها الله عن نفسه. أما أصحاب هرطقة ثلاثية الله، فهم من ناحية أخرى يعلنون خطأ أنه يوجد ثلاثة كيانات هم معا الله.

وكلمة "أقنوم" لا تعني فرقا في الجوهر، بل وجودا مختلفا في الله. وجود في الألوهية يشكل اختلافا حقيقيا، ولكنه ليس اختلافا أساسيا

(*) القول بأن الله واحد لكنه مرة يظهر كالآب، ومرة كالابن، وثالثة كالروح القدس.

بمعنى الاختلاف في الكينونة. فكـل أقنـوم يوجـد في إطـار جوهـر الله الطاهر. والوجود هو اختلاف في إطار الكينونـة، وليـس الأقنـوم كائنـاً أو جوهراً منفصلاً. وأقانيم الله لكل منها صفـات اللـه.

هناك فرق أيضاً في العمل الذي عمله كـل أقنـوم في الثـالوث الأقـدس. فعمل الخلاص تشترك فيه أقانيم الله الثلاثـة. ومـع ذلـك فمـن ناحيـة النشاط، هناك عمليات مختلفة قام بها الآب، الابن، والـروح القـدس.

فقرات كتابية للتأمل

تثنية ٦: ٤

متى ٣: ١٦، ١٧

متى ٢٨: ١٩

٢كورنثوس ١٣: ١٤

١بطرس ١: ٢

فالآب يبدأ الخلق والفداء، والابن يفتدي الخليقة، والـروح القـدس يجـدد ويقدس، ويطبق الفداء على المؤمنـين.

والثالوث لا يشير إلى أجـزاء مـن الله أو حـتى إلى أدوار. والتشـبيهات البشرية كالقول بـأن رجـلاً واحـداً هـو أب، وابـن، وزوج في ذات الوقت لا توضح سر طبيعة اللـه.

وتعليم الثالوث لا يشـرح تمامـاً الطبيعـة الغامضـة لشـخص الله. بـل بالأحرى يضع الحدود التي لا يجب أن نتخطاهـا. وهـو يضـع حـدود تفكيرنا المحدود. وهو يطلب منا أن نكون أمناء بالنسـبة للإعـلان الإلهـي في الكتاب المقدس، بأن الله من ناحية مـا "واحـد" وبمعـنى آخـر فـهو ثلاثـة.

موجز

١. تؤكد عقيدة الثالوث القدوس أن الله مثلث الأقانيم.
٢. عقيدة الثالوث القدوس ليست تناقضاً: فالله واحـد في الجوهـر ولـه ثلاثة أقانيـم.
٣. يؤكد الكتاب المقدس وحدانية الله وألوهيـة الآب والابـن والـروح القـدس.
٤. الثالوث الأقدس يميز بالعمل الذي قام به الآب والابن والروح القدس.
٥. عقيدة الثالوث تضع حدود التفكير البشري عـن طبيعـة الله.

١٢

الله كائن في ذاته

حين يعلن الكتاب المقدس أن الله خالق الكون فهو يشير بذلك إلى أن الله نفسه ليس مخلوقا. وهناك فرق كبير بين الخالق والخليقة، فالخليقة تحمل سمة الخالق وتشهد بعظمته. لكن الخليقة ما كان لها أن تعبد إطلاقا. فهي ليست الأسمى.

ويستحيل على أي شيء أن يخلق نفسه. ومفهوم خلق الذات فيه تناقض من حيث تعريفه، وهو عبارة ليس لها معنى. وإني أطلب من القارئ أن يتوقف برهة ويفكر قليلا. ما من شيء يمكنه أن يكون قد خلق ذاته. بل وحتى الله لا يمكن أن يكون قد خلق نفسه. فلكي يخلق الله نفسه، كان لابد أن يكون له وجود قبل أن يوجد. وحتى الله لا يستطيع عمل ذلك.

وكل نتيجة لابد وأن يكون لها سبب، وهذا صحيح على حسب التعريف. ولكن الله ليس نتيجة. ولم تكن له بداية، ولذلك لم يكن هناك سبب يسبقه. وهو أبدي، كان دائما، وهو يكون دائما. وله في داخل نفسه قوة الكينونة. وهو لا يحتاج إلى مساعدة من مصادر خارجية كي يستمر في الوجود. وهذا هو المقصود بفكرة ذاتي الوجود، وهذا مفهوم سامق ومهيب.

ولكن هل لأنه من المستحيل (بحسب التعريف) أن يكون الإنسان ذاتي الوجود، يصبح من المستحيل على الخالق أن يكون ذاتي الوجود؟ والله مثلنا، لا يمكن أن يكون قد خلق ذاته. غير أن الله، على العكس منا، يمكن أن يكون له وجود ذاتي. والواقع، أن هذا نفس جوهر الفرق بين الخالق والخليقة. وهذا هو ما يجعله الكائن الأسمى، ومصدر كل الكائنات الأخرى.

ومفهوم الوجود بذاته لا ينتهك أي قانون للعقل أو المنطق أو العلم. وهذه فكرة صحيحة ومعقولة. وعلى العكس من ذلك، فإن مفهوم

الخلق الذاتي ينتهك أكثر القوانين الجوهرية للعقل والمنطق والعلم، قانون عدم التناقض. والوجود الذاتي أمر طبيعي، أما خلق الذات فهذا أمر غير معقول.

وفكرة أن شيئاً ما يكون موجوداً بذاته ممكنة من الوجهة العقلانية، بل إنها أمر ضروري من الناحية العقلانية. وهنا يقول العقل إنه إذا كان شيء له وجود، إذا هناك شيء لابد وأن يكون له، في ذاته، قوة الوجود. وإلا لن يكون هناك شيء. وما لم يوجد شيء في حد ذاته، فلن يمكن لشيء أن يوجد على الإطلاق.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ٩٠: ٢

يوحنا ١: ١-٥

أعمال ١٧: ٢٢-٣١

كولوسي ١: ١٥-٢٠

رؤيا ١: ٨

ولعل أقدم وأعمق سؤال هو: لماذا يوجد شيء وليس لا شيء؟ والإجابة الضرورية على الأقل لجزء من السؤال هي أن ذلك مرده أن الله موجود. والله موجود بذاته إلى الأبد. فهو مصدر ومنبع كل وجود. وهو وحده الذي له في ذاته قوة أن يكون. ويعلن بولس اتكالنا على قوة وجود الله من أجل وجودنا، وذلك حين قال: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال ١٧: ٢٨).

موجز

١. كل نتيجة لابد وأن يكون لها سبب.
٢. والله ليس نتيجة، فليس له سبب.
٣. خلق الذات مفهوم غير معقول.
٤. الوجود الذاتي مفهوم معقول.
٥. الوجود الذاتي ليس ممكناً من الناحية المعقولة فقط، بل إنه ضروري من الناحية العقلانية.

١٣

الله كلي القدرة

كل مفكر لاهوتي لابد إن آجلاً أو عاجلاً أن يواجه بسؤال يطرحه عليه أحد الطلبة على أنه سؤال إجابته مستحيلة. والسؤال الحقيقي هو: هل يستطيع الله أن يخلق صخرة كبيرة لدرجة أنه لا يستطيع تحريكها؟ وللوهلة الأولى يبدو أن هذا السؤال يجعل المفكر يعجز أمام مشكلة لا حل لها. فإذا قلنا نعم، فهذا معناه أن هناك شيئاً لا يستطيع الله عمله: لا يستطيع تحريك الصخرة. وإذا قلنا لا، فهذا يعني أننا نقول إن الله لا يستطيع أن يُوجد مثل هذه الصخرة. فأياً كانت إجابتنا فنحن مضطرون على أن نضع حدودا لقدرة الله.

هذه المشكلة تشابه المشكلة الأخرى: ما الذي يحدث إذا ما اصطدمت قوة لا تقاوم بشيء لا يمكن تحريكه؟ بوسعنا أن نتصور قوة لا تقاوم. وبالمثل يمكننا تصور شيء لا يمكن تحريكه. أما الذي لا نستطيع تصوره هو تعايش الاثنين معا. فإذا حدث أن تقابلت قوة لا تقاوم مع شيء لا يمكن تحريكه، وتحرك هذا الشيء، فلا يمكن أن يوصف، على نحو صحيح، بأنه لا يمكن تحريكه. أما إذا لم يتحرك هذا الشيء، إذا لا يمكن بعد أن نطلق على وجه صحيح على القوة بأنها "لا تقاوم". من هذا يتبين لنا أن الواقع لا يمكن أن يحتوي على الاثنين، قوة لا تقاوم، وشيئا لا يمكن تحريكه.

في غضون ذلك، نعود إلى الصخرة التي لا يمكن زحزحتها. والمشكلة هنا (كما في حالة القوة التي لا تقاوم) هي مشكلة زائفة. فهي تفترض أن "كلي القدرة" معناها أن الله يستطيع أن يعمل أي شيء؟ ومع ذلك، فهي كتعبير لاهوتي لا تعني أن الله يمكنه عمل أي شيء. ويشير الكتاب المقدس إلى عدة أشياء لا يمكن لله القيام بها. فهو "لا يمكن أن يكذب" (عبرانيين ٦: ١٨). ولا يمكن أن يموت. ولا يمكن أن يكون أبديا ومخلوقا. ولا يستطيع العمل ضد طبيعته. ولا يمكن أن يكون الله، ولا يكون الله في ذات الوقت.

أما الذي تعنيه عبارة "كلـــي القـــدرة" بـــالفعل فـــهي أن الله لـــه كـــل السلطان على خليقته. وما من جزء من خلقه يخرج عـــن نطـــاق ســيطرته الإلهية. ولذا، فهناك إجابة صحيحة لمشـــكلة الصخـــرة. والبندقـــة يمكـــن كسرها. والإجابة هي لا. فالله لا يســـتطيع أن يخلـــق صخـــرة كبـــيرة إلى درجة أنه لا يستطيع أن يحركها. لمـــاذا؟ لأنـــه إذا بـــنى الله مثـــل هـــذه الصخرة فإنه بذلك يخلق شيئاً ليس في نطاق قوتـــه. وهـــو بذلـــك يدمـــر ما يتسم به من أنه "كلي القدرة". والله لا يســـتطيع أن يتوقـــف عـــن أن يكون الله، ولا يمكن ألا يكون كلـــي القـــدرة.

حين تحيرت مريم العذراء مما قاله المـــلاك جـــبرائيل لهـــا عـــن أنهـــا ســـتحبل بيسوع، قال لها الملاك: "ليس شيء غير ممكـــن لـــدى الله" (لوقـــا ١: ٣٧). وبهذا كان الملاك يذكر مريم بأن الله كلـــي القـــدرة. وأحســـب أنـــه حـــتى الملائكة يمكن أن تستخدم صيغة المبالغة. وإذا تأملنـــا الكـــلام بـــأفق ضيـــق، يكون الملاك قد عبر عن فكـــر لاهـــوتي ســـيئ. غـــير أن المفـــهوم الكتـــابي الأوسع يشير إلى معنى أن قوة الله تفوق كثـــيراً قـــوة المخلـــوق. فمـــا قـــد يكون مستحيلاً بالنسبة لنا، هو ممكن عنـــد اللـــــه.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١٧: ١

مزمور ١١٥: ٣

رومية ١١: ٣٦

أفسس ١: ١١

عبرانيين ١: ٣

والقول بأنه ليس شيء غير ممكن لـــدى الله يعـــني أن بمقـــدوره أن يعمـــل كل ما يشاء. فقوته لا تحدها حدود. فلا شيء، أو ما مـــن شـــيء يمكنـــه أن يقيد قدرته. ومع ذلك فإن قدرته مقيدة بماهيتـــه ومـــن هـــو. الخطيـــة مستحيلة عنده، لأن المرء لا يســـتطيع عمـــل الخطيـــة دون أن يرغـــب في ذلك. ولكن الله لا يمكنـــه أن يرتكـــب الخطيـــة، لأنـــه لا يشـــاء ذلـــك إطلاقاً. وقد سبر أيوب غور هذا الموضوع حين قال: "قـــد علمـــت أنـــك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمـــر" (أيـــوب ٤٢: ٢).

وقدرة الله على كل شيء ســـبب تعزيـــة للمســـيحي. ونحـــن نعـــرف أن نفس القوة التي أظهرها الله عند خلقه الكون هي تحـــت تصرفـــه ليضمـــن لنا خلاصنا. وقد أظهر هذه القوة في الخروج مـــن مصـــر. وأظـــهر قوتـــه على قهر الموت بقيامة المسيح. ونعرف أنـــه مـــا مـــن جـــزء في الخليقـــة يمكنه أن يحبط خططه من أجل المستقبل. ولا توجـــد جزئيـــات خارجـــة عن إطارها، وأصبحت طليقـــة في الكـــون ويحتمـــل أن تحبـــط خططـــه. وعلى الرغم من أن قوى هذا العالم تهـــدد بـــالانحلال، إلا أننـــا لا نخشـــى

شيئاً. بوسعنا أن نشعر بالارتياح لمعرفتنا أنه ما من شيء يستطيع أن يتحدى قوة إلهنا. فهو القادر على كل شيء.

موجز

١. كلي القدرة لا تعني أن الله يقدر أن يعمل كل شيء. فهو لا يستطيع أن يعمل شيئاً ضد طبيعته.
٢. "كلي القدرة" تشير إلى قدرة الله وسلطانه وسيطرته على خليقته.
٣. كلي القدرة: على الرغم من أنها تشكل تهديداً للأشرار، إلا أنها مصدر راحة للمؤمن.
٤. نفس القدرة التي أظهرها الله عند خلقه العالم تظهر في فدائنا.
٥. ما من شيء في الكون يستطيع أن يحبط خطط الله أو يفشلها.

١٤

وجود الله في كل مكان

الإسراء الروحي وهم. فقـد يدعـي النـاس أنـه بوسـعهم أن يـتركوا أجسادهم ويقوموا برحـلات إلى كاليفورنيـا أو الهنـد، ثم يعـودوا دون استخدام قطارات، أو طائرات، أو سفن، غير أهم حـين يدعـون ذلـك فإما أهم مخدوعون أو مخادعون. ومـع ذلـك، فحـتى إذا كـان يمكـن عرض نفس الإنسان وروحه على هذا النحو ليطـوف حـول العـالم، إلا أن مثل هذه الرحلات لا يمكن أن تتضمن سوى محطـة واحـدة في كـل مرة. ذلك أن أرواحنا نحن البشر ما زالت محـدودة، ولـن تسـتطيع الآن، ولا في المستقبل، أن تكون على الإطلاق في أكثر مـن مكـان واحـد في ذات الوقت، فالروح غير المحدودة هي التي تسـتطيع أن تتواجـد في كـل مكـان.

وحين نتحدث عن وجود الله في كل مكان، فنحـن عـادة مـا نقصـد بهذا أن وجوده هو في كل مكان. فلا يوجد مكـان لا يوجـد فيـه الله. ومع ذلك، فإن الله كـروح، لا يشـغل أي مكـان، بمعـنى أن الأشـياء المادية هي التي تشغل مكاناً. فالله ليسـت لـه سمـات ماديـة يمكـن أن تشغل مكاناً. ومفتاح هذا التنـاقض الظـاهري هـو أن تفكـر في بُعـد آخر. فالحاجز الذي يفصلنا عن الله ليس حاجز مكـان أو زمـان. فلكـي تقابل الله، لا يوجد "أين" تذهب إليه، أو "مـتى" يحـدث ذلـك. فلكـي تكون في محضر الله مباشرة هو أن تدخل في بعـد آخـر.

وهناك ناحية أخرى فيما يتعلق بوجـود الله في كـل مكـان كثيراً مـا نغفل عنها. ذلك أن "كل omni" لا تتعلـق فقـط بأمـاكن وجـود الله، بل أيضاً بمقدار ما يتواجد منه في مكان معين. فالله ليـس موجـوداً فقـط في كل مكان، بل هو موجود بالكامل في كل مكان. وهـذا مـا يُسـمى "ضخامته". فالمؤمنون الذين يعيشون في نيويورك يتمتعـون بمـلء وجـود الله، في حين أن المؤمنين في موسكو يتمتعون بنفـس الشـيء. فضخامتـه

لا تشير إلى حجمه، بل إلى قدرته على أن يكون موجوداً بالتمام في كل مكان.

وعقيدة وجود الله في كل مكان، من اللائق أن تملأنا خشية. فإلى جانب التوقير الذي تولده فينا، فقد ثبت أن هذا التعليم يعزينا. فبمقدورنا أن نكون متأكدين في كل وقت من عناية الله الكاملة. فلن نحتاج إطلاقاً إلى الوقوف في طابور أو نحصل على ميعاد كي نكون مع الله. وحين نكون مع الله، لا يكون مشغولاً بالأحداث التي تقع في الجانب الآخر من العالم. وهذه العقيدة ليست مريحة على الإطلاق لغير المؤمنين. فلا يوجد مكان يختبئون فيه من الله. ولا يوجد أي مكان في العالم لا يُوجد فيه الله. فحتى الأشرار في جهنم لم ينفصلوا عن الله بل عن إحساناته، أما غضبه فيصاحبهم دائماً.

فداود الذي كثيراً ما كان يمجد وجود الله في كل مكان (كما في المزامير) يقدم لنا موجزاً شعرياً لهذا التعليم:

"أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. وإن فرشت في الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر. فهناك تهديني يدك وتمسكني يمينك" (مزمور ١٣٩: ٧-١٠).

فقرات كتابية للتأمل

١ملوك ٨: ٢٧

أيوب ١١: ٧-٩

إرميا ٢٣: ٢٣-٢٤

أعمال ١٧: ٢٠-٣١

موجز

١. الروح غير المحدودة فقط هي التي تستطيع أن توجد في كل مكان.
٢. الله لا يقيده زمان أو مكان. فكينونته تسمو على الزمان والمكان.
٣. وجود الله في كل مكان يتضمن ضخامته التي بواسطتها يستطيع أن يوجد بملئه في كل زمان وفي كل مكان.
٤. وجود الله في كل مكان يشكل تعزية للمؤمن، ورعباً لغير المؤمن.

١٥

علم الله بكل شيء

أول مرة أسمع فيها عن مفهوم "العلم بكل شيء" كانت مرتبطة بمعرفتي في طفولتي بسانتا كلوز، فقد قيل لي أنه "يعمل قائمة ويراجعها مرتين". كنت أعتقد أيضاً أن إيستر بوني كان يعيش في العلية (الصندرة) وذلك في موسم الأجازات حيث يستطيع أن يراقبني دون أن أراه.

وكلمة "كلي المعرفة" تعني أن لديه كل (omni) العلم (science). وهذا مصطلح كان من اللائق أن يُقال عن الله فقط. فالكائن الغير محدود الأبدي، هو الذي يقدر أن يعرف كل شيء. أما معرفة المخلوق المحدود فدائماً تكون محدودة بكائن محدود.

ولما كان الله غير محدود، فمن ثم يقدر أن يدرك كل شيء، ويفهم كل شيء، ويعرف كل شيء. وهو لا يتعلم إطلاقاً أي شيء أو يكتسب معرفة جديدة. ذلك أن المستقبل كما الماضي والحاضر معروف لديه ولا يفاجئه أي شيء.

ولأن معرفة الله تفوق معرفتنا بما لا يُحد (لأنها من نوعية أسمى) فقد حمل ذلك بعض المسيحيين على الاعتقاد بأن تفكيره يختلف جذرياً من حيث النوعية، عن تفكيرنا. وعلى سبيل المثال، أصبح من الشائع للمسيحيين أن يؤكدوا أن الله يعمل بمنطق مغاير يختلف عن منطقنا. وهذا المفهوم يكون مريحاً حين تصادفنا عقبات غير متوقعة في فكرنا اللاهوتي. وإذا وجدنا أنفسنا نؤكد قطبي التناقض معاً، بوسعنا أن نهدئ من توترنا بالاستناد إلى نظام المنطق المختلف الذي يتبعه الله. ونقول بكل بساطة: "هذا قد يكون متناقضاً بالنسبة لنا، لكنه ليس كذلك في فكر الله".

وهذه النوعية من التفكير خطر على المسيحية. لماذا؟ لأنه إذا كان لله حقيقة منطق يجعل ما هو متناقض بالنسبة لنا منطقي بالنسبة له، هنا لا

يكون لدينا مبرر للثقة في كلمة واحدة من الكتاب المقدس. فكل ما يقوله لنا الكتاب المقدس قد يعني العكس منه تماماً بالنسبة لله. ففي فكر الله قد لا يكون الخير والشر متعارضين، وضد المسيح قد يكون حقاً هو المسيح.

ومعرفة الله السامية تسمح له أن يكون قادراً على حل الأسرار التي تحيرنا. لكن هذا يشير إلى اختلاف في الدرجة بالنسبة لمعرفة الله، وليس اختلافاً في نوعية المنطق الذي يستخدمه. ولأن الله سليم التفكير، فلذلك حتى هو لا يستطيع التوفيق بين المتناقضات.

ومعرفة الله بكل شيء نابعة أيضاً من كونه موجوداً في كل مكان. فليست معرفة الله بكل شيء ترجع ببساطة إلى أنه استخدم عقله السامي لدراسة رزينة للكون ولكل ما فيه. بل إن الله يعرف بالأحرى كل شيء لأنه خلق كل شيء، كما أن كل شيء كان بحسب مشيئته. وكسيد سيطر على الكون، فإن الله يتحكم في الكون. وعلى الرغم من أن بعض المفكرين اللاهوتيين حاولوا الفصل بين الأمرين، فإنه يستحيل على الله أن يسيطر على كل شيء دون أن يعرف كل شيء. ومثل بقية سمات الله، فإن كلا الأمرين يتوقف على الآخر، وهما جزءان مهمان من الكل.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ١٤٧: ٥

حزقيال ١١: ٥

أعمال ١٥: ١٨

رومية ١١: ٣٣-٣٦

عبرانيين ٤: ١٣

وعلم الله بكل شيء مثل قدرته على كل شيء، ووجوده في كل مكان أمر يتعلق أيضاً بالزمن. ومعرفة الله مطلقة، بمعنى أنه يدرك دائماً كل شيء. وفكر الله يختلف عن فكرنا من ناحية أنه ليس في حاجة إلى أداة توصله إلى المعلومات، مثل الحاسب (الكمبيوتر) عند استرجاعه أحد الملفات. فكل معرفة هي معرفة مباشرة لدى الله.

ومعرفة الله بكل شيء تُعد سيفاً ذا حدين. ذلك أنها تقدم أماناً للمؤمن، بأن الله مسيطر على كل شيء، وأنه يدرك كل شيء. فالله لا تربكه المشاكل التي تربكنا. ومع ذلك فإنه بالنسبة لغير المؤمن تبرز هذه الحقيقة أن الناس لا يمكنهم أن يختبئوا من الله فخطاياهم مكشوفة. وهم على غرار آدم، يحاولون الاختباء، ومع ذلك فليس

هناك أي مكان في العالم ليس في نطاق رؤية الله، سواء أكانت نظرة حب أو غضب.

وعلم الله بكل شيء يُعد أيضاً جزءاً جوهرياً من وعد الله لتحقيق العدالة في العالم. ذلك أنه يتوجب على القاضي معرفة كل الحقائق قبل إصدار حكمه العادل. ولا يمكن إخفاء دليل حتى لا يراه الله. وكل الظروف القانونية التي يمكن أن تخفف العقوبة معروفة لديه.

موجز

١. معرفة كل شيء تعني كل معرفة.
٢. الكائن غير المحدود هو فقط الذي بوسعه أن يمتلك معرفة غير محدودة.
٣. معرفة الله أسمى من معرفة خلائقه، لكنها من نفس المنطق.
٤. أن تنسب لله نوعية مختلفة من المنطق يُعد أمراً خطيراً على المسيحية.
٥. معرفة الله بكل شيء تقوم على أساس عدم محدوديته وقدرته على كل شيء.
٦. ومعرفة الله بكل شيء أمر جوهري لدوره كديان العالم.

١٦

قداسة الله

أول صلاة تعلمتها وأنا طفل هي صلاة بسيطة تُقال قبل تناول الطعام وهي: "الله عظيم، وصالح. ونشكر الله من أجل هذا الطعام".

والفضيلتان المنسوبتان إلى الله في هذه الصلاة وهما العظمة والصلاح، يمكن جمعهما في كلمة كتابية واحدة: قدوس. وحين نتحدث عن قداسة الله، فمن عادتنا أن نربط بينها وبشكل يكاد يكون على وجه القصر وبين نقاء الله وبره. ومن المؤكد أن فكرة القداسة تتضمن هاتين الفضيلتين، لكنهما ليستا المعنى الأساسي للقداسة.

والكلمة الكتابية "قدوس" لها معنيان واضحان. المعنى الأساسي هو "العزل" أو "الاختلاف". وحين نقول إن الله قدوس، فنحن بهذا نلفت الانتباه إلى الفرق العميق بينه وبين كافة مخلوقاته. وهي تشير إلى عظمة الله الفائقة، وسموه المهيب، والذي بفضله يستحق الإكرام والتبجيل والتوقير والعبادة. فهو "آخر"، أو مختلف عنا في مجده. وحين يتكلم الكتاب عن أشياء مقدسة، أو عن أناس قديسين، أو عن أوقات مقدسة، فهو يشير بذلك إلى أشياء عزلت، كرمت، أو جعلت مختلفة نتيجة لمسة الله لها. والأرض التي كان موسى واقفا عليها بجوار العليقة كانت أرضا مقدسة لأن الله كان موجودا هناك بشكل خاص. وقرب القدوس هو الذي جعل من العادي، على حين غرة، شيئا غير عادي، والشائع، غير شائع.

والمعنى الثاني لكلمة "قدوس" يشير إلى طهارة أعمال الله وبره. فالله يعمل ما هو حسن، ولا يعمل ما هو خطأ أبدا. والله يعمل دائما بطريقة صالحة لأن طبيعته مقدسة. وهكذا، بوسعنا أن نميز بين بر الله "الداخلي" (طبيعته المقدسة) وبره الخارجي (أعماله).

وبالنظر إلى أن الله قدوس. فهو عظيم وصالح، وصلاحه لا يختلط به أي شر. وحين ندعى لنكون قديسين، فلا يعني هذا أننا نشارك في

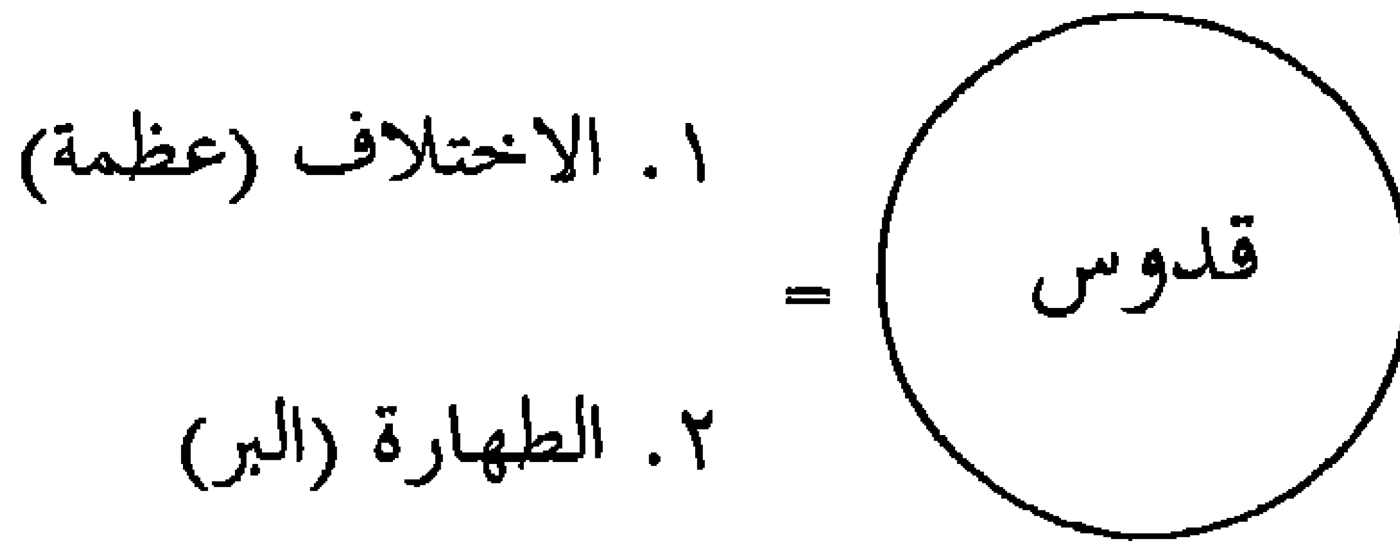
عظمة الله الإلهية، بل أن نكون مختلفين عن خالة السقوط العادية التي أصبحنا عليها بعد الخطية. فقد دعينا إلى أن نعكس طبيعة الله الأدبية وعمله. وعلينا أن نقتدي بصلاحه.

موجز

١. القداسة لها معنيان مختلفان: (١) الاختلاف أو "العزل"، (٢) أعمال الطهارة والبر.

فقرات كتابية للتأمل

خروج ٣: ١-٦
١صموئيل ٢: ٢
مزمور ٩٩: ١-٩
إشعياء ٦: ١-١٣
رؤيا ٤: ١-١١



٢. دُعينا أن نكون قديسين، لنعكس بر الله وطهارته.

١٧

صلاح الله

من بين أمتع اللحظات التي تمر على المرء، تلك التي يشاهد فيها جرواً أو قطة صغيرة تطارد ظلها. وهي تحاول أن تمسك به دون جدوى. فحين تتحرك يتحرك ظلها معها. ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لله.

ويقول يعقوب: "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يعقوب ١: ١٧).

فالله لا يتغير إطلاقاً. وليس عنده "ظل دوران". وهذا لا يعني فقط أن الله غير مادي ومن ثم لا يمكن أن يكون له ظل، بل ويعني أيضاً أنه ليس له جانب به ظل بالمعنى المجازي أو الأدبي. فالظلال تشير إلى الظلمة، والظلام بالمعنى الروحي يشير إلى الشر. وبالنظر إلى أنه لا يوجد شر في الله، فلا توجد أية لمحة من الظلمة أيضاً. فهو أبو الأنوار.

وحين أضاف يعقوب في قوله عن الله: وليس عنده "ظل دوران" فيكفي أن نفهم هذا القول على أنه يشير إلى شخصية الله غير المتغيرة والثابتة. وهذه أيضا إشارة إلى طبيعته.

فالله ليس كلي الصلاح فقط. بل إنه صالح باستمرار. فالله لا يعرف أن يكون أي شيء سوى أن يكون صالحا.

والصلاح مرتبط بالله ارتباطا وثيقا للغاية حتى إن فلاسفة الوثنيين مثل أفلاطون كانوا يرون أن الصلاح المطلق، أو الأسمى يساوي الله نفسه. وصلاح الله يشير إلى طبيعته كما يشير إلى سلوكه. وأعماله تبدأ وتتدفق من كيانه. وهو يعمل طبقا لما هو عليه. وكما أن الشجرة الردية لا يمكن أن تصنع ثمرا جيدا، فإن إلها غير فاسد لا يمكن أن يصنع ثمرا فاسدا.

وناموس الله يعكس صلاحه. وقد قيل إن الله صالح ليس لأنه يطيع ناموساً كونياً خارج نفسه، يحكم عليه، أو لأن الله حدد الصلاح حتى يستطيع أن يتصرف بطريقة غير صالحة، وبقوة سلطانه فحسب يعلن أن أعماله صالحة. فصلاح الله ليس اعتباطياً أو هوائياً.

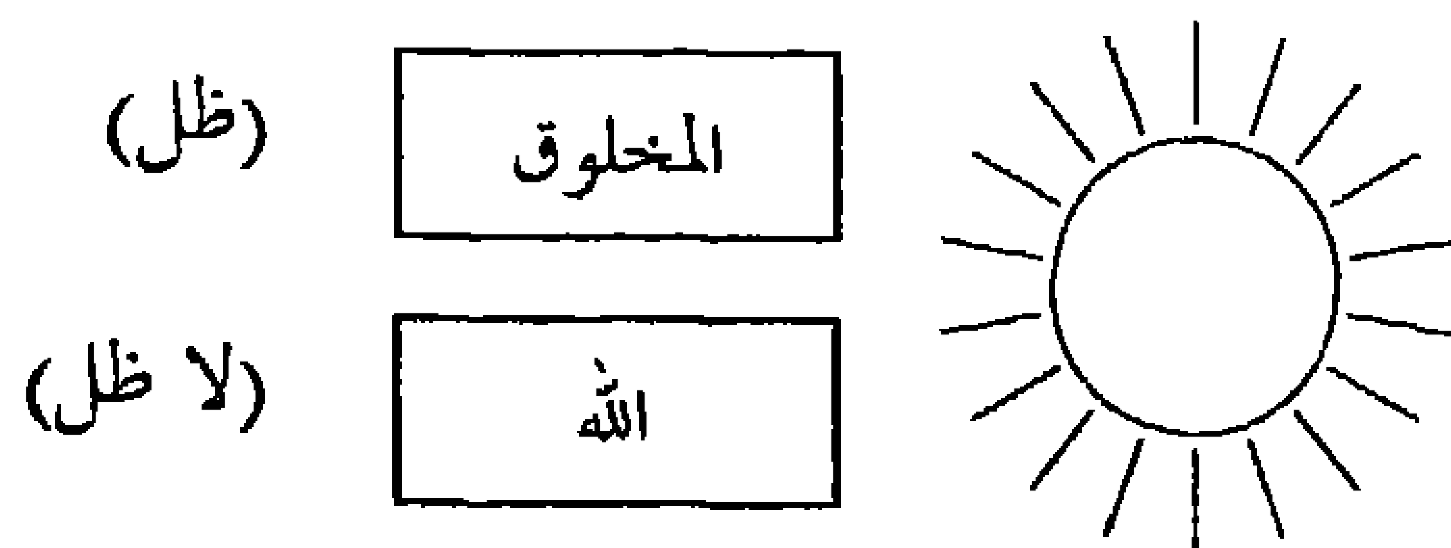
والله يخضع لناموس بالفعل، غير أن الناموس الذي يطيعه هو ناموس طبيعته هو. فهو يتصرف دائماً طبقاً لطبيعته، والتي هي صالحة بشكل أبدي وجوهري ولا تتغير إطلاقاً. ويعلّم يعقوب بأن كل عطية صالحة وتامة هي من عند الله. فليس هو المعيار الأساسي للصلاح فحسب، بل هو مصدر كل صلاح. ومن أشهر آيات العهد الجديد تلك الآية الواردة في رومية ٨: ٢٨ والتي تقول "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده".

وهذا النص الذي يتحدث عن العناية الإلهية صعب فهمه. بقدر ما هو مشهور. فإذا كان الله قادرا على أن يجعل كل الأشياء التي تحدث لنا تعمل معا للخير من أجلنا، إذا كل ما يحدث لنا هو في النهاية خير لنا. وعلينا أن نحرص على أن نشدد هنا على كلمة "في النهاية". فعلى المستوى الأرضي قد تكون الأشياء التي تحدث لنا شرا في الواقع. (علينا أن نحرص على ألا نقول على الخير شرا، أو على الشر خيرا). فنحن نواجه البلايا، والبؤس والظلم وحشدا من الشرور الأخرى، ومع ذلك فإن الله في صلاحه يسمو على كل هذه الأمور ويجعلها تعمل من أجل خيرنا. وبالنسبة للمسيحي، فلا توجد مآس "في النهاية". فعناية الله تعمل في النهاية لكي تجعل كل هذه الشرور من أجل صالحنا النهائي.

ولقد فهم مارتن لوثر هذه الناحية من عناية الله الصالحة ولذلك قال: "إذا قال لي الله أن آكل الروث من الشوارع، فإني لن آكله فحسب، بل سأعرف أن ذلك كان من أجل خيري".

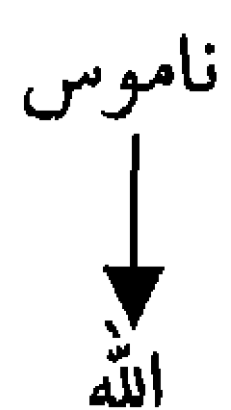
موجز

١. للإنسان ظلال تطرحها ظلمة الخطية.



٢. لا يوجد ظل لله.

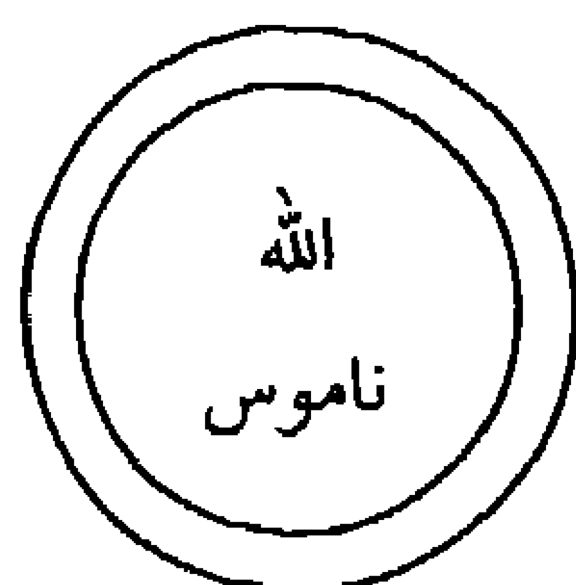
٣. الله ليس تحت أي ناموس.



٤. الله ليس بمعزل عن الناموس.

ناموس / الله

٥. الله ناموس لنفسه.



فقرات كتابية للتأمل

خروج ٣٤: ٦،٧

مزمور ٢٥: ٨-١٠

مزمور ١٠٠: ١-٥

رومية ٨: ٢٨-٣٩

يعقوب ١: ١٧

١٨

عدالة الله

"العدالة" كلمة نسمعها كل يوم. ونحن نستخدمها في العلاقات الشخصية والمواثيق الاجتماعية، وفي التشريع، وفي أحكام القضاء في المحاكم. وعلى الرغم من أن الكلمة شائعة، إلا أنها أربكت الفلاسفة الذين سعوا لإيجاد تعريف كاف لها.

وأحياناً نربط أو نساوي بين العدالة وما يُكتسب أو يُستحق. نتحدث عن أناس نالوا ما يستحقونه بعدالة، سواء من ناحية المكافآت أو العقوبات، ولكن المكافآت لا تقوم دائماً على أساس الاستحقاق. ولنفترض أننا أقمنا مسابقة لاختيار ملكة الجمال، وأعلنا أننا سنقدم جائزة لمن تُعد الأكثر جمالاً. فإذا كسب الجمال الجائزة، فليس هذا مرده لأن هناك استحقاق في كون المتسابقة جميلة. بل العدالة تكون بالأحرى إذا ما نالت أجمل المتسابقات الجائزة عن استحقاق. فإذا أعطى القضاة أصواتهم لمتسابقة لا تُعد الأكثر جمالاً (وذلك لأسباب سياسية أو لرشوتهم) هنا تكون نتيجة المسابقة غير عادلة.

ولأسباب كالتي ذُكرت سابقاً، حدد أرسطو العدالة بأنها: "إعطاء الشخص استحقاقه" (أو استحقاقها). وما يستحق يمكن تحديده بالتزامات أخلاقية، أو على أساس اتفاق مسبق. وإذا عوقب شخص بقسوة أكثر مما تستحقه جريمته، هنا تكون العقوبة ظالمة. وإذا تلقى شخص مكافأة أقل مما يستحقه، هنا تكون المكافأة ظالمة.

كيف تنتسب الرحمة إذاً إلى العدالة؟ فمن الجلي أن الرحمة والعدالة شيئان مختلفان، على الرغم من أنه قد يخلط بينها في بعض الأحيان. والرحمة تتأتى حين يُعاقب المرء بأقل مما يستحق، أو يعطى مكافأة بأكثر مما ربحه.

والله يخفف من عدالته برحمته. ونعمته هي في أساسها نوع من الرحمة. والله يترأف بنا حين يمنع العقوبة التي نستحقها، وحين يكافئ طاعتنا

على الرغم من حقيقة أننا ندين له بالطاعة، وبذلك فنحن لا نستحق أية مكافأة.

والرحمة هي دائماً أمر اختياري بالنسبة لله. وهو ليس ملزماً على الإطلاق أن يكون رحيماً. وهو يحتفظ بحقه في أن يمارس نعمته، بحسب مسرة مشيئته. ولذلك قال لموسى: "إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف" (رومية ٩: ١٥).

والناس كثيراً ما يشتكون لأن الله لم يوزع نعمته أو رحمته بالتساوي بين الناس. ولذلك فهو ليس عادلاً، ونحن نشكو من أنه إذا سامح الله شخصاً ما، فإنه يكون بالتالي ملزماً بأن يسامح كل الآخرين.

ومع ذلك، نرى في الكتاب المقدس بكل وضوح أن الله لا يعامل الجميع بالتساوي. فلقد أعلن عن ذاته لإبراهيم بشكل لم يعمله مع وثنيين آخرين في العالم القديم. وقد ظهر برحمته لبولس بطريقة لم يظهر بها ليهوذا الإسخريوطي.

تلقى بولس نعمة من الله، وتلقى يهوذا الإسخريوطي عدالة. فالرحمة والنعمة هي أشكال من عدم العدالة، ولكنها ليست أعمال ظلم.

ولو كانت عقوبة يهوذا أكثر مما يستحقه، لكان لديه ما يشكو منه. وتلقى بولس نعمة، ولكن هذا لا يستتبعه أن ينال يهوذا نعمة أيضاً. وإذا كانت النعمة "مطلوبة" من الله، وإذا كان ملزماً بأن يكون منعماً، هنا لا نكون بعد نتحدث عن نعمة، بل عدل.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١٨: ٢٥

خروج ٣٤: ٦-٧

نحميا ٩: ٣٢-٣٣

مزمور ١٤٥: ١٧

رومية ٩: ١٤-٣٣

ومن الناحية الكتابية، عُرفت العدالة في إطار البر. فحين يكون الله عادلاً، فهو يعمل ما هو صواب. ولقد طرح إبراهيم على الله سؤالاً بلاغياً لا يمكن إلا أن تكون له إجابة واحدة واضحة: "أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟" (تكوين ١٨: ٢٥).

وكذلك الرسول بولس طرح سؤالا مماثلا: "فماذا نقول. ألعل عند الله ظلما. حاشا" (رومية ٩: ١٤).

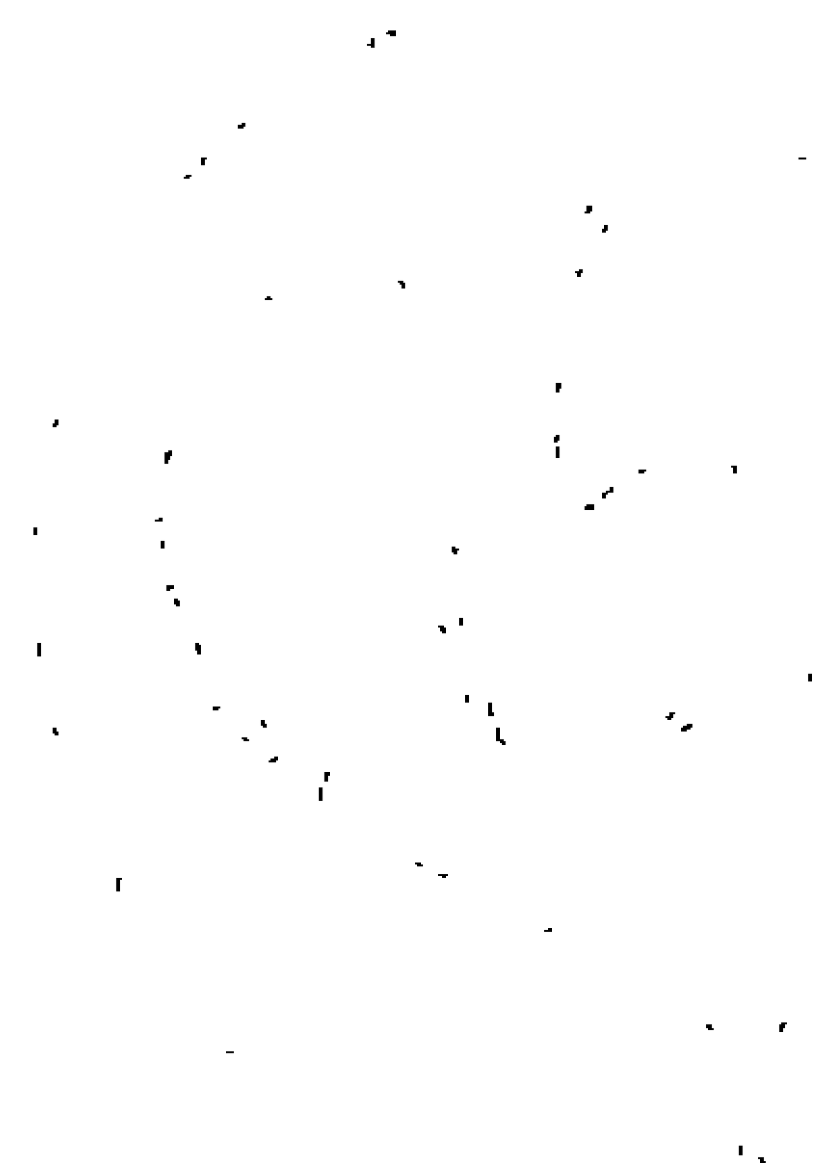
موجز

١. العدالة هي إعطاء ما هو مستحق.

٢. العدالة الكتابية مرتبطة بالبر، عمل ما هو صحيح.

٣. الظلم خارج إطار العدالة، وهو انتهاك للعدل. والرحمة هي أيضاً خارجة عن إطار العدالة، ولكنها ليست انتهاكاً لها.

الجزء الثالث



أعمال الله وأحكامه

١٩

الخليقة

كل شيء في الزمان والمكان له بداية. فأنـا كـانت لي بدايـة، وكذلـك أنت. والبيت الذي نسكنه كانت لـه بدايـة. الملابـس الـتي نرتديـها كانت لها بداية. وكان هناك وقـت، لم يكـن هنـاك وجـود لبيوتنـا، وملابسنا وسياراتنا، وغسالاتنا، بل حـتى نحـن أنفسـنا. لم تكـن هـذه كلها موجودة. ولا شيء يمكن أن يكون أكثر من ذلـك وضوحـاً.

وبالنظر إلى أنه تحيط بنا أشياء، وأشخاص من الواضـح أنـه كـانت لهـم بداية، فهذا يغرينا إلى أن نسرع إلى استنتاج أن كـل شـيء كـانت لـه بداية. ومع ذلك فهذا الاستنتاج سيكون بمثابـة قفـزة مهلكـة في هـوة اللامعقول. سيكون أمراً مـهلكاً للديانـة، وسـيكون كذلـك بالنسـبة للعلم والمنطـق.

لماذا؟ ألم أقل إن كل شيء في الزمان والمكان كـانت لـه بدايـة؟ أليـس هذا مثل القول ببساطة أن لكل شـيء بدايـة؟ إطلاقـاً. فإنـه يسـتحيل ببساطة بالمنطق والعلم أن يكون لكل شيء بداية. لمـاذا؟ لأنـه إذا كـان لكل شيء موجود بداية، إذاً كـان هنـاك وقـت لم يكـن يُوجـد أي شـيء.

توقف لحظة للتفكير. حاول أن تتخيل أنـه لا يوجـد شـيء. لا شـيء إطلاقاً، ولن نستطيع أن نتصور الفراغ المطلق. ونفس هـذا المفـهوم هـو إنكار شيء مـا.

ومع ذلك، فإنه إذا كان هناك في يوم ما وقـت لم يكـن يوجـد شـيء على الإطلاق، فماذا هناك الآن؟ لا شـيء! وإذا كـان هنـاك وقـت لم يكن فيه أي شيء، إذاً وبمنطق لا يقاوم، فإنـه سـيكون هنـاك دائمـاً لا شيء، بل حتى "دائماً" لن يكون لها مكان في زمـن اللاشـيء.

ولماذا نثق، بل نتأكد عن يقين مطلق، أنه إذا كان هنـاك وقـت لم يكـن فيه أي شيء، إذاً لن يكـون هنـاك أي شـيء الآن؟ والإجابـة بسـيطة

تدعو إلى الدهشة، على الرغم من حقيقة أن الناس الأذكياء للغاية كثيراً ما يعثرون فيما هو واضح. فالإجابة ببساطة هي أنك لا تستطيع أن تحصل على شيء ما من العدم. وثمة قانون مطلق للعلم والمنطق هو: "لا يأتي شيء من لا شيء". فالعدم لا يمكن أن ينتج أي شيء. فاللاشيء لا يمكنه أن يضحك أو يغني، أو يبكي أو يعمل أو يرقص أو يتنفس. ومن المؤكد أنه لا يستطيع أن يخلق. فاللاشيء لا يستطيع أن يعمل أي شيء. لأنه ليس أي شيء. فليس له وجود. وليس له أية قوة أياً كانت. لأنه ليس له وجود.

ولكي يبرز شيء من العدم لابد وأن يمتلك قوة خلق الذات. ويجب أن يكون قادراً على أن يخلق نفسه أو يأتي بنفسه إلى الوجود. ولكن هذا سخف واضح. ذلك أنه لكي يخلق شيء نفسه أو ينتجها لابد أن يكون كائناً قبل أن يكون. ولكن إذا كان شيء موجوداً من قبل، فلا حاجة به إلى أن يُخلق. فلكي يخلق شيء نفسه لابد وأن يكون، وأن لا يكون، أو "يوجد"، "ولا يوجد" في ذات الوقت وفي نفس العلاقة. هذا هو التناقض. وهو ينتهك أكثر القوانين الأساسية الطبيعية والعلمية، وهو قانون عدم التناقض.

وإذا عرفنا أي شيء، فنحن نعرف أنه إذا كان لأي شيء وجود الآن، إذاً فإنه بطريقة ما، وفي مكان ما، فإن شيئاً لم تكن له بداية.

وإني أعرف أن مفكرين بارزين مثل برتراند راسل، في مناظرته الشهيرة مع فريدريك كوبلستون، جادل بأن الكون الحالي هو نتيجة "سلسلة لا حد لها من الأسباب المحدودة" الأمر يتطلب سلسلة لا نهاية لها، تعمل في اتجاه الماضي في الأبدية، لشيء له سبب يسبب شيئاً آخر إلى الأبد.

وهذه الفكرة تعقد مشكلة الخلق الذاتي إلى مالانهاية. وهذه فكرة غبية في أساسها. وحقيقة أن أناساً أذكياء هم الذين اقترحوها لا تقلل من سخافتها، بل هي أسوأ من السخافة. فالأشياء السخيفة قد تكون حقيقية. ولكن هذا المفهوم مستحيل منطقياً.

ويمكن لبرتراند راسل أن ينكر قانون أنه لا يأتي شيء من لا شيء، لكنه لا يستطيع أن يدحضه دون أن ينتحر ذهنياً. فنحن نعرف (ونثق من الناحية المنطقية) أنه إذا كان لشيء وجود الآن، إذاً لابد وأن يكون هناك شيء لم يكن له بداية. والسؤال الآن يصبح "ما هو؟" أو "من هو؟"

كثير من المفكرين الجادين يعتقدون أن الإجابة للسؤال "ماذا" موجودة في الكون ذاته. وهم يجادلون (كما فعل كارل ساجان) أنه ليس ثمة حاجة للذهاب إلى فوق الكون أو إلى ما ورائه كي تجد شيئا لم تكن له بداية ومنه جاء كل شيء آخر. بمعنى أننا لسنا في حاجة إلى افتراض شيء مثل "الله" الذي هو أسمى من الكون. فالكون أو شيء فيه يمكنه القيام بنفسه بالعمل وعلى أفضل وجه.

وهناك غلطة شنيعة تتوارى في السيناريو السابق. وهي تتعلق بمعنى عبارة "سام" (متعال). وفكرة السمو في الفكر الفلسفي واللاهوتي، تعني أن الله "فوق ووراء نطاق" الكون، بمعنى أنه كينونة أسمى من الكينونات الأخرى. ونحن عادة نشير إلى الله على أنه "الكائن الأسمى".

وما الذي يجعل الكائن الأسمى مختلفاً عن البشر؟ لاحظ أن كلا المفهومين يتشاركان في كلمة "كائن". وحين تقول إن الله هو الكائن الأسمى، فنحن بهذا القول نعني أنه كائن يختلف في "النوع" عن الكائنات العادية الأخرى. ما هو هذا الفرق بالضبط؟ وُصف بأنه "سام" لأنه ليست له بداية، ولا يدين بوجوده لأحد غير نفسه. فهو الخالق الأبدي. وكل شيء آخر من أعمال خلقته.

وحين يقول كارل ساجان وآخرون أنه في الكون، وليس فوقه أو وراء نطاقه، يوجد شيء غير مخلوق، فإنه يتماحك بشأن عنوان الخالق. فهو يقول إن ما هو غير مخلوق يعيش هنا (في الكون)، وليس "هناك خارجاً" (فوق الكون أو يسمو عليه). ولكنه مع ذلك مازال في حاجة إلى كائن أسمى. ودوره الغامض في الكون الذي منه جاءت كل الأشياء المخلوقة مازال خارج نطاق، وفوق كل شيء آخر في

الخليقة من ناحية "الكينونة". وبعبارة أخرى، لابد وأن يكون هناك كائن أسمى.

وكلما زاد بحثنا في موضوع "هذا الخالق الذي في داخل الكون" بدأ يزداد هذا "الشيء" أو ذلك "الشخص" أن يكون مشابهاً لله. فهو غير مخلوق. ويخلق كل شيء آخر. فهذا الشخص أو الشيء، له في ذاته قوة الوجود.

أما الذي هو واضح جلي فهو إذا كان شيء يوجد الآن، فلابد إذاً من وجود كائن أسمى جاءت منه كل الكائنات الأخرى. وأول تأكيد للكتاب المقدس هو "في البدء خلق الله السموات والأرض". وهذا النص يُعد أساسياً لكل فكر مسيحي. فهو ليس قولاً دينياً فقط، بل هو مفهوم عقلاني ضروري.

موجز

١. كل شيء في الزمان والمكان له بداية.
٢. لا يمكن أن يأتي شيء من لا شيء.
٣. إذا كان هناك في ذات الأيام عدم، ما كان لشيء أن يكون له وجود الآن.
٤. هناك شيء موجود الآن، ولذلك لابد وأنه يوجد شيء لم تكن له بداية.
٥. الأشياء لا يمكن أن تخلق نفسها لأنها لابد في هذه الحالة أن يكون لها وجود قبل أن توجد.
٦. إذا كان "جزء" من الكون غير مخلوق، فلابد وأن يكون أسمى، أو فائقاً بالنسبة للأجزاء التي لها بداية.
٧. الكائن غير المخلوق سام (نظام من الكينونة أسمى من الكائنات المخلوقة) بغض النظر عن المكان الذي يعيش فيه.
٨. "السمو" يشير إلى مستوى من الكينونة، وليس إلى ناحية جغرافية.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١
مزمور ٣٣: ١-٩
مزمور ١٠٤: ٢٤-٢٦
إرميا ١٠: ١-١٦
عبرانيين ١١: ٣

٢٠

العناية الإلهية

هناك مدينة كبيرة في رودأيلاند تُسمى "بروفيدنس Providence"، (تعني العناية الإلهية). وهناك شيء غير عادي بالنسبة لاسمها. واسم المدينة يلفت الانتباه إلى الفجوة الواسعة في التفكير بين الأجيال السابقة ومجتمعنا الحاضر. فمن ذا الذي يسمي مدينة ما "بروفيدنس" في أيامنا هذه؟ والكلمة نفسها تبدو نمطاً عتيقاً ومهجوراً.

حين اقرأ كتابات لمسيحيين من القرون الأولى أشير ما يلفت انتباهي العدد الكبير من الإشارات إلى العناية الإلهية. ويبدو كما لو أنه قبل القرن العشرين، كان المسيحيون أكثر منا إحساسا وتناغما مع العناية الإلهية في حياتهم. فروح المذهب الطبيعي الذي ينظر إلى كل الأحداث التي تقع في الطبيعة على أنه خاضع لقوى طبيعية مستقلة، كان له تأثيره على جيلنا.

والمعنى الأساسي لكلمة Providence "العناية الإلهية" هو "أن يرى مقدماً أو مسبقاً"، أو "يعول". والكلمة على ذلك لا تعطي المعنى العميق لعقيدة "العناية الإلهية"، فهذه الحقيقة تعني أكثر كثيراً من أن الله يقف متفرجاً على الأحداث البشرية، وهي تتضمن أكثر بكثير من مجرد إشارة إلى معرفته المسبقة لكل شيء.

وعرّف علماء اللاهوت في ويستمنستر، في القرن السابع عشر العناية الإلهية على النحو التالي:

الله، الخالق الأعظم لكل الأشياء، يدعم بالفعل، ويوجه، وينظم، ويحكم على كل المخلوقات، والأعمال والأشياء، من أعظمها وحتى أبسطها وأقلها شأناً، وذلك بعنايته الإلهية المقدسة الفائقة الحكمة، وعلى أساس علمه السابق المعصوم من الخطأ، ومشورة مشيئته الثابتة لمدح مجد حكمته، وقوته وعدالته وصلاحه ورحمته.

وما يخلقه الله، فإنه يعوله. والكون ليس مديناً لله من ناحية أصله فقط، بل ويعتمد عليه لاستمراريته في الوجود. فلا يستطيع الكون أن يوجد أو يعمل بقوته الذاتية، فالله يعزز كل شيء بقوته. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد.

والنقطة الأساسية في عقيدة العناية الإلهية هي التشديد على إدارة الله للعالم. فهو يدير خليقته بسيادة وسلطان مطلقين. وهو يتحكم في كل ما يجري من أعظم شيء إلى أقل شيء. ولا شيء يحدث خارج نطاق مشيئة عناية سيادته الإلهية. فهو الذي يسمح بسقوط الأمطار وشروق الشمس. وهو الذي يقيم الممالك ويسقطها. وهو يحصي شعور رؤوسنا، وعدد أيام حياتنا.

وهناك فرق أساسي بين العناية الإلهية، والقدر والمصير أو الحظ. وأساس هذا الفرق نجده في طبيعة شخص الله. فالحظ أعمى في حين أن الله يرى كل شيء. القدر شيء، في حين أن الله أب. الحظ أصم، في حين أن الله يمكنه أن يتكلم. ولا توجد قوى عمياء غير شخصية تعمل في تاريخ البشر. فكل شيء حدث بحسب مشيئة العناية الإلهية غير المرئية.

ولا توجد أحداث تقع صدفة في كون يسيطر عليه الله. والواقع أنه لا يوجد ما يسمى صدفة. فالصدفة لا وجود لها. بل هي مجرد كلمة نستخدمها لوصف الاحتمالات في علم الرياضيات. غير أن الصدفة وحدها ليس لها قوة، لأنه ليس لها وجود. فالصدفة ليست كيانا بوسعه أن يؤثر في الواقع. فالصدفة ليست شيئا، إنها لا شيء.

وثمة ناحية أخرى من العناية الإلهية تسمى "التزامن". والتزامن يشير إلى أعمال الله والبشر ذات الحدود المشتركة. فنحن مخلوقات لها إرادة خاصة بها. ونحن نجعل الأشياء تحدث. ومع ذلك فإن القوة السببية التي نمارسها هي قوة ثانوية. فعناية الله تسمو على أعمالنا. وهو ينفذ مشيئته من خلال أعمال مشيئة البشر دون انتهاك لحرية إرادة هؤلاء البشر. وأوضح مثال على التزامن أو الاتفاق في الكتاب المقدس نجده في حالة يوسف وإخوته. فعلى الرغم من أن إخوة يوسف جلبوا على

أنفسهم إثماً كبيراً من خلال غدرهم بـــه، إلا أن العنايــة الإلهيــة كــانت تعمل من خلال خطيتهم. ولذلك قال يوســف لإخوتــه: "أنتــم قصــدتم لي شراً. أما الله فقصد به خيراً لكي يفعـــل كمــا اليــوم. ليحــي شــعباً كثيراً" (تكـــــوين ٥٠: ٢٠).

وعناية الله المخلصة يمكن أن تعمل من خلال أكـــثر الأعمــال شــيطانية. وأكبر إساءة ارتكبها بشر كانت خيانة يهوذا للمسيح. ومـــع ذلــك فــإن موت المسيح لم يكن حدثاً جاء مصادفــة في التــاريخ، بــل كــان طبقــاً لمشورة الله المحتومة. والعمل الشرير الذي ارتكبـــه يــهوذا، ســاعد علــى وقوع أفضل شيء في التاريخ، ألا وهـــو الكفــارة. ولم تكــن صدفــة أن نشير إلى ذلك اليوم في التاريخ بأنه الجمعـــة "العظيمـــــة".

موجز

١. مفهوم العناية الإلهية لا يُؤمن به بصفة عامة في أيامنا هذه.
٢. العناية الإلهية تتضمن عمل الله في إعالة خليقته.
٣. العناية الإلهية تشير بصفة رئيسية إلى إدارة الله للخليقة.
٤. على ضوء العناية الإلهية، لا توجد قوى مجردة مثـــل الحـــظ والقـــدر أو الصـــدفة.
٥. العناية الإلهية تتضمن تعاوناً ينفذ الله من خلاله مشـــيئته الإلهيـــة مـــن خلال مشيئات البشر الذين خلقهـــــم.

فقرات كتابية للتأمل

أيوب ٣٨: ١-٤١: ٣٤
دانيال ٤: ٣٤-٣٥
أعمال ٢: ٢٢-٢٤
رومية ١١: ٣٣-٣٦

٢١

المعجزات

حين ألعب الجولف أحياناً مع أصدقائي في حلقتي الدراسية (وهي لعبة تتسم بعدد كبير من المخاطر المائية) كنت أحياناً أخطئ ضرب الكرة فتتجه مباشرة إلى البحيرة ثم تطفر على السطح وتتخطاه حتى تهبط بسلام على الجانب الآخر. وبالنظر إلى أني قس، فإن مثل هذا العمل الفريد كان يُقابل بالدهشة والقول: "إنها معجزة". وكما يعرف أي طفل، لا يتطلب الأمر معجزة أن تقذف بحجر يطفو عبر الماء. بل ولا يتطلب الأمر معجزة بأن تقذف بكرة الجولف فتندفع فوق الماء، طالما أن الكرة دُفعت بشكل مناسب وفي المسار الصحيح، فهذا أمر بسيط.

وكلمة "معجزة" تُستخدم اليوم بشكل كثير ودونما رابط. تمريرة متقنة، نجاة بشق النفس، أو جمال غروب الشمس، كثيراً ما نقول عنها تلقائياً إنها معجزات. غير أن كلمة "معجزة" يمكن استخدامها بطرق ثلاثة مختلفة.

الأولى نصف أحداثاً عادية، غير أنها على الرغم من ذلك تثير الإعجاب. فنحن على سبيل المثال، نتحدث عن ولادة طفل على أنه معجزة. ونحن بهذا نمجد الله لتعقيد خليقته وجمالها. ونحن نقف خاشعين لعظمة الكون، حيث يعمل الله من خلال الوسائل الثانوية لقوى الطبيعة، التي هي نفسها من مخلوقات الله. وهنا تشير كلمة "معجزة" إلى الأشياء العادية التي تشير إلى سبب غير عادي في قوة الله.

وهناك طريقة أخرى نستخدم بها كلمة "معجزة" وهي مماثلة للطريقة الأولى. وكثيرا ما نقرأ في الكتاب المقدس عن الله وهو يعمل من خلال وسائل ثانوية في أنسب وقت أو مكان. فنجم بيت لحم، على سبيل المثال، ربما له سبب طبيعي أو علمي. كاصطفاف غير طبيعي لمجموعة من النجوم أو انفجار نجم بشكل هائل يشع عنه ضوء عظيم.

ومعجزة كهذه تؤدي إلى مجد الله فيما ينسج نسيج التاريخ بهذه الطريقة حتى يقع الحدث بطريقة معجزية.

ثالثاً، تشير المعجزات إلى أعمال يعملها الله وتكون خارقة للطبيعة. وهذا هو الاستعمال الغني بالأكثر لهذه الكلمة. فتحويل يسوع الماء إلى خمر، أو إقامة لعازر من الأموات، من أمثلة عمل الله الخارق للنواميس التي وضعها للطبيعة. ولا يمكن أن توجد تفسيرات طبيعية لهذه الأحداث. وكانت تؤيد حقيقة أن المسيح هو ابن الله القدوس.

فقرات كتابية للتأمل

خروج ٤: ١-٩

١ملوك ١٧: ٢١-٢٤

يوحنا ٢: ١١

عبرانيين ٢: ١-٤

ويستخدم الكتاب المقدس عدة كلمات للإشارة إلى المفهوم الذي تتضمنه كلمة "معجزة". ويتحدث الكتاب المقدس عن آيات، عجائب، قوات. ونحن نربط المعجزة، بمعناها الضيق بالكلمة الكتابية المترجمة "آية". وقد سُميت المعجزات آيات، لأنها ككل الآيات تتجاوز نفسها لتشير إلى شيء أكثر أهمية. وقد استخدم الله المعجزات كي يؤيد أو يثبت أن وكلاءه لديهم إعلان إلهي (عبرانيين ٢: ٣-٤). فقد أعطى الله لموسى قدرة عمل المعجزات كي يوضح أنه أرسل موسى. كذلك أثبت الآب حقيقة الابن بواسطة المعجزات التي عملها.

وتُوجد الآن ثلاثة آراء مختلفة بشأن المعجزات. الرأي الأول متشكك ينكر إمكانية حدوث المعجزات على الإطلاق. ويجادل الرأي الثاني بالقول إن المعجزات حدثت في أزمنة الكتاب المقدس وتتواصل في أيامنا هذه. أما الرأي الثالث فيقول إن معجزات حقيقية حدثت في أزمنة الكتاب المقدس، ولكن الله توقف عن عمل المعجزات ما أن ترسخ إعلانه الإلهي في الكتاب المقدس. ويقول هذا الرأي أن الله مازال يعمل في العالم بطريقة خارقة للطبيعة، ولكنه لم يعد يعطي بعد قوة عمل المعجزات للبشر.

موجز

١. يتحدث الكتاب المقدس عن آيات وعجائب وقوات.
٢. يسجل الكتاب المقدس نوعيات مختلفة من المعجزات.
٣. كل المعجزات هي أحداث خارقة للطبيعة، ولكن ليست كل الأحداث الخارقة للطبيعة معجزات.

٢٢

إرادة الله

غنت دوريس داي أغنية شعبية عنوانها: "ما سيكون، سيكون". وللوهلة الأولى يوحي هذا الموضوع بالجبرية (الإيمان بالقضاء والقدر) المحيطة. وهناك أراء لاهوتية أخرى تعزى أسباب أحداث معينة إلى أنها قضاء الله.

والكتاب المقدس مهتم بدرجة بالغة بموضوع إرادة الله، أي سلطة سيادية على الخليقة وكل ما فيها. وحين نتحدث عن مشيئة الله فإننا نفعل ذلك بثلاث طرق مختلفة على الأقل. والمفهوم الأوسع يُعرف أنه إرادة الله المرسومة المسيطرة، أو إرادته المخفية. واللاهوتيون يشيرون بهذا إلى إرادة الله التي بها يقضي بكل شيء يحدث. ولأن الله سيد مسيطر ولا يمكن إحباط مشيئته، فبوسعنا أن نكون متأكدين بأنه لن يحدث شيء خارج عن نطاق سيطرته. فهو على الأقل يجب أن "يسمح" بأي شيء يحدث. ومع ذلك، حتى عندما يسمح الله للأشياء أن تحدث تراه دائما يختار أن يسمح بها بشكل يتيح له دائما أن تكون له القوة والحق في أن يتدخل ويمنع أعمال وأحداث هذا العالم. وبقدر ما يسمح للأشياء أن تحدث فإنه "أرادها" في إطار هذا المعنى المعين.

وعلى الرغم من أن إرادة الله تكون دائما مخفية عنا إلى أن تحدث، إلا أن هناك جانبا من إرادته واضحا لنا، وهي إرادته من ناحية تعليمنا. هنا يعلن الله إرادته من خلال ناموسه المقدس. وعلى سبيل المثال، فإنها إرادة الله ألا نسرق، وأن نحب أعداءنا، وأن نتوب، وأن نكون قديسين. وهذه الناحية من إرادة الله أعلنت في كلمته، كما أنها أعلنت في ضمائرنا، والتي كتب الله بها ناموسه الأدبي على قلوبنا.

فنواميسه ملزمة، سواء كانت في الأسفار المقدسة، أو في القلب. وليس لنا سلطان أن ننتهك هذه الإرادة. ونحن لنا السلطة والقدرة على أن نحبط إرادة الله من ناحية تعليمنا، على الرغم من أنه ليس لنا الحق إطلاقاً في عمل ذلك. بل وليس لنا أن نجد العذر لأنفسنا من

ناحية عمل الخطية بالقول "ما سيكون، سيكون". فقد تكون إرادة الله السيادية أو الخفية أن "يُسمح" لنا بالخطية، فيما يحقق مشيئته الإلهية حتى بواسطة أعمال الخطية التي يعملها الناس. فقد قضى الله أن يُسلم يسوع للموت عن طريق خيانة يهوذا، ومع ذلك فهذا لا يقلل من شر خطية يهوذا وخيانته. وحين "يسمح" الله لنا أن ننتهك إرادته التعليمية، فلا يتوجب أن يفهم من هذا على أنه سماح بالمعنى الأخلاقي يمنحنا حقاً أدبياً. فسماحه يعطينا القدرة على عمل الخطية وليس الحق في عملها.

الطريقة الثالثة التي يتحدث بها الكتاب المقدس عن مشيئة الله، هي فيما يتعلق بإرادة الله من ناحية تصرفاته. وهذه الإرادة تصف موقف الله. وهي تحدد ما يسره. وعلى سبيل المثال لا يسر الله بموت الخاطئ، ومع ذلك فمن المؤكد أنه شاء أو قدر موت الخاطئ ومسرة الله الأساسية إنما هي في قداسته وبره. وحين يدين العالم، فهو يجد مسرة في إثبات بره وعدله، ومع ذلك لا نراه فرحا بمعنى انتقامي من أولئك الذين تنزل بهم دينونته. ويسر الله حين يرى أن مسرتنا هي في طاعته. وهو يحزن كثيرا حين نجنح للعصيان.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٩: ١١

رومية ٩: ١٤-١٨

أفسس ١: ١١

كولوسي ١: ٩-١٤

عبرانيين ٦: ١٣-١٨

٢بطرس ٣: ٩

كثيرون من المسيحيين تراهم مشغولين، بل مستعبدين لفكرة معرفة "إرادة" الله من جهة حياتهم. فإذا كانت إرادة الله التي نسعى لمعرفتها هي سره المخفي، أو إرادته المقدرة، هنا يكون سعينا مغامرة سخيفة غير مجدية. فإن مشورة الله المخفية هي سره. ولم يسر في مسرته أن يعلنها لنا. والسعي من أجل مشيئة الله السرية، فضلاً عن أنها أبعد من أن تكون علامة على الروحانية، فهي غزو غير مسموح به لخصوصية الله. ومشورة الله السرية ليست من شأننا. وهذا بشكل جزئي السبب في أن الكتاب المقدس يأخذ بشكل سلبي النواحي المتعلقة بقراءة الطالع والسحر والعرافة، والأشكال الأخرى من الممارسات المحرمة.

ولسوف يكون من الحكمة أن نتبع نصيحة جون كالفن الذي قال: "حين يغلق الله فمه المقدس، كف عن الاستفسار" والعلامة الحقيقية للروحانية نراها في أولئك الذين يسعون لمعرفة مشيئة الله المعلنة في إرادته من جهة تعليمنا. إن الشخص التقي هو الذي يلهج في ناموس

الله نهاراً وليلاً. وفيما نسعى لأن يقودنا الروح القدس، فإنــــه مــن المــهم للغاية أن نتذكر أن الروح القدس يقودنا بصفـــة أساســية إلى الــبر. فقــد دعينا إلى أن نحيا حياتنا بكل كلمة تخرج من فـــم الله. إن مشــيئته المعلنـــة هي التي تعيننا، والواقع أنها المهمة الرئيســية لحياتنــــا.

موجز

١. المعاني الثلاثة لإرادة الله هي:

(أ) *إرادته السيادية المقدرة.* وهــي الإرادة الــتي بواســطتها يجــري الله كل ما رسمه. وهذه تظل مخفية عنا حــتى تحــدث.

(ب) *إرادته من ناحية تعليمنا،* وهي نـــاموس الله ووصايـــاه المعلنـــة، والتي لدينا القدرة وليس الحق في انتهاكهـــا.

(ج) *مشيئته المتعلقة بتصرفاته.* وهي تكشف عما هو مسر له.

٢. "سماح" الله بأن يخطئ الإنسان لا يعني موافقته الأدبية على ذلك.

٢٣

عهد

الهيكل الأساسي للعلاقة التي أقامها الله مع شعبه هي العهد. والعهد يُنظر إليه عادة على أنه عقد. وفيما أنه من المؤكد وجود تشابهات بين العهود والعقود، إلا أنه توجد اختلافات هامة أيضاً. فكلاهما يمثل اتفاقات ملزمة. والعقود تتم من خلال مواقف مساومة متساوية، وكلا الطرفين حر في ألا يوقع العقد. كذلك العهد هو اتفاق. ومع ذلك، فالعهود في الكتاب المقدس ليست في العادة بين أطراف متساوية. بل هي بالأحرى، تتبع نموذجاً كان شائعاً في المعاهدات التي كانت تعقد قديماً في الشرق الأوسط بين السادة والعبيد. ومعاهدات السادة والعبيد (كما كانت بين ملوك الحيثيين) كانت تعقد بين ملك منتصر وبين المهزومين. ولا تكون بها مفاوضات بين الأطراف المعنية. وخروج ٢٠: ٢ يبدأ بعبارة: "أنا الرب إلهك". والله هو السيد، وشعب إسرائيل هم العبيد. والعنصر الثاني هو المقدمة التاريخية. وهذا الجزء يُذكر فيه ما عمله السيد (أو الرب) حتى يستحق الولاء له، مثل إخراج العبرانيين من العبودية في مصر. وبالمفهوم اللاهوتي هذا هو الجزء الخاص بالنعمة.

وفي الجزء التالي يذكر الرب ما سيطلبه من هؤلاء الذين يحكمهم. في خروج "٢٠" نجد أن ما يطلبه جاء في الوصايا العشر. وكل من هذه الوصايا اعتبرت ملزمة من الناحية الأدبية لمجتمع العهد برمته.

أما الجزء الأخير من هذه النوعية من العهود فيتضمن البركات واللعنات. ويذكر الرب المنافع التي سيتلقاها هؤلاء العبيد إذا اتبعوا شروط العهد. ونجد نموذجا لهذا في الوصية الخامسة. فقد وعد الله الإسرائيليين بأن أيامهم ستطول على أرض الميعاد إذا أكرموا والديهم. كما أن العهد يقدم لعنات إذا أخفق الناس في تحمل مسئولياتهم. ويحذر الله إسرائيل إنه لن يعتبرهم أبرياء إذا فشلوا في تبجيل اسمه.

وهذا النموذج الأساسي نجده في العهود التي قطعها الله مع آدم، نوح، إبراهيم، موسى، والعهد الذي بين يسوع وكنيسته.

والمصادقة على العهود في الأزمنة الكتابية كانت تتم بالدم. وجرت العادة أن يمر أطراف العقد بين حيوانات قطعت أوصالها، الأمر الذي يشير إلى موافقتهم على شروط العهد (انظر إرميا ٣٤: ١٨). ولدينا مثال لهذه النوعية من العهود في تكوين ١٥: ٧-٢١. وهنا قطع الله وعودا معينة لإبراهيم. ومع ذلك، ففي هذه الحالة، الله وحده هو الذي مر عبر الحيوانات، إشارة إلى أنه يلزم نفسه بقسم مقدس أن يوفي بهذا العهد.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١٥
خروج ٢٠
إرميا ٣١: ٣١-٣٤
لوقا ٢٢: ٢٠
عبرانيين ٨
عبرانيين ١٣: ٢٠-٢١

والعهد الجديد، عهد النعمة، تم إقراره بسفك دم المسيح على الصليب. وفي قلب هذا العهد نجد وعد الله بخلاصنا. ولم يعد الله فقط بأن يخلص كل الذين يضعون ثقتهم في المسيح، بل ختم وأكد هذا الوعد بقسم مقدس. فنحن نخدم ونعبد إلها قطع على نفسه عهدا بخلاصنا التام.

موجز

عناصر العهد:

١. *تمهيد:* يعرف بالسيد.
٢. *مقدمة تاريخية:* سرد تاريخ العلاقة بين الأطراف.
٣. *شروط:* تحديد شروط العهد.
٤. *أقسام/ حلف:* الوعود التي تلزم الأطراف بالشروط.
٥. *عقوبات:* البركات واللعنات (مكافآت وجزاءات) تنفذ على أساس الالتزام بالعهد أو انتهاكه.
٦. *التصديق على العهد:* ختم العهد بالدم، أي بذبيحة حيوانية أو موت المسيح.

٢٤

عهد الأعمال

حين خُلق آدم وحواء، وكانا في علاقة أدبيــة مــع الله خالقــهما. كانــا ملزمين بطاعة الله دون أي مطالبة متأصلة بمكافأة أو بركــة مقــابل هــذه الطاعة. ومع ذلك، فإن الله في محبتــه ورحمتــه ونعمتــه دخــل بمحــض إرادته في عهد مع البشر الذين خلقهم، وبمقتضــى هــذا العــهد أضــاف إلى ناموسه وعداً بالبركة. وهذا ليس عهداً بين طرفــين متســاويين، بــل إنه عهد قام على أساس مبادرة من الله وســلطانه الإلهــي.

والعهد الأساسي بين الله والبشر كان عهد أعمــال. والله في هــذا العــهد طلب طاعة تامة وكاملة لحكمه، ووعد بالحياة الأبديــة كبركــة للطاعــة، ولكنه هدد الإنسان بالموت عند عصيان ناموسه. وكل البشــر بــدءا مــن آدم حتى الوقت الحاضر هم، بلا مفــر، أعضــاء في هــذا العــهد. وقــد يرفض الناس أن يطيعوا، أو حتى يعترفوا بوجود مثــل هــذا العــهد، غــير أنه لن يمكنهم إطلاقا الفرار منه. فكل البشــر في علاقــة عــهد مــع الله، وهما أما منتهكون للعهد، أو حافظون له. وعــهد الأعمــال هــو أســاس حاجتنا إلى الفداء (لأننا انتهكناه) ورجاؤنــا في الفــداء (لأن المســيح أوفى بشروطه نيابة عنــا).

فقرات كتابية للتأمل
تكوين ٢: ١٧
رومية ٣: ٢٠-٢٦
رومية ١٠: ٥-١٣
غلاطية ٣: ١٠-١٤

وخطية واحدة تكفي لانتهاك عهد الأعمــال وتجعلنــا مدينــين عــاجزين عن الوفاء بديننا لله. وأننا نحن، بعد خطيــة ولــو واحــدة، يكــون لنــا رجاء في الفداء، فهذا يرجع إلى نعمة الله، ونعمته فقــط. ولــو كــان آدم قد أطاع عهد الأعمال مع الله، ما كان له ســوى أن يحقــق الاســتحقاق الذي يتأتى نتيجة الوفــاء باتفــاق العــهد مــع الله. ولأن آدم ســقط في الخطية، فإن الله، في رحمتــه، أضــاف عــهدا جديــدا للنعمــة، يصبــح الخلاص بمقتضاه ممكنا وحقيقيــا.

شخص واحد فقط هو الذي حفظ عهد الأعمال. وهــذا الشــخص هــو يسوع. فعمله باعتبــاره آدم الثــاني، أو آدم الجديــد أوفى كــل شــروط

عهدنا الأصلي مع الله. واستحقاقه في تحقيق هذا متاح لكل من يضعون ثقتهم فيه.

ويسوع هو أول شخص يدخل السماء بأعماله الصالحة. ونحن أيضاً ندخل السماء بالأعمال الصالحة، أعمال يسوع الصالحة. فقد أصبحت أعماله أعمالنا "نحن"، وذلك حين نقبل المسيح بالإيمان. وحين نضع ثقتنا في المسيح، يقيد الله أعمال المسيح الصالحة لحسابنا. وعهد النعمة يوفي عهد الأعمال لأن الله في نعمته يستخدم استحقاق المسيح لصالحنا. وهكذا نحن بالنعمة نوفي الشروط التي تضمنها عهد الأعمال.

موجز

١. دخل الله في *عهد* أعمال مع آدم وحواء.
٢. كل الناس، رضوا أم أبوا، أطراف في عهد أعمال مع الله.
٣. جميع البشر هم منتهكون لعهد الأعمال.
٤. يسوع أوفى بعهد الأعمال.
٥. عهد النعمة يعطينا استحقاقات المسيح التي بها تستوفى شروط عهد الأعمال.

الجزء الرابع

يسوع المسيح

٢٥

ألوهية المسيح

الإيمان بألوهية المسيح أمر ضروري لكون الإنسان مسيحياً. وهو جزء أساسي من إنجيل العهد الجديد للمسيح. ومع ذلك كانت الكنيسة تُجبر في كل قرن على التعامل مع أناس يدعون أهم مسيحيون في الوقت الذي ينكرون فيه ألوهية المسيح أو يشوهونها.

وثمة أربعة قرون في تاريخ الكنيسة كانت ألوهية المسيح فيها موضوعاً حاسماً وعاصفاً "داخل" الكنيسة. وهذه القرون هي: الرابع، الخامس، التاسع عشر، والقرن العشرين. وحيث أننا نعيش في أحد القرون التي هاجمت فيها الهرطقة الكنيسة، فكان أمراً ملحاً أن نحمي اعتراف الكنيسة بألوهية المسيح.

فقرات كتابية للتأمل

مرقس ٢: ٢٨

يوحنا ١: ١-١٤

يوحنا ٨: ٥٨

يوحنا ٢٠: ٢٨

فيلبي ٢: ٩-١١

كولوسي ١: ١٩

في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، أعلنت الكنيسة، في مقاومتها لهرطقة آريوس، أن يسوع مولود غير مخلوق، وأن طبيعته الإلهية في نفس جوهر الآب. وهذا التأكيد أعلن أن الأقنوم الثاني من الثالوث القدوس هو واحد مع الله الآب في الجوهر. بمعنى أن "كينونة" المسيح هي كينونة الله. فهو ليس مجرد مشابه لله، بل هو الله.

والاعتراف بألوهية المسيح قائم على أساس شهادات العهد الجديد المتعددة. والمسيح باعتباره "الكلمة المتجسد" أعلن ليس فقط أنه كان موجودا قبل الخليقة بل إنه أبدي. وقيل أنه كان في البدء مع الله وأنه هو الله (يوحنا ١: ١-٣). أما وأنه كان مع الله فهذا يستلزم تميزا شخصيا في إطار الألوهية. أما وأنه الله فلابد وأنه متضمن في الألوهية.

وفي مواضع أخرى، ينسب العهد الجديد ليسوع أسماء وألقابا من الواضح أنها ألقاب ألوهية. وأعطاه الله اسما فوق كل اسم وهو أن يسوع المسيح هو "رب" (فيلبي ٢: ٩-١١). وبصفته ابن الإنسان، قال يسوع إنه رب السبت (مرقس ٢: ٢٨) وأن له سلطانا أن يغفر الخطايا (مرقس ٢: ١-١٢). وقد دعي "رب المجد" (يعقوب ٢: ١)،

وقبل العبادة من البشر، كما في حالة توما الذي اعترف قائلاً: "ربي وإلهي" (يوحنا ٢٠: ٢٨).

وأعلن بولس "لأنه فيه سُر أن يحل كل الملء" (كولوسي ١: ١٩) وأن يسوع أعظم من الملائكة، وهو موضوع يتكرر في الرسالة إلى العبرانيين. ١٠

وأن يتعبد الإنسان لملاك أو لأي مخلوق، مهما كانت مكانته، فهذا يعني انتهاكاً للتحريم الكتابي للوثنية. وعبارة "أنا هو" المستخدمة في إنجيل يوحنا تشهد بألوهية المسيح.

في القرن الخامس، أكد مجمع خلقيدونية (٤٥١م) أن يسوع هو إنسان كامل وإله كامل. وأن طبيعتي يسوع كإنسان وكإله بدون امتزاج ولا اختلاط، ولا انفصال ولا انقسام.

موجز

١. ألوهية المسيح عقيدة أساسية في المسيحية.
٢. واجهت الكنيسة أزمات هرطوقية بخصوص لاهوت المسيح في القرون الرابعُ، الخامس، التاسع عشر، والعشرين.
٣. أكد مجمع نيقية (٣٢٥م) ألوهية المسيح وأعلن أنه واحد مع الآب في الجوهر، وأنه غير مخلوق.
٤. العهد الجديد يؤكد بوضوح ألوهية المسيح.
٥. أعلن مجمع خلقيدونية (٤٥١م) أن يسوع إله حق.

٢٦

خضوع المسيح

من هو التابع؟ من الواضح في لغتنا أن الخضـــوع لشـــخص مـــا هـــو أن تكون "تحت" سلطة ذلك الشخص. فالخاضع ليـــس نـــداً، وليـــس علـــى نفس مستوى سلطة من هو أعلى منـــــه.

وحين نتحدث عن خضوع المســيح، علينـــا أن نتنـــاول هـــذا الموضـــوع بحرص بالغ. ذلك أن ثقافتنا تساوي الخضـــوع بعـــدم المســـاواة. غـــير أن الأقانيم الثلاثـــة في الثـــالوث القـــدوس متســـاوية في الطبيعـــة والكرامـــة والمجد. فالأقانيم الثلاثة أبدية، ذاتية الوجود، ومشـــتركة في كـــل نواحـــي الألوهية وصفاتهـــا.

ومع ذلك، فإنه في خطة الله للفداء، تطـــوع الابـــن بـــأن يقـــوم بـــدور الخاضع للآب. فالآب هو الذي أرسل الابن إلى العـــالم. ونـــزل الابـــن في طاعة إلى الأرض ليعمـــل مشـــيئة الآب. ومـــع ذلـــك علينـــا أن نكـــون حريصين بملاحظة أنه لا معنى للطاعة المفروضة. فكمـــا أنهمـــا متســـاويان في المجد، هكذا أيضا الآب والابـــن متحـــدان في المشـــيئة. فـــالآب كـــان يريد الفداء بنفس القدر الذي كان يريـــده الابـــن. وكـــان الابـــن تواقـــا للقيام بعمل الخلاص، كما كان الآب تواقـــا لأن يقـــوم الابـــن بذلـــك. وأعلن يسوع أن غيرة بيت أبيه أكلتـــه (يوحنـــا ٢: ١٧)، كمـــا قـــال إن طعامه هو أن يعمل مشـــــيئة الآب.

وأخيرا، يجب ملاحظة أن خضـــوع المســـيح وطاعتـــه لم تكـــن في الآلام فقط. ذلك أن خطة الخلاص تضمنت جميع نواحـــي عمـــل المســـيح مـــن أجلنا، وتمجيد المسيح في النهاية. ويشرح اعـــتراف ويستمنســـتر الرابطـــة المتبادلة بين قصد الآب وعمل المســـــيح:

لقد سر الله في قصده الأبـــدي أن يختـــار ويقـــدر للـــرب يســـوع، ابنـــه الوحيد أن يكون الوسيط بين الله والنـــاس، وأن يكـــون النـــبي والكـــاهن والملك، ورئيس كنيسته ومخلصها، ووارث كل الأشـــياء، وديـــان العـــالم،

الذي منذ الأزل أعطاه شعباً، ليكون نسله، وليكونوا بواسطته في الوقت المناسب مفديين، مدعوين، مبررين، مقدسين، وممجدين.

وبإخضاع المسيح نفسه لمشيئة أبيه الكاملة، يكون قد عمل لنا ما لم نكن نحن راغبين أو قادرين على أن نعمله من أجل أنفسنا. لقد أطاع ناموس الله بالكامل. وعند معموديته قال ليوحنا: "لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (متى ٣: ١٥). وتوضح حياة المسيح وخدمته كلها هذه الطاعة الكاملة.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ٤: ٣٤

يوحنا ٥: ٣٠

فيلبي ٢: ٥-٨

عبرانيين ٥: ٨-١٠

عبرانيين ١٠: ٥-١٠

وإذ أطاع يسوع الناموس بالكامل، فإنه حقق أمرين حيويين في غاية الأهمية. فمن ناحية، تأهل ليكون فادينا، الحمل الذي بلا عيب ولا دنس. ولو كان يسوع قد أخطأ لما استطاع أن يكفر عن خطيته هو ناهيك عن خطايانا نحن.

ثانياً: بطاعته الكاملة ربح المكافآت التي وعد بها الله كل من يحفظون عهده. فقد استحق مكافآت السماء التي يهبها لنا. وباعتباره الخاضع، خلص شعباً كان متمرداً.

الآب = الابن

متساويان في الجوهر والسمات الأبدية

موجز

١. على الرغم من أن المسيح مساو للآب من ناحية طبيعته الإلهية إلا أنه خاضع للآب في دوره في الفداء.
٢. الخضوع هنا لا يعني "درجة أدنى".
٣. خضوع المسيح كان اختيارياً.
٤. طاعة المسيح الكاملة أهلته أن يحمل خطايا شعبه، ويكسب مكافآت السماء التي وعد بها المفديون.

الآب

خضوع الابن في عملية الفداء

الابن

٢٧

بشرية المسيح

أما وأن الله الابن أخذ طبيعة بشرية حقيقية فهذا تعليم أساسي للمسيحية التاريخية. والمجمع المسكوني الكبير الذي عُقد في خلقيدونية سنة ٤٥١م أكد أن يسوع إنسان حق وإله حق، وأن الطبيعتين في المسيح متحدتين دون اختلاط أو امتزاج أو فصل أو انقسام، وكل طبيعة منها احتفظت بصفاتها الخاصة.

وبشرية المسيح الحقيقية هُوجمت بصفة رئيسية بطريقتين. وكان على الكنيسة الأولى أن تحارب هرطقة الدوسيتية التي تقول بأنه لم يكن ليسوع جسد مادي حقيقي، أو طبيعة بشرية حقيقية. وكانوا يقولون بأن يسوع "بدا" فقط أن له جسداً، غير أنه في الحقيقة كان كائناً ما يشبه الشبح. وضد هذه الهرطقة يعلن يوحنا بكل قوة أن الذين لا يعترفون بأن المسيح قد جاء في الجسد، هم من روح ضد المسيح.

أما الهرطقة الكبرى الأخرى التي حاربتها الكنيسة فهي هرطقة الذين يقولون إن للمسيح طبيعة واحدة. وتقول هذه الهرطقة إنه لم يكن للمسيح طبيعتين بل طبيعة واحدة. وهذه الطبيعة الواحدة ليست إلهية حقا، ولا هي بشرية حقا بل مزيجا من الطبيعتين وتسمى Theanthropic. والهرطقة القائلة بأن للمسيح طبيعة واحدة تتضمن إما طبيعة بشرية تم خلع الصفات الإلهية عليها، وإما طبيعة إلهية خلعت عليها صفات البشر.

وهناك صيغ ماكرة لهرطقة القائلين بطبيعة واحدة تهدد الكنيسة في كل جيل. والاتجاه هو السماح بأن تبتلع الطبيعة البشرية بواسطة الطبيعة الإلهية بحيث تزيل الحدود الحقيقية لبشرية يسوع.

ويتوجب علينا التمييز بين طبيعتي يسوع دون الفصل بينهما. فحين يجوع يسوع، على سبيل المثال، نرى في هذا دلالة على طبيعته البشرية، وليست الإلهية. وعلى سبيل المثال، مات المسيح، الله الإنسان، على

الصليب. ومع ذلك، فليس معنى هذا القول بأن الله مات على الصليب. فعلى الرغم من أن الطبيعتين ظلتا متحدتين بعد صعود المسيح، إلا أنه ينبغي علينا أن نميز بين الطبيعتين على أساس شكل وجوده معنا. فبالنسبة لطبيعته البشرية، لم يعد المسيح حاضراً معنا. ومع ذلك، فإن المسيح، بطبيعته الإلهية، لا يغيب عنا أبداً.

وبشرية المسيح كانت مثل بشريتنا. وصار إنساناً "من أجلنا". وأخذ وضعنا كي يتصرف كفادينا. أصبح بديلاً عنا، أخذ عنا خطايانا كي يتألم بدلاً عنا. كما أصبح رئيس إيماننا، الذي أكمل ناموس الله بدلاً منا.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١: ١-١٤

غلاطية ٤: ٤

فيليبي ٢: ٥-١١

عبرانيين ٢: ١٤-١٨

عبرانيين ٤: ١٥

وهنا عملية تبادل مزدوجة في الفداء. فقد نقلت خطايانا إلى يسوع. ونقل إلينا بره. وتلقى الدينونة المستحقة على بشريتنا الناقصة بينما تلقينا نحن البركات المستحقة لبشريته الكاملة. ويسوع في بشريته كانت تحده نفس الحدود التي تحد البشر أجمعين، إلا أنه كان بلا خطية. وفي طبيعته البشرية لم يكن كلي العلم، بل إن معرفته، على الرغم من أنها صادقة وحقيقية في حد ذاتها، غير أنها لم تكن غير محدودة. فكانت هناك أشياء لم يعرفها مثل يوم وساعة مجيئه الثاني. أما في طبيعته الإلهية، فكان بالطبع كلي المعرفة، ولم تكن هناك حدود لمعرفته.

أما يسوع كبشر، فكانت تحده قيود الزمان والمكان. فهو كسائر البشر لم يكن بوسعه أن يتواجد في أكثر من مكان في آن واحد. وكان يعرق ويجوع ويبكي ويحتمل الألم، وكان بشرا قابلا للموت، وفي كافة هذه النواحي كان مثلنا.

موجز

١. كان ليسوع طبيعة بشرية حقيقية اتحدت تماما مع طبيعته الإلهية.
٢. الدوستية تقول بأنه لم يكن ليسوع جسدا طبيعيا حقيقيا.
٣. هرطقة القائلين بالطبيعة الواحدة تتضمن إضفاء الصفات الإلهية على الطبيعة البشرية، وهكذا تخفي ألوهية بشريته.
٤. بشرية المسيح هي الأساس الذي جعله واحدا منا.
٥. أخذ يسوع خطايانا وأعطانا بره.
٦. طبيعة يسوع البشرية كانت تقيدها حدود البشر العاديين مثلنا، ما عدا أنه كان بلا خطية.

٢٨

المسيح لم يعمل خطية

حين نتحدث عن أن المسيح بلا خطية فنحن في العادة نشير إلى بشريته. وإنه من غير الضروري أن ندافع عن أن لاهوت المسيح بلا خطية، لأن الألوهية بحسب تعريفنا لا يمكن أن تخطئ أو تعمل ذلك. وعقيدة أن المسيح بلا خطية لم تلق أية معارضة أو جدل أساسي. حتى غلاة الهراطقة في التاريخ لم ينكروا هذه الحقيقة بالنسبة للمسيح.

وكون المسيح بلا خطية لا تفيد فحسب كنموذج لنا. بل هي أساسية وجوهرية من أجل خلاصنا. ولو لم يكن المسيح الحمل الذي "بلا عيب ولا دنس" لما استطاع أن يحقق خلاص أي أحد، ليس ذلك فحسب، بل لاحتاج هو نفسه إلى مخلص. والخطايا التي لا عدد لها والتي تحملها المسيح على الصليب كانت تتطلب ذبيحة كاملة. وكان لابد أن تُعمل الذبيحة بواسطة شخص لم يعمل خطية.

وكون المسيح بلا خطية أمر له جانبه السلبي كما أن له جانبه الإيجابي. وحياة المسيح تخلو تماماً من أي انتهاك، فلم يكسر أي وصية لناموس الله المقدس. وأطاع بكل تدقيق كل ما أوصى به الله. وعلى الرغم من أنه بلا خطية إلا أنه أطاع الناموس اليهودي، فخضع للختان، والمعمودية، وربما حتى لنظام الذبائح الحيوانية. ومن الناحية الإيجابية، كان المسيح تواقاً لإطاعة الناموس، وقد التزم بعمل مشيئة أبيه. وقيل عنه إن غيرة بيت أبيه أكلته (يوحنا ٢: ١٧)، وأن طعامه أن يعمل مشيئة أبيه (يوحنا ٤: ٣٤).

وثمة صعوبة واحدة تتعلق بكون المسيح بلا خطية، وقد نُسبت إلى ما جاء في عبرانيين ٤: ١٥ "لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية". فإذا كان المسيح قد جرب مثلنا، كيف يتسنى له إذاً أن يكون بلا خطية؟ بل إن المشكلة تزداد صعوبة حين نقرأ يعقوب ١: ١٤-١٥ "ولكن كل واحد

يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً".

يصف يعقوب نوعاً من التجارب التي تنجم عن شهوات في داخلنا. وهذه الشهوات هي بالفعل خاطئة في طبيعتها. فإذا كان يسوع قد جُرب مثلنا، فقد يوحي هذا بأنه كانت له شهوات خاطئة مثلنا. لكن هذا بالضبط هو شرط من يأخذ مكاننا، وهو أن يكون "بلا خطية". وذلك بحسب ما جاء في سفر العبرانيين. كانت ليسوع رغبات. ولكن لم يكن له شهوات خاطئة. فحين جُرب من إبليس جاءت الهجمة من الخارج. فقد كانت تجربة خارجية. حاول الشيطان أن يغري يسوع بالأكل أثناء فترة صومه. ومن المؤكد أن يسوع كان يحس بجوع، وكان يرغب في الطعام. ومع ذلك فالجوع ليس خطية. ومع أن يسوع أراد أن يأكل، غير أن يسوع كان ملتزماً بطاعة مشيئة الآب. ولم تكن لديه الرغبة في أن يخطئ.

فقرات كتابية للتأمل

متى ٣: ١٥

رومية ٥: ١٨-٢١

٢كورنثوس ٥: ٢١

عبرانيين ٧: ٢٦

١بطرس ٣: ١٨

وبعدم ارتكابه أية خطية أهّل يسوع نفسه ليكون الذبيحة الكاملة من أجل خطايانا. ومع ذلك، تطلب خلاصنا أن يتحقق شرطان للفداء. فلم يكن من الضروري أن يكون يسوع بديلاً عنا ويتلقى العقوبة المستحقة عن خطايانا فقط، بل كان يتوجب عليه أن يوفي ناموس الله بالكامل ليحصل على الاستحقاق اللازم لنا كي نتلقى بركات عهد الله. فلم يمت يسوع باعتباره الكامل من أجل الناقصين، الذي بلا خطية من أجل الخطاة فقط، بل إنه عاش حياة الطاعة الكاملة المطلوبة من أجل خلاصنا.

موجز

١. كون المسيح بلا خطية أمر ضروري من أجل خلاصنا.
٢. عمل يسوع كفارة كحمل بلا عيب ولا دنس.
٣. لم يتعرض يسوع لتجربة الرغبات الخاطئة.
٤. بطاعته الكاملة حصل لنا يسوع على البر (الاستحقاق) الذي كنا نحتاجه كي نخلص.

٢٩

الميلاد العذراوي

عقيدة ميلاد يسوع العذراوي، تقول بأن ميلاد يسوع كان نتيجة حبل معجزي من خلاله حملت العذراء مريم بطفل في بطنها بقوة الروح القدس، بدون أب بشري. وميلاد المسيح المعجزي يقول لنا الكثير عن طبيعته. أما وأنه وُلد من امرأة فيبين أنه حقاً إنسان وأصبح واحداً منا. ومع ذلك فإن بشرية المسيح، لم تكن كبشريتنا تماماً. فقد ولدنا نحن بالخطية الأصلية، ولكن هذا لا ينطبق على المسيح.

والميلاد العذراوي له أيضاً علاقة بألوهية المسيح. وفي حين أنه من المؤكد أن باستطاعة الله أن يدخل العالم بطريقة أخرى غير الميلاد العذراوي، ولكن معجزة ميلاد المسيح تشير إلى ألوهيته. وإعلان الملاك جبرائيل لمريم يبرز هذه النقطة. فحين أخبر مريم أنها ستلد ابناً، اضطربت مريم وقالت: "كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً" (لوقا ١: ٣٤).

وكان رد جبرائيل الملاك على مريم حاسما وله دلالته لفهمنا الميلاد العذراوي: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥)، وبعد ذلك بلحظات أضاف الملاك قوله: "لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله" (لوقا ١: ٣٧).

وفضلا عن التخصيب الصناعي، الذي هو صورة حديثة، مختلفة وغير معجزية، فلا شيء أكثر انتظاما وشيوعا في الطبيعة، من العلاقة السببية العادية للحمل بطفل، أما وأن امرأة تصبح حاملا دون أي اتصال جنسي برجل، لا يعد أمرا غير عادي من الناحية البيولوجية فقط، بل من الواضح أن ذلك ضد قوانين الطبيعة.

غير أن طفل مريم لم تلده مريم وحدها، فوالد الطفل هو الروح القدس. والقول بأن الروح القدس يحل على مريم وقوة العلي تظللها،

نجد فيه صدى للقصة التي تصف عمل الروح القدس في عملية خلق العالم الأصلية. وهي تعلن أن هذا الطفل سيكون خليقة خاصة إذ أن أباه هو الله نفسه.

وأولئك الذين لا يؤمنون بالميلاد العذراوي لا يؤمنون عادة أن يسوع هو ابن الله بالحقيقة. وهكذا فإن الميلاد العذراوي هو عقيدة تُعد حداً فاصلاً، يفصل بين المسيحيين من ذوي الرأي المستقيم عن أولئك الذين لا يؤمنون بالقيامة والكفارة.

فقرات كتابية للتأمل

إشعياء ٧: ١٠-١٦

متى ١: ٢٣

رومية ١: ٣-٤

١كورنثوس ١٥: ٤٥-٤٩

غلاطية ٤: ٤

موجز

١. يعلم الكتاب المقدس بوضوح وبلا غموض الميلاد العذراوي.
٢. ميلاد يسوع من امرأة يشير إلى بشريته، وظهوره كآدم الجديد أو آدم الثاني.
٣. حقيقة أن يسوع وُلد بدون أب بشري تشير إلى طبيعته الإلهية كابن الله.
٤. إنكار الميلاد العذراوي عادة ما يصاحبه إنكار العناصر الخارقة للطبيعة أو المعجزية في الكتاب المقدس.

٣٠

يسوع المسيح
الابن الوحيد

وأن يشير الكتاب المقدس إلى يسوع على أنه ابن وحيد من الآب (انظر يوحنا ١: ١٤)، فهذا ما أثار جدلاً كبيراً في تاريخ الكنيسة ولأن يسوع دُعي أيضاً "بكر كل خليقة" (كولوسي ١: ١٥) فقد قيل إن الكتاب المقدس يعلم أن يسوع ليس إلهاً، بل هو مخلوق ممجد.

وينكر كل من شهود يهوه والمرمون ألوهية المسيح ويستندون إلى هذين المفهومين. وكان من نتيجة إنكارهم أساساً لألوهية المسيح أن نُظر إلى هاتين الجماعتين كشيعتين وليس كطوائف مسيحية أصلية.

وكانت ألوهية المسيح موضوعا رئيسيا في القرن الرابع حين أنكر آريوس الهرطوقي الثالوث القدوس. وحجة آريوس الرئيسية ضد لاهوت المسيح هي التي أوحت بحجج شهود يهوه والمرمون في هذه الأيام. وقد أدين آريوس كهرطوقي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

وقد جادل آريوس بقوله إن الكلمة التي تُرجمت في الإنجليزية إلى Begotten تعني: "يحدث"، "يصبح"، "يبدأ أن يكون". وذاك الذي وُلد لابد وأنه كانت له بداية في الزمن. ويجب أن يكون محدوداً فيما يتعلق بالزمن، وهذه علامة من علامات البشرية. وأن يكون "بكر كل خليقة"، فهذا ما يوحي بالمستوى السامي لمثل هذا الشخص، حيث يكون أعظم من الملائكة، ولكنه لا يرتفع فوق مستوى المخلوق.

وعبادة المخلوق معناها ارتكاب خطية الوثنية. فما من ملاك أو أي مخلوق آخر جدير بأن يُعبد. وكان من رأي آريوس أن عزو الألوهية ليسوع يُعد رفضاً وتجديفاً للعقيدة الكتابية الخاصة بالإيمان بإله واحد. وبالنسبة لآريوس يجب أن يُنظر إلى الله على أنه "واحد" في كينونته وشخصه.

وقانون الإيمان النيقاوي يعكس رد الكنيسة على هرطقة آريوس. وهو يعترف بأن يسوع "مولود غير مخلوق". وفي هذه الصيغة البسيطة

كانت الكنيسة متحمسة لأن تأخذ حذرها من فكرة تفسير كلمة Begotten "ابن وحيد" على أنها تعني أو تشير إلى إنسان أو بشر.

وبعض المؤرخين يقولون إن مجمع نيقية أخطأ لدخوله في دفاع خاص أو رياضة ذهنية لتفادي المعنى الواضح والبسيط للكلمة اليونانية التي تُرجمت "مولود"، وعبارة "بكر كل خليقة". ومع ذلك، فإن الكنيسة لم تهرب من المعنى البسيط لهذه الكلمات بشكل اعتباطي. فقد كانت هناك أُسس لها ما يبررها لحماية كلمتهم "مولود" بعبارة "غير مخلوق".

أولا، كانت الكنيسة تسعى لفهم هذه الكلمات في السياق الكلي للتعليم الكتابي الخاص بطبيعة المسيح. وإذ كانت على قناعة بأن العهد الجديد ينسب الألوهية بوضوح للمسيح، فقد كانت ضد وضع جزء من الكتاب المقدس ضد جزء آخر.

ثانيا، على الرغم من أن العهد الجديد كتب باللغة اليونانية، إلا أن معظم الصيغ الفكرية والمفاهيم حملت بمعان عبرية. والمفاهيم العبرية تم التعبير عنها باستخدام اللغة اليونانية. وهذه الحقيقة تعد تحذيرا ضد الاتكال بأكثر من اللازم علىالفروق الضئيلة في اللغة اليونانية القديمة. وكما أن يوحنا استخدم الكلمة المحملة لوغوس (الكلمة) للإشارة إلى يسوع، فإنه سيكون من الخطأ أن تملأ هذا التعبير بأفكار يونانية على وجه القصر بالأفكار اليونانية المرتبطة باستخدام الكلمة.

ثالثا، كلمة "مولود Begotten" استخدمت بطريقة مشروطة في العهد الجديد. فقد أشير في يوحنا ١: ١٤ إلى يسوع على أنه "المولود الوحيد". وفي يوحنا ١: ١٨ دعي "الابن الوحيد". وهناك دليل مخطوطي هام يشير إلى أن الكلمة اليونانية الأصلية تترجم "الإله الوحيد المولود". ولو كان ذلك النص قد قبل لانتهى الجدال.

ومع ذلك، إذا أخذنا النص على أنه يعني "الابن الوحيد" فما زال لدينا كلمة معادلة حاسمة. فقد دُعي يسوع "الابن الوحيد monogenais والبادئة mono في اليونانية أقوى من كلمة "فقط" أو الوحيد في الإنجليزية.

ولاشك أن يسوع فريد تماماً في بنوته، وما من أحد آخر وُلد بمعنى ولادة يسوع. أما وأن الكنيسة تستطيع أن تتحدث عن ولادة المسيح الأزلية، فهي محاولة لإنصاف هذه الحقيقة. فقد انبثق الابن أزلياً من الآب، ليس كمخلوق، بل باعتباره الأقنوم الثاني في الثالوث القدوس.

وسفر العبرانيين الذي يشير أيضاً إلى يسوع على أنه ابن (عب ١: ٥)، هو الرسالة التي قد تعطينا أسمى تعليم عن شخص المسيح وأعماله يمكن أن نجده في العهد الجديد. والسفر الوحيد في العهد الجديد الذي ينافس العبرانيين في هذا هو إنجيل يوحنا. فيوحنا هو الذي يدعو يسوع بصراحة "الله". ويوحنا أيضاً هو الذي يتحدث عن المسيح بأنه "وحيد الآب".

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١: ١-١٨

كولوسي ١: ١٥-١٩

عبرانيين ١: ١-١٤

وأخيراً، فإن عبارة "بكر كل خليقة" يجب أن تُفهم على أساس خلفية الثقافة اليهودية في القرن الأول. ومن هذه النقطة الممتازة بوسعنا أن نعرف أن كلمة "بكر" تشير إلى حالة المسيح الممجد باعتباره وارث الآب. وكما أن الابن البكر عادة ما يأخذ الميراث الأبوي، هكذا يسوع الابن المبارك يأخذ ملكوت الله كميراثه.

موجز

١. وإذ سُمي يسوع "وحيد الآب"، "بكر كل خليقة" فقد أطلق هذا شرارة جدال في تاريخ الكنيسة حول ألوهية المسيح.

٢. يستخدم شهود يهوه والمرمون هذه الفقرات لإنكار ألوهية المسيح.

٣. وضح مجمع نيقية بجلاء أن يسوع "مولود غير مخلوق"، وهذا الفرق الواضح كان انعكاساً لتأكيد العهد الجديد ألوهية المسيح.

٤. سُمي يسوع "الابن الوحيد" أو وحيد الآب. وقد وُلد يسوع بطريقة فريدة من الآب، وليس كمخلوق، بل كابن الله الأزلي، الأقنوم الثاني في الثالوث المقدس.

٥. تعبير "بكر" يجب أن يُفهم على أساس خلفية يهودية في القرن الأول ويسوع "بكر كل خليقة" بمعنى أنه وارث كل ما هو للآب.

٣١

معمودية المسيح

طقس معمودية الماء الذي كان يجربـــه يوحنـــا المعمـــدان كـــان مرتبطـــاً بشكل وثيق بفريضة المعموديـــة الـــتي جعلـــها يســـوع كعلامـــة للعـــهد الجديد. وعلى الرغم من وجود استمرارية بـــين المعموديتـــين، إلا أنـــه لا يجب النظر إليهما على أنهما متطابقتـــــان.

فإذا ما تأملنا معمودية يوحنا بشكل صحيـــح، وجدنـــا أنهـــا تنتمـــي إلى العهد القديم. وعلى الرغم من أننا نقـــرأ عنـــها في العـــهد الجديـــد، إلا أن العهد الجديد لم يبدأ إلا بعد انتهاء خدمـــة يوحنـــا. وكـــانت معموديـــة يوحنا مطلبا طلبه الله من شعبه إســـرائيل. كـــانت معموديـــة اســـتعداد. فقد كان يوحنا يكرز باقتراب ملكوت الله. وكان المعمـــدان هـــو البشـــير الذي جاء يعلن عن المســـيا.

واقتراب ملكوت الله كان يـــرى في الظـــهور الوشـــيك للمســـيح. فقـــد كان المسيا الملك على وشـــك أن يعـــرف، غـــير أن شـــعب إســـرائيل لم يكونوا مستعدين له. كـــانوا غـــير مـــهيئين لذلـــك، لأنهـــم لم يكونـــوا طاهـــرين.

ولقد كانت معمودية يوحنا تجديدا وتطويرا جذريا. فقبـــل يوحنـــا، كـــان يطلب من الأمميين الذيـــن يتجـــددون ويعتنقـــون اليهوديـــة أن يجتـــازوا طقسا للتطهير. ومع ظهور يوحنـــا المعمـــدان أمـــر الله اليـــهود أيضـــا أن يتوبوا ويغتسلوا. ولقد اعتبر رجال الديـــن اليـــهود طلـــب يوحنـــا بأنـــه هرطقة وإهانة لهم. لأن هذا كان معناه أن يوحنـــا كـــان يعـــامل اليـــهود كما لو أنهم أمميون نجســـون.

فقرات كتابية للتأمل
إشعياء ٤٠: ٣
متى ٣: ١٣-١٧
مرقس ١: ١-٥
٢كورنثوس ٥: ٢١

كان يسوع راغباً في الخضوع لمعمودية يوحنا، بـــل وأصـــر عليـــها (ضـــد اعتراضات يوحنا) لأنه كان من واجب يســـوع للقيـــام بـــدوره كالمســـيا أن يخضع لكل متطلبات ناموس الله لإسرائيل. وإذ جعـــل نفســـه واحـــداً مع شعبه فقد تعمد يسوع ليكمل كل بـــــر.

وحين دخل يسوع نهر الأردن كي يُعمد من يوحنا، فقد كان هذا الحدث علامة على بداية خدمته على الأرض بالجسد. وهنا لا نجد أنه وضع على نفسه خطية شعبه فقط، بل ومُسح أيضاً من الروح القدس كي يقوم بمهمته. ويمكن من ناحية ما القول بأن هذا كان بمثابة رسامة يسوع. وهنا بدأ عمله باعتباره المسيح.

وكلمة "المسيح" تعني "الممسوح". فقد مُسح يسوع من الروح القدس عند معموديته، وبدأ يقوم بدور المسيح بحسب ما وصفه إشعياء: "روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لأبشر المساكين" (إشعياء ٦١: ١).

موجز

١. كانت معمودية يوحنا استعداداً لمجيء المسيح.
٢. كانت معمودية يوحنا تُعد إهانة لليهود لأنها كانت تعني أنهم "نجسون".
٣. لم يعتمد يسوع من أجل خطاياه هو، بل ليجعل نفسه واحداً مع الخطاة. لقد جاء ليخلص.
٤. رُسم يسوع أو مُسح عند معموديته.

٣٢

مجد المسيح

نميل إلى الاعتقاد أن المجد هو شيء يتحقق نتيجة انتصارات رياضية غير عادية، أو إنجازات رائعة في مجال الأعمال أو الشهرة الشخصية. ومع ذلك، فإن المجد في الكتاب المقدس، له علاقة باللمعان المشرق من عظمة الله الفائقة. وفي لحظة حاسمة برز فجأة بهاء لاهوت المسيح عبر رداء بشريته.

ولعل مجد المسيح لم يكن أكثر وضوحاً على الإطلاق مما كان عليه أثناء تجليه. والكلمة اليونانية للتجلي هي: "metamorphoomai"، ومنها اشتُقت كلمة metamorphosis أي التحول أو الاستحالة. وهي تشير إلى تغيير في الهيئة، مثلما يحدث مثلاً عند التغيير الذي يحدث حين تتحول اليرقة إلى فراشة. والبادئة "trans" في كلمة تجلي "transfiguration" تعني حرفياً "عبر". ففي التجلي عبور حد أو حاجز. وقد نسميه عبور الخط بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة، بين ما هو بشري وما هو إلهي. إنه اختراق لحدود بعض الأبعاد إلى ملكوت الله.

فقرات كتابية للتأمل
متى ١٧: ١-٩
مرقس ١٣: ٢٤-٢٧
عبرانيين ١: ١-٣
رؤيا ٢٢: ٤-٥

عند التجلي أشرق نور لامع جداً من يسوع. وهذا النور كان العلامة المرئية بأن الحاجز تم اختراقه بالفعل. وهناك بعض التشابهات بين إظهار المجد هذا، ولمعان وجه موسى حين عاد من جبل سيناء بالوصايا العشر. ومع ذلك، فالفروق كبيرة. ذلك أن وجه موسى كان يلمع بمجد منعكس. والمسيح لم يعكس لمعان نور مجد إلهي فقط، بل إن مجده هو لمعان مجده الإلهي. وفي هذا الصدد، من الجلي أن مجده يسمو المجد المنعكس على وجه موسى.

فالمسيح، لم يعكس إذاً "النور" بل كان هو مصدر النور، وكان التجلي يماثل ما سيختبره المسيحي في أورشليم الجديدة. ففي رؤيا ٢١: ٢٣، يوضح يوحنا أن المدينة السماوية لن تحتاج إلى الشمس أو إلى القمر كي ينيراها. ذلك أن مجد الله سينيرها. ولسوف يكون الخروف

نورها. "وهم سينظرون وجهه واسمه علـــى جباهـــهم. ولا يكـــون ليـــل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإلـــه ينـــير عليـــهم" (رؤيـــا ٢٢: ٤-٥).

أما وأن مجد المسيح أشرق عند التجلي فـــهذا مـــا لا يجـــب أن يدهشـــنا. ولكن الدهشة تكمن في أنه بإرادته حجب مجده مـــن أجـــل أولاده.

موجز

١. أُعلن مجد المسيح عند تجليه.
٢. تجلي المسيح كان تغييراً في الهيئة، عبور مـــن الطبيعـــي إلى مـــا هـــو خارق للطبيعـــة.
٣. لم يكن مجد المسيح مجرد انعكاس لمجد الله، بل هو نفس مجد الله نفسه.

٣٣

صعود المسيح

كثيراً ما تهمل الكنائس الحديثة الصعود. ولدينا احتفالات خاصة، وأجازات و(أيام مقدسة)، فنحن نحتفل بالميلاد (الكريسماس)، وموت المسيح (الجمعة العظيمة)، والقيامة (قيامة المسيح). ومع ذلك، فإن معظم الكنائس لا تذكر الصعود إلا قليلاً، أو قد لا تذكره على الإطلاق. ولكن الصعود حدث يتعلق بالفداء، وله أهمية بالغة. فهو يمثل النقطة التي بلغ فيه يسوع ذروة المجد قبل عودته. ففي الصعود دخل المسيح إلى مجده.

وصف يسوع تركه لهذا العالم، بأنه أفضل بالنسبة لنا من حضوره وسطنا بالجسد. وحين أعلن لتلاميذه عن مضيه لأول مرة، حزنوا لهذه الأخبار. ومع ذلك، أدركوا بعد ذلك مغزى هذا الحدث العظيم. ويسجل لنا لوقا صعود المسيح:

"ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون. وأخذته سحابة عن أعينهم. وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض. وقالا أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء. إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء" (أعمال ١: ٩-١١).

ونلاحظ أن يسوع ارتفع في سحابة. وقد تكون هذه إشارة إلى الشكينة (سحابة المجد). وهذه السحابة تفوق في لمعانها أية سحابة عادية. فهي الإعلان المرئي لمجد الله المشرق. ولذلك، فالطريقة التي صعد بها يسوع لم تكن عادية على الإطلاق. كانت لحظة بهاء رائع.

و"يصعد" تعني "يذهب إلى أعلى" أو "يرتفع". ومع ذلك، حين استخدمت كلمة "صعود "ascension" بالنسبة للمسيح، كان لها معنى أكثر عمقا وأوفر ثراء ووضوحا. فصعود المسيح أمر فريد. فهو يسمو

على أخذ أخنوخ مباشرة إلى السماء، أو صعود إيليا في مركبة من نار.

وصعود المسيح يشير إلى ذهابه إلى مكان خاص لغرض معين. لقد ذهب إلى الآب، إلى يمين الآب. لقد ارتفع إلى كرسي السلطة على الكون. لقد صعد يسوع إلى السماء من أجل تتويجه، وتثبيته كملك الملوك.

كذلك صعد يسوع كي يدخل قدس أقداس السماء، ليواصل عمله كرئيس كهنتنا الأعظم، والمسيح يحكم كملك في السماء ويتشفع لنا كرئيس كهنتنا. ومن وضعه كصاحب السلطان بعد الصعود يسكب من روحه على الكنيسة. وفي هذا الشأن قال جون كالفن:

"إذ رفع إلى السماء، فقد سحب حضوره بالجسد عن أعيننا، وليس معنى هذا أنه سيتوقف عن أن يكون مع أتباعه، الذين مازالوا سياحا على الأرض، بل لكي يحكم السماء والأرض، وبشكل مباشر بسلطانه".

وحين صعد يسوع إلى السموات لتتويجه باعتباره ملك الملوك، وأجلسه الله عن يمينه، ويمين الله هو كرسي السلطة. ومن هذا الوضع، يحكم يسوع ويدير ملكوته، ويترأس باعتباره ديان السموات والأرض.

وجلوس يسوع عن يمين الآب، باعتباره رأس جسده، الذي هو الكنيسة. ومع ذلك فإن يسوع في هذا الوضع يمتد سلطانه وحكمه وإدارته إلى ما بعد نطاق كنيسته كي يشمل العالم بأسره. وعلى الرغم من أنه كان يمكن التمييز بين الكنيسة والدولة في نطاق حكم يسوع، إلا أنهما لم ينفصلا أو ينعزلا إطلاقا. ذلك أن سلطانه يمتد ليشملهما معا. فكل حكام الأرض مسئولون أمامه، ولسوف يكون هو الديان الذي يقفون أمامه بحسب سلطانه كملك الملوك ورب الأرباب. وكل واحد في السماء والأرض، دعاه الله كي يوقر عظمة يسوع، وأن يخضع لسلطانه، وأن يقدم له الولاء والإجلال، ويخضع

لسلطانه. وكل إنسان سيقف أمامه في النهاية حين يتولى الدينونة الأخيرة.

وليسوع السلطان أن يسكب روحه القدوس على الكنيسة ولكن يسوع لم يسكب الروح، إلا بعد أن جلس أولاً على يمين الله. والروح يعمل في خضوع للآب والابن، وهما اللذان أرسلاه ليطبق عمل المسيح في الخلاص على المؤمنين.

فقرات كتابية للتأمل
لوقا ٢٤: ٥٠-٥٣
رومية ٨: ٣٤
رومية ١٤: ٩-١٠
أفسس ٤: ٧-٨
عبرانيين ٩: ٢٣-٢٨

وفيما جلس يسوع عن يمين الله، فإنه لم يمارس دوره كملك للملوك فقط، بل وأتم أيضاً دوره كديان العالم. فهو ديان كل الشعوب والأمم. وعلى الرغم من أن يسوع يحكم كديان لنا، إلا أنه عُين من قبل الآب شفيعاً لنا. فهو الذي يمثل هيئة الدفاع عنا في المحكمة السماوية. وفي الدينونة الأخيرة فإن محامي الدفاع الذي عينته المحكمة سوف يكون القاضي الذي يترأس المحكمة.

وثمة مثال لشفاعة يسوع عن القديسين يمكننا أن نراه في استشهاد إستفانوس:

"وأما هو (إستفانوس) فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله". (أعمال ٧: ٥٥-٥٦).

موجز

١. الصعود يلقى اهتماماً قليلاً جداً في الكنيسة الحديثة.
٢. يمثل الصعود نقطة حاسمة من تمجيد المسيح في التاريخ الفدائي.
٣. ارتفع يسوع في سحابة مجد.
٤. صعد يسوع إلى مكان معين ولغرض بعينه: تتويجه كملك الملوك.
٥. في صعوده، دخل يسوع في دوره كرئيس كهنتنا السماوي وأجلس عن يمين الله، كرسي السلطان الإلهي على كل الكون.
٦. من وضعه على يمين الله، سمح يسوع بانسكاب الروح القدس في يوم الخمسين.
٧. من موقع سلطانه، يسوع هو ديان الكل.
٨. يعمل يسوع أيضاً كمحام، أو ممثل الدفاع من أجل شعبه.

٣٤

يسوع المسيح كوسيط

الوسيط هو الذي يقف بين شخصين أو أكثر، أو جماعتين أو أكثر، يكون ثمة نزاع بينهم ويحاول المصالحة بينهم. وبحسب التعبيرات الكتابية، وصف البشر بأنهم في عداوة ضد الله. فنحن نتمرد، ونثور، ونرفض طاعة ناموس الله. وكان من نتيجة ذلك، أن أصبح علينا غضب الله. ولكي يتغير هذا الوضع المأساوي أو يستبدل، فإنه من الضروري أن نتصالح مع الله.

ولكي تتحقق المصالحة، عين الله الآب ابنه وأرسله لكي يكون وسيطنا. ولم يأت لنا المسيح بأقل من العظمة الإلهية لله نفسه، فهو الله المتجسد. ومع ذلك أخذ طبيعة بشرية، وبإرادته وحده أخضع نفسه لمتطلبات ناموس الله.

ولم يبدأ يسوع المصالحة في محاولة لإقناع الآب أن ينحي غضبه جانبا، بل بالأحرى في مشورة الله الأزلية كان هناك اتفاق تام بين الآب والابن، بأن يأتي الابن كوسيط لنا. وما من ملاك كان باستطاعته أن يمثل الله لنا بشكل كاف، فالله وحده هو الذي يستطيع عمل ذلك.

وفي التجسد، أخذ الابن طبيعتنا البشرية ليحقق فداء ذرية آدم الساقطة. وبطاعته الكاملة، أتم المسيح مطاليب ناموس الله، واستحق الحياة الأبدية التي يعطيها لنا. وبخضوعه للموت الكفاري على الصليب، أتم متطلبات غضب الله ضدنا. ولقد أتم يسوع من الناحيتين الإيجابية والسلبية المطاليب الإلهية الخاصة بالمصالحة. وقد اتانا بعهد جديد مع الله بدمه، ومازال يواصل يوميا التشفع من أجلنا باعتباره رئيس كهنتنا.

والوسيط الناجح هو الذي يستطيع أن يحقق السلام بين الأطراف المتصارعة أو المتنافرة. وهذا هو الدور الذي قام به يسوع كوسيطنا الكامل. وقد أعلن الرسول بولس إن لنا سلاما مع الله بواسطة عمل

المصالحة الذي قام به يسوع "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رومية ٥: ١).

وعمل المسيح كوسيط يسمو على كل الوسطاء الآخرين. وكان موسى وسيط العهد القديم. وعمل كوسيط بين الله وبني إسرائيل، وأعطى الإسرائيليين الناموس. ولكن يسوع أسمى من موسى. ويقول كاتب سفر العبرانيين:

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٨: ٣٣-٣٤
١تيموثاوس ٢: ٥
عبرانيين ٧: ٢٠-٢٥
عبرانيين ٩: ١١-٢٢

"فإن هذا قد حُسب أهلاً لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت. لأن كل بيت يبنيه إنسان ما ولكن باني الكل هو الله. وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به. وأما المسيح فكابن على بيته. وبيته نحن" (عب ٣: ٣-٦).

موجز

١. الوسيط يعمل من أجل تحقيق المصالحة بين أطراف متنافرة.
٢. والمسيح باعتباره الله - الإنسان صالحنا مع الآب.
٣. المسيح والآب كانا على اتفاق منذ الأزل على أن يكون المسيح وسيطنا.
٤. عمل المسيح في الوساطة كان يسمو على الأنبياء والملائكة وموسى.

٣٥

وظيفة المسيح الثلاثية

من بين أعظم الإسهامات نحو فهم مسيحي لعمل المسـيح، تفسـير جـون كالفن لوظيفة المسيح الثلاثية كنبي، وكاهن، وملـك. وباعتبـاره نـبي الله بلا منازع، كان يسوع هو النبي كما كـان موضـوع النبـوة. فشـخصه وعمله هما النقطة الأساسية لنبوة العهد القـديم، ومـع ذلـك كـان هـو نفسه نبياً. وفي نفس أقوال يسـوع النبويـة، كـان ملكـوت الله، ودوره في الملكوت الآتي من الموضوعات الأساسـية. والعمـل الرئيسـي للنـبي، هو إعلان كلمة الله. ولكن يسوع لم يعلن كلمة الله فحسـب، بـل هـو نفسه كلمة الله. وكـان يسـوع أسمـى نـبي لله، إذ كـان كلمـة الله المتجسـد.

كان نبي العهد القديم نوعا من الوسيط بين الله وشـعب إسـرائيل. كـان يتكلم مع الناس نيابة عن الله. وكان الكاهن يتكلـم مـع الله نيابـة عـن الشعب. وقد قام يسوع أيضا بدور رئيس الكهنة. وكـان كهنـة العـهد القديم يقدمون ذبائح باستمرار، لكن يسوع قـدم ذبيحـة لمـرة واحـدة وإلى الأبد، وكانت لها قيمة دائمـة. وتقدمـة يسـوع لـلآب كـانت ذبيحة نفسه. فقد كان الذبيحة كما كان مقدمـها أيضـا.

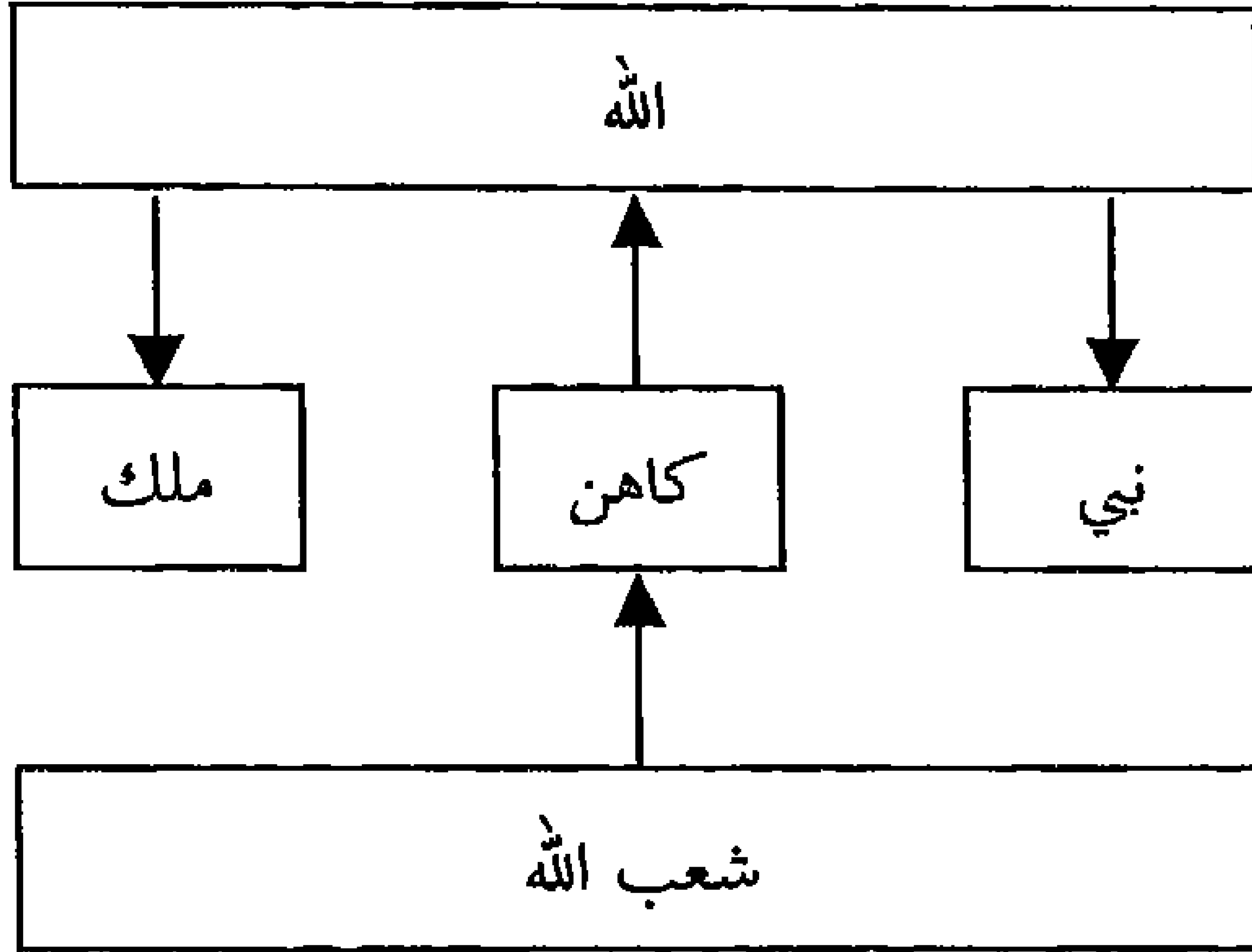
ومع أن وظائف الوساطة التي تتمثل في النـبي والكـاهن والملـك، كـان يقوم بها ثلاثة أشخاص منفصلين، إلا أن هذه الوظـائف الثـلاث تمثلـت بشكل سام في شخص يسوع. لقد تحققـت في يسـوع النبـوة المسـيانية الواردة في مزمور ١١٠. فهو ابن داود، كمـا أنـه في ذات الوقـت رب داود. وهو الكاهن الذي هو أيضاً الملك. وهو الحمل الـذي ذُبـح كمـا أنه الأسد الذي من سبط يهوذا. ولكي نفهم عمل المسـيح بشـكل تـام، لا ينبغي أن ننظر إليه كمجرد نـبي، أو كـاهن أو ملـك. بـل إن هـذه الوظائف الثلاث جميعها قد تحققت فيـه.

موجز

١. كان يسوع تحقيقاً لنبوة العهد القديم، كما كان هو نفسه نبياً.
٢. كان يسوع كاهناً وذبيحة في نفس الوقت. وباعتباره كاهناً، قدم نفسه كذبيحة كاملة عن الخطية.
٣. يسوع هو الممسوح ملكاً للملوك ورباً للأرباب.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ١١٠
إشعياء ٤٢: ١-٤
لوقا ١: ٢٦-٣٨
أعمال ٣: ١٧-٢٦
عبرانيين ٥: ٥-٦



٣٦

ألقاب يسوع

أُعطي يسوع الناصري ألقاباً أكثر مما أعطيت لأي شخص في التاريخ. ونموذج موجز لهذه الألقاب، يشمل الآتي:

المسيح
الرب
ابن الإنسان
المخلص
ابن داود
رئيس الكهنة الأعظم
ابن الله
الألف والياء
السيد
المعلم
البر
النبي
نرجس شارون
سوسنة الأودية
الشفيع
أسد يهوذا
حمل الله
آدم الثاني

أما الألقاب الرئيسية التي أعطيت ليسوع فهي:

١. *المسيح:* لقب المسيح كثيراً ما يُعطى ليسوع حتى أن الناس كثيراً ما يعتقدون خطأً أنه اسمه الأخير. ومع ذلك فهو ليس اسماً، بل لقباً يشير إلى وضعه وعمله كالمسيح. واسم "المسيح" مأخوذ عن الاسم اليوناني خريستو "Christos"، والذي استخدم ترجمة

للكلمة العبرية "المسيا". غير أن المسيح والمسيا معناهما "الممسوح".

كانت فكرة المسيا المنتظر في العهد القديم تشير إلى ذاك الذي سيمسح بشكل فريد من الروح القدس، وكانت فكرة معقدة ولها جوانب كثيرة. ولم يكن لليهود جميعا نفس الفكرة عن المسيا.

ومن بين المفاهيم التي كانت تقال عن المسيح هي أنه سيكون ملكا. ولسوف يكون ابن داود الممسوح، أسد يهوذا، الذي سيقيم مملكة داود الساقطة. (وهذه الناحية كانت تثير اليهود بدرجة كبيرة وهي التي أشعلت لهيب رجائهم في حاكم سياسي يحررهم من العبودية للرومان).

غير أن المسيح كان يسمى أيضا عبد الله، بل العبد المتألم الذي تحدثت عنه نبوة إشعياء. وهاتان الصفتان بدا من المستحيل في الواقع أن تتحدا في شخص واحد، على الرغم من أنهما بدتا متحدتين بجلاء في يسوع.

والمسيا كان له أيضا أن يكون كائنا سماويا (ابن الإنسان) ولسوف ينتسب بشكل فريد إلى الله (ابن الله). ويكون كاهنا ونبيا أيضا. وكلما زاد إدراكنا بمدى ما كان عليه تعقيد مفهوم لقب المسيح، زادت دهشتنا للطريقة المعقدة التي نسجت بها كل هذه الجدائل معا في شخص يسوع وعمله.

٢. *الرب:* ثاني أكبر الألقاب التي أطلقت على يسوع في العهد الجديد هو لقب "الرب". ولهذا اللقب أهمية قصوى بالنسبة لصورة يسوع في العهد الجديد. فلقب "الرب" استخدم بثلاث طرق مختلفة في العهد الجديد. الأولى كصيغة عامة لأدب المخاطبة، على غرار الكلمة الإنجليزية "Sir" (يا سيدي). والثانية تشير إلى مالك لعبد "سيد". أما هنا فيستخدم بمعنى رمزي بالنسبة ليسوع. فهو سيدنا. أما الاستعمال الثالث فهو الاستعمال الملكي. فهو يشير إلى شخص لابد وأنه ملك وسيد.

في القرن الأول، كان الأباطرة الرومان يطلبون من رعاياهم قسم الولاء، كان يطلب منهم بمقتضاه أن يعترفوا بصيغة "قيصر هو الرب". وكان المسيحيون يُستشهدون لرفضهم الإذعان. وبدلاً من ذلك أعلنوا أول قانون للإيمان المسيحي: "يسوع هو الرب"، وأن تدعو يسوع "رباً" كان أمراً ليس مرده أساساً وجهة النظر الرومانية، بل من وجهة نظر يهودية على وجه الخصوص، لأنه اللقب الذي أعطي لله نفسه في العهد القديم.

ولقب "الرب" أعطي ليسوع بواسطة الله الآب، إنه الاسم الذي "فوق كل اسم" الذي تحدث عنه الرسول بولس في فيلبي ٢: ٩.

٣. *ابن الإنسان:* هذا اللقب هو من بين أكثر الألقاب الآسرة التي أُطلقت على يسوع، ولعله اللقب الذي كثيراً ما يُساء فهمه. فبالنظر إلى أن الكنيسة تعترف بطبيعة يسوع الثنائية، بأنه إنسان حقيقي، وإله حقيقي، ولأن الكتاب المقدس يصف يسوع بأنه ابن الإنسان، وابن الله، فمن ثم يفترض البعض أن "ابن الإنسان" تشير إلى بشرية يسوع، وأن "ابن الله" تشير إلى ألوهيته. ومع ذلك، فالأمر ليس على هذا النحو بالضبط. ومع أن لقب "ابن الإنسان" يتضمن عنصراً بشرياً إلا أنه يشير بصفة أساسية إلى طبيعة يسوع الإلهية. كما أن لقب "ابن الله" يتضمن أيضاً إشارة إلى الألوهية، غير أن تركيزه الأساسي إنما هو على "طاعة" يسوع كابن.

ولقب "ابن الإنسان" هذا يكتسب مزيداً من الأهمية حين ندرك أنه على الرغم من أنه يأتي في المرتبة الثالثة (أسفل القائمة) من ناحية تكرار الاستعمال في العهد الجديد (بعد المسيح، والرب) إلا أنه يأتي في المرتبة الأولى (بنسبة كبيرة) من ناحية استخدام يسوع للألقاب بالنسبة لنفسه. فلقب "ابن الإنسان" هو التعبير المفضل الذي كان يستخدمه يسوع عن نفسه بشكل لا يُقاس معه استخدامه للألقاب الأخرى.

وأهمية هذا اللقب مردها علاقته باستخدام دانيال له في العهد القديم (انظر دانيال ٧) ولقب "ابن الإنسان" هنا يشير بوضوح إلى كائن سماوي يقوم بدور ديان العالم. وقول يسوع هذا اللقب عن نفسه

ليس ممارسة لاتضاع زائف، بل إنه ادعاء شجاع لسلطان إلهي. فقد قال يسوع، على سبيل المثال، إن لابن الإنسان سلطاناً أن يغفر الخطايا (مرقس ٢: ١٠)، وهذا أمر يخص الله وحده، كما قال أنه "رب السبت" (مرقس ٢: ٢٨).

٤. *الكلمة:* ليس ثمة لقب من ألقاب يسوع أثار اهتماماً فلسفياً ولاهوتياً في القرون الثلاثة الأولى أكثر من لقب "الكلمة". وكان لقب "الكلمة" أمراً جوهرياً في تطوير الكنيسة الأولى للتعليم الخاص بشخص المسيح وعمله. ومقدمة إنجيل يوحنا تُعد أمراً حاسماً لفهم هذا التعليم عن يسوع باعتباره "الكلمة". وقد كتب القديس يوحنا "في البدء كان الكلمة (اللوغس)، والكلمة (اللوغس) كان عند الله، وكان الكلمة (اللوغس) الله" (يوحنا ١: ١).

وفي هذه الفقرة الرائعة تميز الكلمة (اللوغس) عن الله ("كان عند الله") وعُرف بأنه الله ("وكان الكلمة الله"). وكان لهذا التناقض الظاهري تأثير كبير على تطور تعليم الثالوث المقدس، إذ يُنظر إلى "اللوغس" بأنه الأقنوم الثاني في الثالوث المقدس. فهو في شخصه يختلف عن الآب، لكنه واحد مع الآب في الجوهر.

أما وأن الفلاسفة المسيحيين قد انجذبوا إلى مفهوم "اللوغس" يمكن ترجمتها ببساطة إلى لفظة "كلمة" إلا أن لهذه اللفظة تاريخاً من الاستعمال الفلسفي الغني الذي أضفى ثراء على معنى "اللوغس" فقد اهتم اليونانيون القدامى بفهم معنى للكون، وهكذا انهمكوا في بحث عن "الحقيقة المطلقة" (ما وراء الطبيعة). فقد بحث فلاسفتهم عن العامل الموحد أو القوة التي أوجدت النظام والتناغم بين التنوع الواسع للعالم المخلوق (علم الكونيات). بحثوا عن (a nous) أي عن عقل يمكنهم أن يعزوا له نظام كل الأشياء. وعلى هذه الحقيقة المطلقة الموحدة أطلق اليونانيون اسم "اللوغس". وقد وفر هذا الاسم الترابط أو "منطق" الحقيقة. وهذا المفهوم استخدمه هراقليطس وبعد ذلك الفلسفة الرواقية، حيث استعمل كناموس كوني مجرد.

فقرات كتابية للتأمل

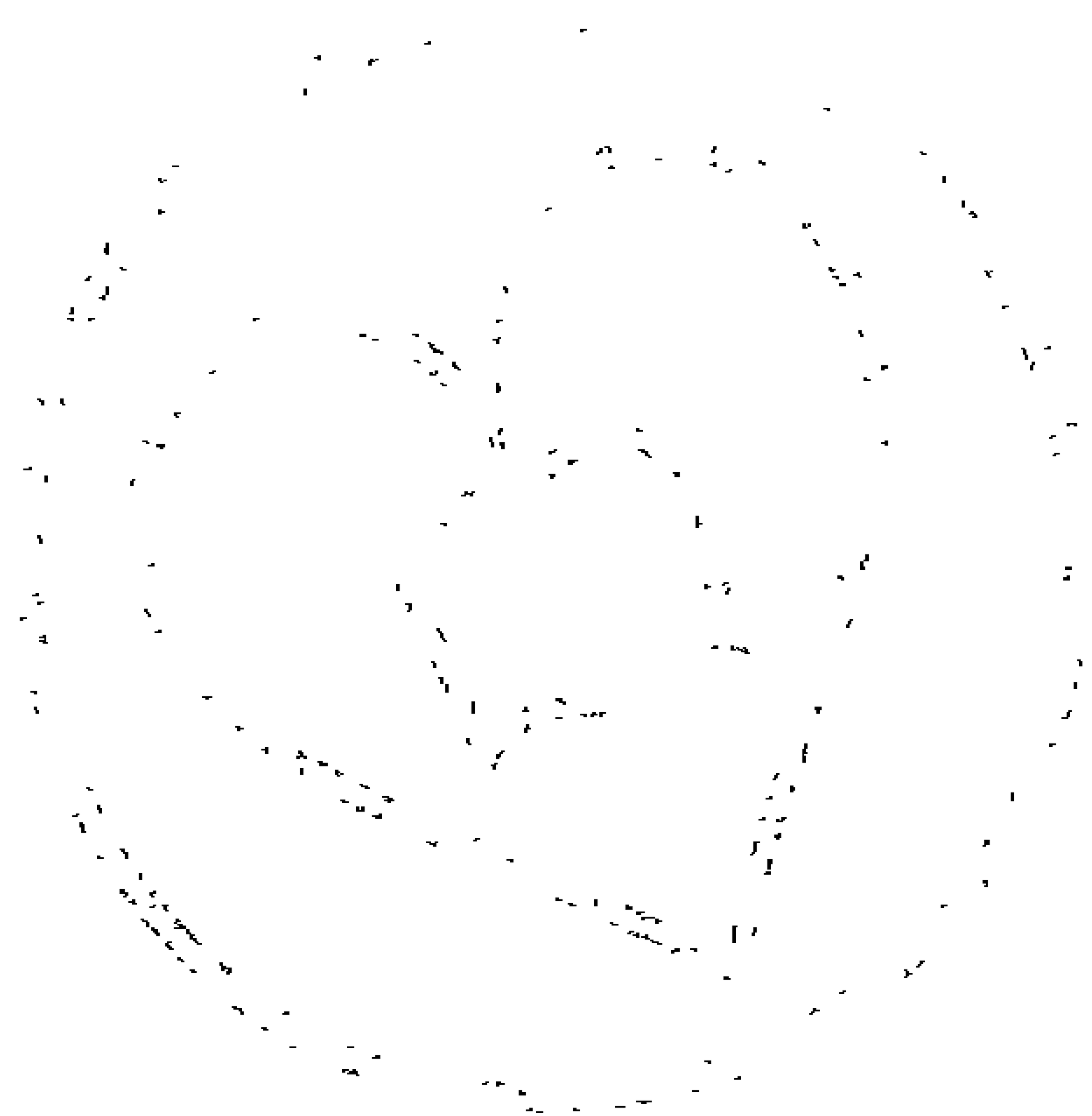
تكوين ١: ١-٢: ٣
متى ٩: ١-٨
متى ١٦: ١٣-٢١
يوحنا ١: ١-١٨
رؤيا ١٩: ١١-١٦

وعلى الرغم من أن التعبير حُمل على هـذا النحـو، بـأمور فلسـفية، إلا أن الاستخدام الكتـابي للفظـة "اللوغـس" تجـاوز تمامـاً الاسـتخدام اليوناني. ففي تكوين ١: ٣ إلخ، ذُكر أن الله "قـال .. وكـان". وهكـذا فإن الخليقة جاءت إلى الوجود بكلمة الله. ومـع ذلـك، فـإن مـا أبعـد مفهوم "اللوغس" إلى حـد كبـير جـداً عـن اسـتخدامه في الفلسـفة اليونانية هـي أن "اللوغـس" في العـهد الجديـد تشـير إلى "شـخص"، فالكلمة صار إنساناً عاش ومات في عالمنـا.

موجز

١. "المسيح" تعني "الممسوح" واستُخدمت كلقـب ليسـوع للإشـار إلى دوره كملك، وكذلك كالعبد المتألم. والمسيح هـو اللقـب الأكـثر شيوعاً بالنسبة ليسـوع.
٢. "الرب" ثاني الألقاب شيوعاً بالنسبة ليسـوع، ويشـير إلى سـلطانه الأسمى كسيد للكـون.
٣. "ابن الإنسان" اللقب الذي كـان يسـوع يسـتخدمه غالبـاً عنـد الإشارة إلى نفسه. وهـذا اللقـب يشـير بصفـة أساسـية إلى دور يسوع كديان الكون كلـه.
٤. لقب "اللوغس" (الكلمة) لـه تـراث كبـير في الثقـافتين العبريـة واليونانية. يسوع هو اللوغس - خـالق الكـون، الحقيقـة المطلقـة الكامنة خلف الكون، وهو ذاك الذي يعمل باسـتمرار علـى حفـظ الكـون.

الجزء الخامس



الروح القدس

٣٧

ألوهية الروح القدس

في العبادة في الكنيسة، كثيراً ما نسمع عبارة "باسم الآب، والابن والروح القدس. آمين" وهذا التعبير صيغة للثالوث القدوس تنسب الألوهية لأقانيم اللاهوت الثلاثة.

كذلك نترنم بتسبحة التمجيد:

"المجد للآب، والابن، والروح القدس".

الآن وكل أوان وإلى الأبد، آمين.

هذه الترنيمة تنسب المجد الأبدي لأقانيم الثالوث الثلاثة. فقد نُسب المجد الأبدي إلى الروح القدس مع الآب والابن.

وفي حين أن ألوهية المسيح كانت موضع نقاش عبر قرون، وما زالت كذلك حتى الآن، إلا أن ألوهية الروح القدس قُبلت في الكنيسة بصفة عامة. ولعل السبب في أن ألوهية الروح القدس لم تكن موضع جدل كثير، هو أن الروح القدس لم يأخذ إطلاقاً شكل إنسان.

والكتاب المقدس يقدم الروح القدس بكل وضوح على أنه يمتلك الصفات الإلهية ويمارس سلطانه الإلهي. ومنذ القرن الرابع، نجد أن كل الذين وافقوا على أن الروح القدس أقنوم، وافقوا أيضاً على أنه الله.

وما قيل عن الله في العهد القديم، كثيراً ما كان يُقال أيضاً عن الروح القدس. وتعبيرات: "قال الله"، "قال الروح .." كثيراً ما كانا يذكران بالتبادل. ويستمر هذا النمط في العهد الجديد، ولعل ذلك لم يكن بأكثر قوة مما جاء في أعمال ٥: ٣-٤، حيث قال بطرس الرسول: "يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل .. أنت لم تكذب على الناس بل على الله". ووضح ببساطة أن الكذب على الروح القدس هو كذب على الله نفسه.

كما أن الأسفار الإلهية تنسب صفات إلهية للروح القدس. وقد كتب بولس عن علم الروح القدس بكل شيء وذلك في كورنثوس الأولى ٢: ١٠، ١١

"لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله". ويشهد كاتب المزامير لعلم الروح القدس بكل شيء وذلك في مزمور ١٣٩: ٧،٨ "أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السموات فأنت هناك وإن فرشت في الهاوية فها أنت". كما عمل الروح القدس في الخليقة أيضاً، حيث أن "روح الله يرف على وجه المياه" (تكوين ١: ٢،١).

وكقول ختامي عن ألوهية الروح القدس، لدينا البركة الختامية التي قالها الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (كورنثوس الثانية ١٣: ١٤).

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١: ٢،١
أعمال ٥: ٤،٣
رومية ٨: ٩-١٧
١كورنثوس ٦: ٢٠،١٩
أفسس ٢: ١٩-٢٢

موجز

١. العبادة في الكنيسة تنسب الألوهية للروح القدس.
٢. يعزو العهد القديم صفات الله وسلطانه للروح القدس.
٣. ينسب العهد الجديد صفات ألوهية للروح القدس.

٣٨

شخصية الروح القدس

الليلة التي تجددت فيها زوجتي وآمنت بالمسيح، قالت لي: "الآن أعرف من هو الروح القدس". كانت قبل ذلك تعتقد أن الروح القدس شيء وليس شخصاً.

وحين نتحدث عن شخصية الروح القدس، فإننا نقصد بهذا أن الأقنوم الثالث في الثالوث القدوس شخص وليس قوة. وهذا أمر واضح في الأسفار المقدسة، حيث استخدمت الضمائر الشخصية للعاقل للإشارة إلى الروح القدس. ففي يوحنا ١٦: ١٣ قال يسوع: "وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية".

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٦: ١٣
٢كورنثوس ١٣: ١٤
١تيموثاوس ٤: ١
يعقوب ٤: ٥
١يوحنا ٥: ٦

وبالنظر إلى أن الروح القدس شخص حقيقي ومميز، وليس قوة غير شخصية، فإنه من الممكن لنا التمتع بعلاقة شخصية معه. لقد قال بولس بركة ختامية لكنيسة كورنثوس تبرز هذا: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (كورنثوس الثانية ١٣: ١٤). وأن تكون لك شركة مع شخص ما معناه أن تدخل معه في علاقة شخصية. وفضلا عن ذلك دعينا ألا نخطئ، أو نقاوم أو نحزن الروح القدس. والقوى غير الشخصية لا يمكن "إحزانها" فالحزن لا يختبره سوى شخص له وجود.

ولأن الروح القدس "شخص" فإنه من اللائق أن نصلي له. ودوره في الصلاة هو مساعدتنا في التعبير عن أنفسنا للآب بشكل كاف. وكما أن يسوع يتشفع من أجلنا كرئيس كهنتنا، هكذا أيضا يتشفع الروح القدس من أجلنا في الصلاة.

وأخيراً، يتكلم الكتاب المقدس عن الروح القدس بأنه يؤدي أموراً لا يمكن أن يقوم بها إلا أشخاص. فالروح القدس يعزي، ويرشد، ويعلّم المختارين (انظر يوحنا ١٦). وهذه الأنشطة تُؤدى بطريقة تتطلب

ذكاء، وإرادة، وشعوراً، وقوة. فهو يفحص، ويختار، ويعلن ويعزي ويبكت وينصح.

والشخص فقط هو الذي يستطيع عمل هذه الأمور. وعلى ذلك فاستجابة المسيحي ليست مجرد تأكيد بأن هذا الكائن له وجود، بل إنه بالأحرى، يطيع ويحب، ويعبد الروح القدس، الأقنوم الثالث في الثالوث القدوس.

موجز

١. الروح القدس شخص، وليس قوة غير شخصية.
٢. تستخدم الأسفار المقدسة ضمائر شخصية حين تشير إلى الروح القدس.
٣. وعمل الروح القدس يتطلب شخصاً ويشير إلى شخص.
٤. يتمتع المسيحي بعلاقة شخصية مع الروح القدس.
٥. يجب أن يُعبد الروح القدس ويُطاع.

٣٩

الشهادة الداخلية للروح القدس

في أي محاكمة تتضمن شهوداً، تُعد الشـهادة الـتي تُقـدم أمـراً حاسمـاً بالنسبة للقضية. فالشهادة لها أهميتها لأن القصـد منـها هـو مسـاعدتنا على تبين حقيقة الأمـر. وفي بعـض المحاكمـات، يتـم تحـدي بعـض الشهود، لأن شخصيتهم موضع شـبهة. فشـهادة الكـاذب السـيكوباتي (المضطرب عقلياً) ليس لها قيمـة.

لأنه لكي يكون للشهادة جدارة، يجب أن يكون الشاهد جديراً بالتصديق. وحين يشهد الله بصحة شـخص مـا، فشـهادته أكيـدة. فشـهادته لا تشوبها شائبة على الإطلاق. فالشـهادة الـتي مصدرهـا الله لا يمكـن أن تخيـب.

فهي في الواقع شهادة معصومة من الخطأ. فهي نابعـة مـن أسمـى كـائن على الإطلاق، وأعمق ينبـوع ممكـن للمعرفـة، ومـن أسمـى سـلطة. فمصداقية شهادة الله هي التي حفزت ذات مرة مارتن لوثـر حـتى قـال: "الروح القدس ليس محل شك". والحق الذي يعلنه الـروح القـدس أكـثر يقينية من الحياة نفسـها.

وقد علم جون كالفن أنه على الرغم مـن أن الكتـاب المقـدس يوضـح بجلاء. وبعلامات معقولة سلطته الإلهيـة ويعـرض دليـلا كافيـا علـى مصدره الإلهي، إلا أن هـذه الأدلـة لا تقنعنـا تمامـا إلا إذا ختمـت في قلوبنا بشهادة الروح القدس الداخلية. ولقد عـرف كـالفن الفـرق بـين البرهان والإقناع. وعلى الرغم من أننا قد نكـون قـادرين علـى تقـديم دلائل موضوعية مفحمة عـن صحـة الكتـاب المقـدس، فـإن هـذا لا يشكل ضمانا بأن الناس سوف يؤمنون بهـا ويسـلمون لهـا أو يتبينوهـا. وبالنسبة لنا، فلكي نقتنع بصحتها، فنحن نحتـاج إلى مسـاعدة الشـهادة الداخلية للروح القدس. فالروح القدس يجعلنـا نذعـن أو نقبـل بـالدليل الدامغ صحة الأسفار المقدسـة.

والروح القدس في شهادته الداخلية، لا يقدم لنا معلومات سرية جديدة، أو حجة بارعة لم تكن متوافرة لنا. لكنه بالأحرى يساعدنا على التغلب على مقاومتنا حق الله. وهو يدفعنا كي نستسلم للتعليم الواضح لكلمة الله، ونتقبلها بكل يقين.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٥: ١٣
أعمال ٥: ٣٢
أعمال ١٥: ٢٨
رومية ٨: ١٦
غلاطية ٥: ١٦-١٨

وشهادة الروح القدس الداخلية ليست فراراً إلى الصوفية، أو هرباً إلى الذاتية حيث تُرفع المشاعر الشخصية إلى وضع السلطان المطلق. وهناك فرق جوهري بين شهادة الروح القدس لأرواحنا، وشهادة أرواح البشر لأنفسهم. وشهادة الروح القدس هي لكلمة الله. وهي تأتينا مع الكلمة، وبواسطة الكلمة. وهي لا تأتي بمعزل عن الكلمة، أو بدونها.

وكما أن الروح القدس يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله ويؤكد كلمته لنا (رومية ٨: ٦)، هكذا أيضاً يؤكد لنا الروح القدس داخلياً أن الكتاب المقدس هو كلمة الله.

موجز

١. شهادة الله جديرة تماماً بالثقة.
٢. يقدم الكتاب المقدس دليلاً موضوعياً على أنه كلمة الله.
٣. لا نقتنع تماماً بصحة الكتاب المقدس بدون شهادة الروح القدس.
٤. شهادة الروح القدس لا تقدم حجة جديدة لعقولنا، لكنه يعمل في قلوبنا وأرواحنا كي نستسلم للدليل الموجود فعلاً.
٥. تعليم الشهادة الداخلية للروح القدس ليس تصريحاً للاعتقاد بأن كل ما نشعر أنه صحيح فهو صحيح.

٤٠

إنارة الروح القدس

من بين أكثر المخترعات الحديثة نفعاً المشعل الكهربائي (البطارية)، أو كما يسميه البريطانيون "بطارية الكشافة". فحين ينقطع التيار الكهربائي ويعم الظلام البيت، يكون نور البطارية هو المنقذ. فعمله هو أن ينير في الظلام حتى يمكننا الرؤية. فهو يعمل كي ينير المشهد.

والكتاب المقدس ليس كتاب ظلام. بل إنه، على العكس من ذلك، مصدر نور نحن في أمس الحاجة إليه. ويصف كاتب المزامير كلمة الله بقوله: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (مزمور ١١٩: ١٠٥).

وليست كل أجزاء الكتاب المقدس واضحة لنا بنفس القدر. فهناك فقرات معينة صعبة الفهم. فنحن نجاهد عند نقاط ضعف معينة كي نفهم معنى النص. ذلك أن الخطية غلفت أذهاننا بالظلام. ونحن في طبيعتنا الساقطة مخلوقات تعيش في الظلمة وفي أشد الحاجة إلى النور.

وعلى الرغم من أن الأسفار المقدسة نفسها تُعد نوراً لنا، إلا أننا في حاجة إلى نور إضافي حتى نرى النور بوضوح. ونفس الروح القدس الذي أوحى بالأسفار المقدسة، يعملٍ من أجل إنارة الأسفار المقدسة من أجل نفعنا. فهو يرسل مزيداً من النور على النور الأصلي. والاستنارة هي عمل الروح القدس، فهو يساعدنا على أن نسمع رسالة كلمة الله ونقبلها، ونفهمها على نحو صحيح. وكما قال الرسول بولس:

"ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (كورنثوس الأولى ٢: ٩-١١).

وهنا يقدم بولس تشبيهاً من الخبرة البشرية. فأنت قد تعرف أموراً كثيرة عني نتيجة ملاحظتي، أو مما يقوله الناس عني، غير أنه ليس في وسعك أن تعرف ما يدور في ذهني أو في روحي، ما لم أرغب في كشفه. فأنا فقط الذي أعرف ما يدور بفكري (على الرغم من أن زوجتي تستطيع أحياناً أن تقرأ أفكاري).

وعلى غرار ذلك، فالروح القدس هو الذي يعرف أعماق الله. ويقول الرسول بولس أن الروح القدس "يفحص" أعماق الله. ولكن هذا لا يعني أنه يتوجب على الروح القدس أن يفحص ويستقصي ذهن الله كي يعرف. فهو لا يبحث عن معلومات يفتقر إليها. فهو "يفحص" كما يفحص نور الكشاف الليل كي يأتي إلى النور ما كان سيظل مخفياً.

ولا يجب الخلط بين الاستنارة والرؤيا. ذلك أنه أصبح من المألوف اليوم أن نسمع من يتكلمون عن إعلانات إلهية خاصة يدعون أنهم تلقوها من الروح القدس. وعمل الروح القدس في الاستنارة ليس تقديم معلومات جديدة أو إعلانات إلهية حديثة بخلاف تلك التي يتضمنها الكتاب المقدس.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٦: ١٣-١٥

١كورنثوس ٢: ٩-١٦

٢بطرس ١: ٢١

وتنكر المسيحية المصلحة بشدة أن الله يعطي الآن إعلانات إلهية معيارية جديدة. فمازال الروح القدس يعمل لتنوير ما أوحى به في الكتاب المقدس. فالروح القدس يساعدنا على فهم الكتاب المقدس، ويقنعنا بحق ما تضمنه، وتطبيق هذا الحق في حياتنا. فهو يعمل مع الكلمة وبواسطتها.

ولم يكن عمله إطلاقاً أن يعلم ضد "الكلمة". ولذلك فإنه من الضروري دائماً أن نختبر ما نسمعه بواسطة تعليم الكتاب المقدس. فالأسفار المقدسة هي كتاب الروح القدس.

موجز

١. الاستنارة تشير إلى مساعدة الروح القدس لنا على فهم الكتاب المقدس وتطبيقه.

٢. لا يجب الخلط بين الاستنارة والوحي الإلهي.



٤١

معمودية الروح القدس

هل قبلت معمودية الروح القـــدس؟ فـــأي شـــخص يصبـــح مســـيحياً في أيامنا هذه لابد وأنه يُواجه بهذا السؤال إن آجـــلاً أم عـــاجلاً. والســـؤال كثيراً ما يطرحه مســـيحيون مـــن أصحـــاب المواهـــب (الكاريزمـــاتيون) والمتحمسون بالنسبة لخبراهم مع الـــروح القـــدس.

وهناك تعليم كـــان ذات مـــرة قـــاصراً إلى حـــد كبـــير علـــى كنـــائس الخمسينيين وكنيسة الله، أصبح الآن يحظى بأهمية بالغة لعـــدد هـــائل مـــن المؤمنين. فقد وصلـــت حركـــة الخمســـينيين الجديـــدة إلى كـــل طائفـــة مسيحية تقريباً. وثمة شـــعور بالإثـــارة والتجديـــد الروحـــي عـــادة مـــا يصاحب هذا الاكتشاف الجديـــد بحضـــور الـــروح القـــدس وقوتـــه في الكنيســـة.

وحاولت الحركة الخمسينية الجديدة أن تحـــدد تعليمـــا لمعموديـــة الـــروح القدس قائما على اختبارات الناس. وكان هـــذا التعليـــم موضـــع جـــدل كبير وعلى نطاق واســـع.

والمسيحيون من أصحـــاب المواهـــب (الكاريزمـــاتيون)، عـــادة وليـــس دائما، يعتبرون معمودية الروح القدس كعمل ثان للنعمـــة، يختلـــف عـــن الولادة الثانية والتجديد، وتأتي بعدهما. وهي عمـــل مـــن أعمـــال الـــروح القـــدس متـــاح لكافـــة المســـيحيين ولكـــن لم يســـلم بـــه الجميـــع. والكارزماتيون منقسمون علـــى أنفســـهم حـــول مـــا إذا كـــان التكلـــم بألسنة يعد علامة ضرورية، أو إعلانـــا "للمعموديـــة".

ويشير الخمسينيون إلى نموذج في ســـفر أعمـــال الرســـل، حيـــث امتـــلأ المؤمنون (الذين يبدو أنهم نالوا الولادة الثانية مـــن الـــروح القـــدس قبـــل يوم الخمسين) بـــالروح القـــدس وتكلمـــوا بألســـنة. وهـــذا النمـــوذج الكتابي، الذي يتضمن فسحة زمنيـــة بـــين التجديـــد ومعموديـــة الـــروح القدس، ينظر إليه إذا على أنه معياري لكـــل الأجيـــال.

والخمسيون محقون في رؤيتهم للفرق بين الولادة الثانية من الروح القدس ومعمودية الروح القدس. فالولادة الثانية تشير إلى إعطاء الروح القدس حياة جديدة للمؤمن، إذ يحيي شخصا كان ميتا في الخطية. في حين أن معمودية الروح القدس هي إعطاء الله القوة لشعبه من أجل الخدمة.

وفي حين أن الفرق بين الولادة الجديدة ومعمودية الروح القدس أمر صحيح، إلا أن اعتبار وجود فسحة زمنية بين الاثنين أمر معياري لكل الأجيال اللاحقة، فهذا أمر لا قيمة له. فالنموذج المعتاد منذ عهد الرسل هو أن يتلقى المسيحيون قوة من الروح القدس مع الولادة الجديدة. وليس من الضروري أن يسعى المؤمنون إلى عمل ثان معين لمعمودية الروح بعد التجديد. وكل مسيحي يمتلئ بالروح القدس بدرجة أكبر أو أقل، طبقا لدرجة تسليمه للروح القدس.

فقرات كتابية للتأمل

يوئيل ٢: ٢٨-٢٩
يوحنا ٧: ٣٧-٣٩
أعمال ٢: ١-١١
١كورنثوس ١٢
١كورنثوس ١٤: ٢٦-٣٣

وهناك مشكلة أخرى بخصوص تعليم الكنيسة الخمسينية وهي أن نظرتها ليوم الخمسين ناقصة. فيوم الخمسين يمثل لحظة فاصلة في تاريخ العهد الجديد. ففي العهد القديم، كانت قلة مختارة فقط من المؤمنين هي التي منحها الله مواهب الخدمة (انظر سفر العدد ١١). ولكن هذا النموذج تغير يوم الخمسين. ذلك أنه في يوم الخمسين، تلقى المعمودية كل المؤمنين الحاضرين (جميعهم كانوا من اليهود)، وكذلك في حالات انسكاب الروح القدس التالية، كالمتجددين السامريين (أعمال ٨)، ومؤمني بيت كرنيليوس (أعمال ١٠)، وتلاميذ يوحنا الذين يعيشون في أفسس (أعمال ١٩)، هؤلاء جميعا قبلوا معمودية الروح القدس.

والمؤمنون الأوائل لم يعتقدوا أن السامريين، المتقين الله، وتلاميذ يوحنا الذين كانوا من الأمم، يمكن أن يكونوا من المسيحيين. ولذلك كانت معمودية الروح القدس بمثابة تثبيت عضويتهم في الكنيسة.

وبالنظر إلى أن كل هذه المجموعات اختبروا معمودية الروح القدس بنفس الطريقة التي كانت مع اليهود في اليوم الخمسين، فإنه لم يكن من الممكن منعهم من عضوية الكنيسة. ولقد اختبر بطرس نفسه هذا

بصفة مباشرة. فحين رأى بطرس أن الروح القدس يـــترل علـــى الأمميـــين المتقين الله في بيت كرنيليوس، فهم من ذلك أنـــه ليـــس هنـــاك مـــا يمنـــع عضويتهم الكاملة للكنيسة. وقد قال بطرس: "أتـــرى يســـتطيع أحـــد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلـــوا الـــروح القـــدس كمـــا نحـــن أيضاً" (أعمـــال ١٠: ٤٧).

والأحداث التالية المتعلقة بمعمودية الروح القـــدس بعـــد يـــوم الخمســـين، يجب أن يُفهم أنها امتداد ليوم الخمسين، والـــتي بواســـطتها أُعطـــي كـــل أعضاء جسد المسيح من أجل الخدمـــة. وفي كنيســـة العـــهد الجديـــد لم يتكلم كل مؤمن بألسنة، غير أن كل مسيحي أُعطي موهبـــة مـــن الـــروح القدس. وبهذا تحقق نبوة يوئيـــل (أعمـــال ٢: ١٦-٢١).

موجز

١. معمودية الروح القدس عمل خاص بواسطته يعطـــي الـــروح القـــدس المؤمنين مواهب للخدمـــة.
٢. في سفر الأعمال سُكب الـــروح القـــدس علـــى أربعـــة مجموعـــات (اليهود، السامريين، الرجال الأتقياء، والأمميين) الأمـــر الـــذي يشـــير إلى أنهم جميعاً ضمن كنيسة العهد الجـــديد.
٣. تحققت في يوم الخمسين نبوة العـــهد القـــديم بـــأن الـــروح القـــدس سيُسكب على كافة المؤمنين، ولا يقتصر على قلـــة فقـــط.

٤٢

الروح القدس المعزي

في تعليم يسوع، في العلية في الليلة السابقة لموته، تكلم باستفاضة عن الروح القدس. وقال: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يوحنا ١٤: ١٦). وكلمة "معزي" تترجم أحياناً "معاوناً" أو "مشيراً"، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية باراقليط "Paraclete".

وأول ما يسترعي انتباهنا في هذه الفقرة أن يسوع يعد بمعز آخر، أو "معين". وأن يقول يسوع إن الروح القدس سيكون معزيا آخر، فهذا معناه أنه كان هناك معز قبل الروح القدس. والعهد الجديد يبين بوضوح أن المعزي الأول، أو الباراقليط هو يسوع نفسه. وقد كتب يوحنا يقول: "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع البار" (يوحنا الأولى ٢: ١).

ولقب "الشفيع" الذي أعطي ليسوع هنا، هو ترجمة أخرى للكلمة اليونانية باراقليط "Paraclete". ومن هذا نرى أن يسوع كان المعزي الأول، وعند رحيله من هذا العالم صلى يسوع لكي يعطي الآب معزيا آخر أثناء غيابه بالجسد. وقد أرسل الروح القدس ليكون بديلا للمسيح. فهو ممثل المسيح الأسمى على الأرض.

وفي العالم القديم، كان المعين "Paraclete" هو شخص يستدعى لتقديم العون في المحكمة. والروح القدس، في قيامه بدوره، يقوم بأكثر من مهمة. ومن بين هذه المهام قيام الروح القدس بمساعدة المؤمن في مخاطبته الآب. وقد كتب بولس لكنيسة رومية:

"وكذلك الروح أيضا يعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح. لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين" (رومية ٨: ٢٦-٢٧).

كما يساعد الروح القدس المؤمن في مخاطبته العالم. فهو يتكلم نيابة عنا حين نواجه أزمة، بحسب وعد يسوع في مرقس ١٣: ١١. والروح القدس يدافع عنا ضد العالم بتبكيته على خطية. ويعمل الروح القدس للدفاع عن الأبرار ضد هجمات الأشرار.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٤: ١٦-١٨

أعمال ١٩: ١-٧

رومية ٨: ٢٦،٢٧

غلاطية ٤: ٦

ويتضمن مفهوم الباراقليط أيضا دور المعزي. وهذا له وجهان. إنه مصدر رقيق للتعزية بالنسبة للمجروح والمقهور، والمحزون. أما الناحية الأخرى فهي على نفس القدر من المساواة. وكلمة "المعزي" مشتقة من اللغة اللاتينية وتعني "ذا القوة". فالروح القدس يأتي إلينا حين نحتاج إلى قوة. وهو يمدنا بقوة وشجاعة. وكمعز، فهو يعزينا ويقوينا حتى يعظم انتصارنا في المسيح ونصبح أعظم من منتصرين (رومية ٨: ٣٧).

موجز

١. يسوع هو معزينا الأول في دوره كمدافع عنا أمام الآب.

٢. الروح القدس هو معز آخر جاء بدلا من يسوع بعد صعوده.

٣. يعمل الروح القدس كمعيننا الحالي.

٤٣

الروح القدس الذي يقدسنا

يدعو الله كل واحد إلى أن يعكس طبيعته المقدسة: "بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (بطرس الأولى ١: ١٥، ١٦). ومشكلتنا هي أننا نحن في أنفسنا لسنا قديسين، نحن نجسين. وبالنظر إلى أن القداسة لا تُوجد في ذواتنا، فمن ثم ينبغي أن نُجعل قديسين. والذي يعمل من أجل أن يجعلنا قديسين، ولكي نكون مشابهين لصورة المسيح، هو الروح القدس. وباعتبار الروح القدس هو الأقنوم الثالث من أقانيم الثالوث القدوس، فعلى ذلك فهو ليس أكثر قداسة من الآب والابن. ومع ذلك نحن لا نقول الآب القدس، والابن القدس، والروح القدس. أما وأن روح الله دعي "الروح القدس" فهذا ليس راجعا لأقنوميته (وهو بالفعل قدوس)، بقدر ما هو بسبب عمله، في أن يجعلنا قديسين.

وعمل الروح القدس بصفة خاصة هو أن يجعلنا قديسين. فالروح القدس يتمم دوره من ناحية أن يضفي علينا القداسة ويجعلنا قديسين. وأن نتقدس معناه أن يجعلنا قديسين أو أبرارا. والتقديس عملية تبدأ ساعة أن نصبح مسيحيين.وتستمر هذه العملية حتى الموت، حيث يجعل المؤمن بارا بصفة نهائية وتامة، وإلى الأبد.

والإيمان المصلح متميز في تأكيده على عمل الروح القدس "وحده" في الولادة الثانية. ونحن لا نساعد الروح القدس في هذه العملية. ونحن نرفض على التو أية فكرة للحديث عن جهد تعاوني في ولادة المؤمن ولادة ثانية. ومع ذلك، فعملية التقديس مختلفة عن ذلك. فتقديسنا عمل مشترك. ويتعين أن نعمل مع الروح القدس لننمو في القداسة. وعبر الرسول بولس عن هذه الفكرة في رسالته إلى كنيسة فيليبي:

"إذاً يا أحبائي كما أطعتم كل حين ليس كما في حضوري فقط بل الآن أولى جداً في غيابي تمموا خلاصكم بخوف ورعدة. لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فيليبي ٢: ١٢،١٣).

فالدعوة إلى التعاون دعوة تتضمن العمل. وعلينا أن نعمل بحماسة. والعمل بخوف ورعدة لا يشير إلى روح من الرعب بل روح من التوقير المصاحب بالجهد. وقد تعزينا بمعرفتنا أننا لم نُترك لنعمل هذا بمفردنا، أو بجهودنا، بل إن الله هو العامل فينا كي نتمم تقديسنا.

فقرات كتابية للتأمل

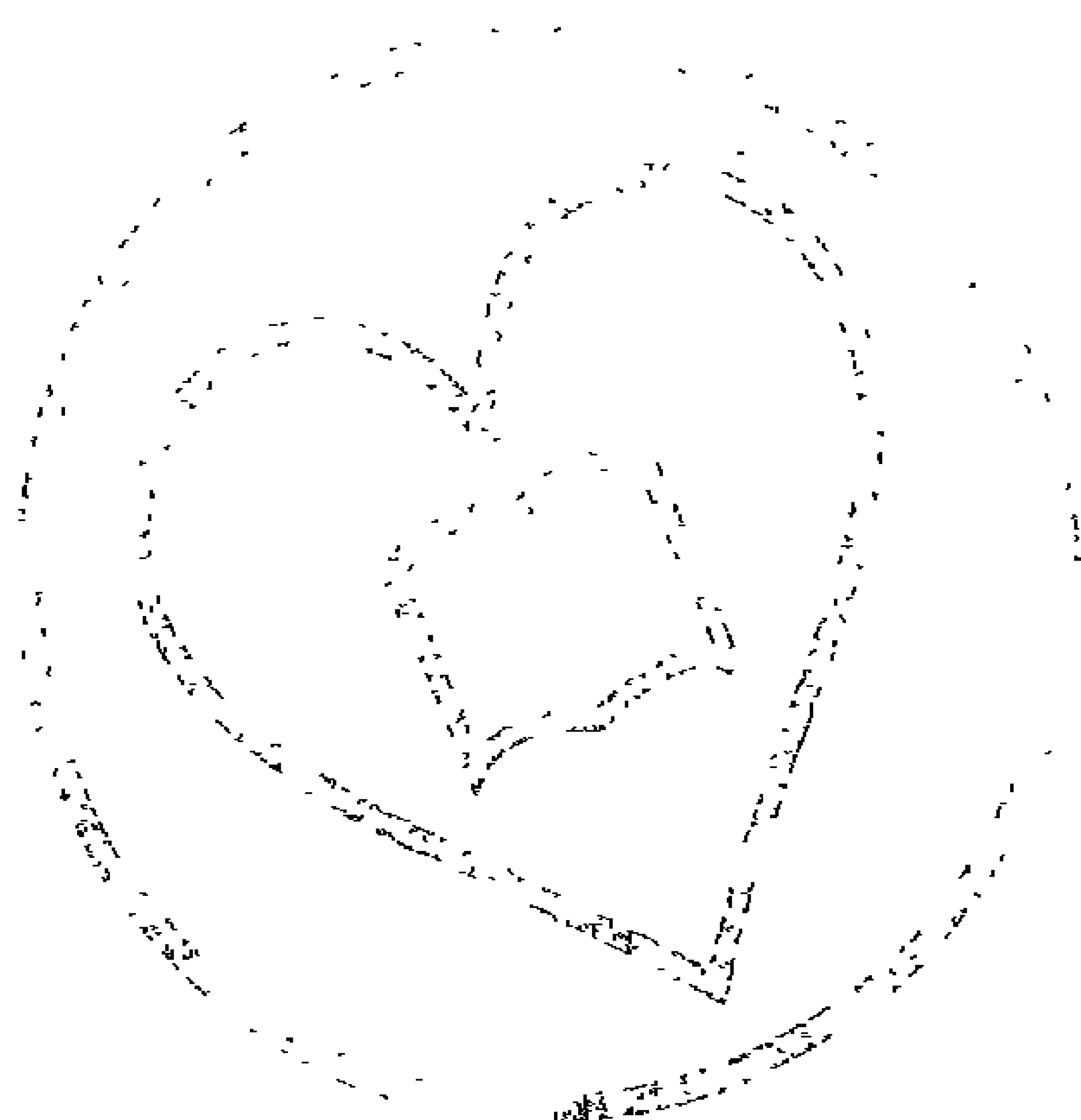
يوحنا ١٥: ٢٦
٢كورنثوس ٣: ١٧،١٨
غلاطية ٤: ٦
فيليبي ٢: ١٢،١٣
١بطرس ١: ١٥،١٦

والروح القدس يسكن في المؤمن، ويعمل فيه كي يعطيه حياة وقلباً يتسمان بالبر. ومع ذلك علينا أن نكون حريصين، بألا نخلط بين الروح القدس الساكن فينا وبين أي تأليه للفرد. فالروح القدس في المؤمن، ويعمل مع المؤمن، ولكنه لا يصبح المؤمن. فالروح القدس يعمل لينتج أشخاصاً مقدسين، وليس أشخاصاً تم تأليههم. وحين يسكن الروح القدس فينا، لا يصبح بشراً، ولا نصبح نحن آلهة. فالروح القدس لا يدمر هويتنا الشخصية كبشر. وعند تقديسنا، علينا أن نصبح مثل الله في الصفات، ولكن ليس في الكينونة.

موجز

١. يطلب منا الله أن نعكس قداسته.
٢. كي نصبح قديسين يتطلب منا الأمر أن نتلقى القداسة من خارجنا.
٣. دُعي الروح القدس قدوساً بسبب عمله، كمعط للقداسة.
٤. التقديس عملية تستغرق الحياة بطولها.
٥. التقديس عملية تعاونية، تشمل المؤمن والروح القدس معاً.
٦. الروح القدس الساكن فينا لا يعمل من أجل أن نصبح آلهة.

الجزء السادس



البشر والسقوط

٤٤

معرفة النفس ومعرفة الله

حين يولد طفل عادة ما يصاحب دخوله إلى العالم لطمة قوية على مقعدته. والاستجابة المعتادة للوليد هي صرخة احتجاج قوية. لماذا يصرخ الطفل؟ هل الصرخة نتيجة الألم؟ أم الخوف؟ أم الشعور بالخطر؟

لعل ما أثار الصرخة كل هذه الأمور مجتمعة. فدخولنا إلى العالم يتسم بما يصاحبه من صراخ وغضب. والبعض يعتبر هذا الاحتجاج الأولى كخلاصة ليس لمعنى الولادة فقط، بل لمعنى الحياة برمتها. وقد قال ماكبث متأملاً:

"ما الحياة إلا ظل سائر، وممثل رديء
ينتفخ ويهتاج طوال ساعته على المسرح
وبعد ذلك لا تسمع عنه شيئاً، إنها قصة
حكاها غبي، لا يعرف سوى الصياح والغضب،
قصة لا تعني شيئاً".

وعندما لا يعني شيئاً، فهو بالتالي تافه تماماً. والشيء التافه، لا معنى له. والذي بلا معنى يكون بلا قيمة أو أهمية.

فأهميتي وأهميتك مرتبطة بالأسئلة: من نحن؟ وماذا نكون؟ إنه سؤال يتعلق بالهوية. وأهميتي مرتبطة تماماً بعلاقتي مع الله. وليس بمقدوري أن أفهم من أنا، أو ماذا أكون دون أن أفهم من هو الله، أو ماذا يكون الله.

وهناك اتكال متبادل بين معرفتنا لأنفسنا، ومعرفتنا بالله. وبمجرد أن أعرف نفسي كنفسي، أدرك أني لست الله، أنا مخلوق. لي تاريخ ميلاد، لي وقت بدأت فيه حياتي على الأرض، والشاهد الذي يوضع على قبري عند وفاتي لن يشير إلى أن نقطة بدايتي هي الأبدية. ولست أعرف الآن التاريخ النهائي الذي سيوضع على ذلك الشاهد، ولكن التاريخ الأول سيكون ١٩٣٩.

وشعوري ببشريتي يدفع بتفكيري إلى خالقي، أو إلى "أعلى" إلى خالقي. ولا أستطيع التفكير في الله، أو في أي شيء آخر خارج نفسي إلا إذا عرفت نفسي أولاً. ومع ذلك ليس بمقدوري أن أفهم معنى نفسي تماماً إلا بعد أن أفهم نفسي في إطار العلاقة مع الله. وعلى ذلك فعلم الإنسان، أي دراسة البشر، هو فرع صغير من الفكر اللاهوتي، أي دراسة الله.

وأزمة البشرية الحديثة كامنة في قطع العلاقات بين علم الإنسان والفكر اللاهوتي، وبين دراسة البشر، ودراسة الله. وحين تُقال قصتنا بمعزل أو بعيداً عن قصة الله، هنا تصبح في الواقع "قصة" حكاها أحمق مليئة بالصراخ والغضب، لا تعني شيئاً. وإذا تأملناها بعيداً عن الله، تصبح "عاطفة لا قيمة لها" كما قال الفيلسوف جون بول سارتر.

ما هي "العاطفة التي بلا فائدة؟" العاطفة هي شعور مكثف. وتتسم حياة البشر بمشاعر مكثفة. مثل المحبة، الكراهية، الخوف، الإثم، الطموح، الشهوة، الحسد، الغيرة، وغيرها الكثير. ونحن كبشر لدينا مشاعر عميقة عن حياتنا. والسؤال الذي يتردد دائماً علينا هو: هل كل هذه المشاعر بلا فائدة؟ فهل كل كفاحنا واهتمامنا يُعد ممارسة عقيمة، ورحلة تافهة.

ومعنى حياتنا معرض للخطر. وكرامتنا مكشوفة تماما. وإذا تأملنا البشر على حدة، بمعزل عن العلاقة بين الله، هنا نجدهم معزولين وبلا معنى. ولو لم نكن بشرا خلقنا الله وننتسب إلى الله لكننا أحداثا كونية. فأصلنا يكون تافها ومصيرنا لن يقل عنه تفاهة. وإذا كنا قد برزنا من الطين عن طريق المصادفة وأخيرا نتحلل في هاوية العدم، هنا نكون قد عشنا حياتنا بين قطبي تفاهة مطلقة. فنحن أصفار مجردة قد تعرينا من الكرامة والقيمة.

وأن تنسب لإنسان كرامة بصفة مؤقتة، أي بين قطبين من أصل لا معنى له، ومصير لا معنى له، معناه أننا نسمح لأنفسنا بالانغماس في عاطفة محضة غير مصقولة. ونحن نعذب أنفسنا بخداع الذات.

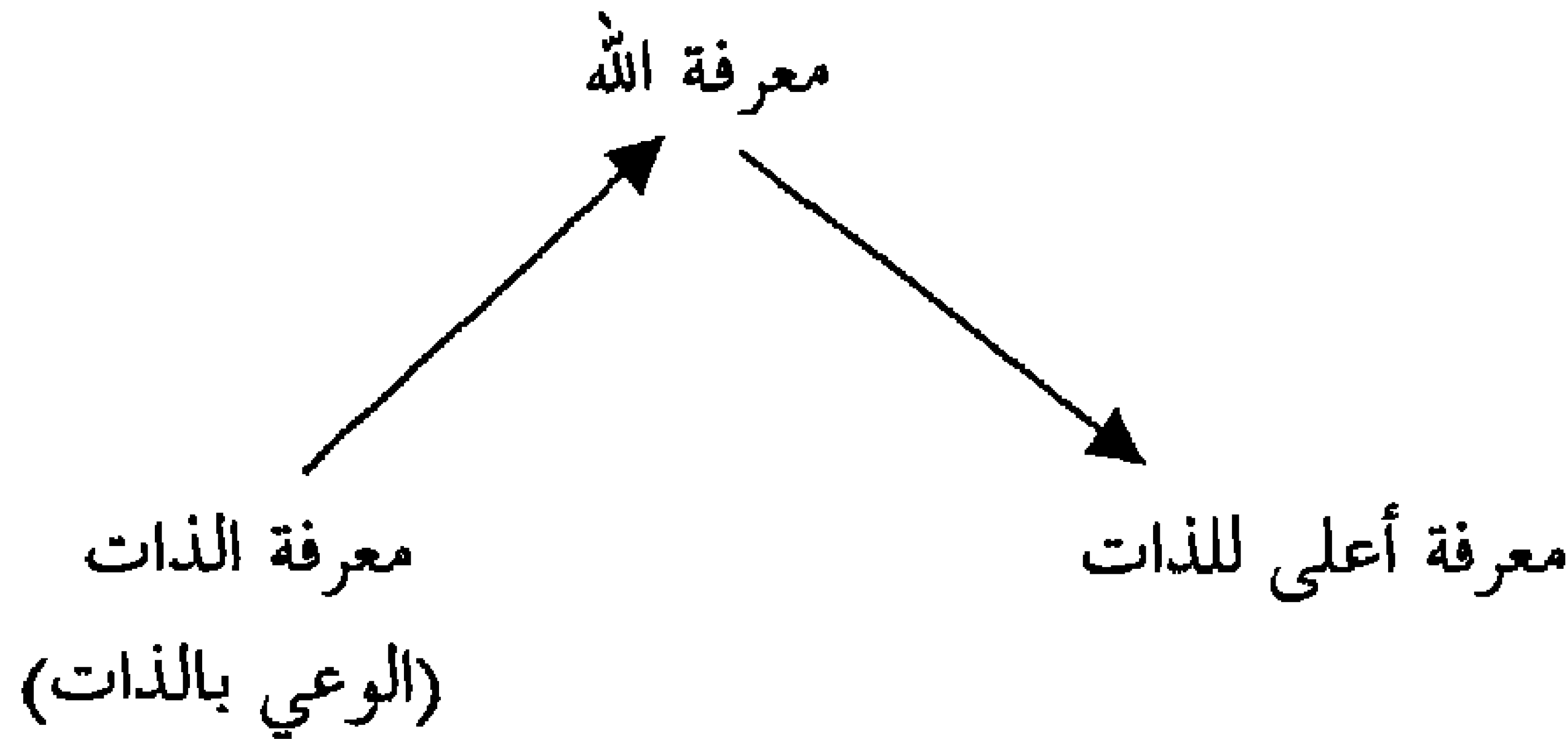
فأصلنا ومصيرنا مرتبطان بالله. والمعنى الأساسي الوحيد الذي يمكن أن يتوفر لنا يجب أن يكون معنى لاهوتياً. والسؤال الذي نطرحه طرحه كاتب المزامير:

"إذا أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كونتها. فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده. وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله" (مزمور ٨: ٣-٥).

وأن تكون مخلوقاً خلقك الله فهذا يعني أنك تنتسب إلى الله. وهذه العلاقة التي لا مهرب منها تضمن أننا لسنا ضوضاء أو مشاعر لا قيمة لها. فعند الخليقة تسلمنا إكليل مجد. وإكليل المجد هو إكليل الكرامة. فمع الله تكون لنا كرامة، وبدون الله نحن لا شيء.

موجز

١. لا يمكننا أن نعرف الله دون أن نعرف أنفسنا أولاً.
٢. ليس بمقدورنا أن نعرف أنفسنا على نحو سليم دون أن نعرف الله أولاً.



معرفة الذات تقودنا إلى معرفة الله، والتي بدورها تعطينا فهماً أكثر وأكمل عن أنفسنا.

٣. البشر في علاقتهم بالله:

أصل هادف + مصير له هدف = حياة ذات معنى

٤. البشر بدون علاقة مع الله:

أصل لا معنى له + مصير بلا معنى = حياة لا معنى لها

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١: ٢٧
مزمور ٥١
أعمال ١٤: ٨-١٨
أعمال ١٧: ٢٢-٣١

٤٥

البشر خُلقوا على صورة الله

عمل الصور في الفن يُعد ممارسة للجمال. والرسم، والنحت، وما إلى ذلك كثيراً ما تكون أعمالاً أساسها التقليد. وبواسطة مهارتنا نرسم أشياء من الحياة الحقيقية.

والفنان المطلق الأساسي هو الله. فبعد أن شكل الكون، ترك بصمته عليه بطريقة حتى إن السموات تحدث بمجد الله. والفلك يخبر بعمل يديه.

وحين خلق الله المخلوقات التي ملأت الأرض والبحر، خلق مخلوقاً تفرد بأنه خُلق على صورة الله كشبهه. جاء في تكوين ١: ٢٦، ٢٧ "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم".

وإذ قال الكتاب المقدس إننا خُلقنا على صورة الله وشبهه، حمل البعض (والروم الكاثوليك بصفة خاصة) على استنتاج أنه يُوجد فرق بين كون الإنسان على صورة الله وكونه كشبهه. لكن تركيب اللغة الكتابية يشير إلى أن "صورة" و"شبه" يشيران إلى الشيء نفسه. نحن أيقونات الله، مخلوقات خُلقنا ولنا قدرة فريدة على أن نعكس طبيعة الله.

وكوننا قد خُلقنا على صورة الله، عادة ما يُفهم منه أنه يشير إلى المعنى الذي نشبه فيه الله. فعلى الرغم من أنه الخالق، ونحن خليقته، وعلى الرغم من أن الله يسمو عنا من ناحية الكينونة، والقوة، والمجد، إلا أنه على الرغم من ذلك، فإننا نشبهه من ناحية ما. هناك شبه بين الله وبيننا. فالله كائن عاقل أدبي. ونحن أيضاً وكلاء أدبيون أمدنا الله بعقل

وقلب وإرادة. وهذه الملكات جعلت من الممكن لنا أن نعكس قداسة الله، وهذا الأمر كان هو مهمتنا الأساسية.

وكلمة "إنسان" حين تُستخدم في فقرات كتابية مثل "فخلق الله الإنسان على صورة الله" (تكوين ١: ٢٧)، فهنا يُقصد بها "البشر". وكل من الذكر والأنثى من البشر خُلقوا على صورة الله. وجزء من الصورة يتضمن دعوة البشر أن يتسيدوا الأرض ويكون لهم سلطان عليها.

وقد دُعينا إلى أن نعمل الأرض ونملأها ونحفظها، كوكلاء عن الله. وهنا دُعينا إلى أن نعكس طبيعة حكم الله العادل على الكون. وهو لا يتلف أو يسيء استغلال ما يحكمه، بل بالأحرى يحكم بالعدل والشفقة.

وعند سقوط الإنسان، حدث أمر رهيب. لقد شُوهت صورة الله بشكل قاس. وقدرتنا على أن نعكس قداسته تأثرت إلى حد كبير جداً حتى إن المرآة قد تشوشت.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ٩: ٦

رومية ٨: ٢٩

١ كورنثوس ١٥: ٤٢-٥٧

كولوسي ١: ١٥

ومع ذلك، لم تدمر السقطة بشريتنا. وعلى الرغم من أن قدرتنا على أن نعكس قداسة الله قد تلاشت في السقوط، إلا أننا مازلنا بشراً. ومازال لنا عقل وقلب وإرادة. ومازلنا نحمل في نفوسنا بصمة خالقنا. واستعادة صورة الله بكاملها في البشر تحققت بواسطة المسيح. فهو (أي المسيح) كما يقول كاتب سفر العبرانيين، "بهاء مجده ورسم جوهره" (عبرانيين ١: ٣).

موجز

١. خلق الله البشر، ذكراً وأنثى، على صورته كشبهه.
٢. هناك تشابه بين الله والبشر جعل الاتصال بينهما ممكناً.
٣. البشر، مثل الله، وكلاء أدبيون لديهم ملكات العقل والإرادة.
٤. دُعي البشر أن يتسلطوا على الأرض.
٥. تشوهت صورة الله في الإنسان نتيجة السقوط.
٦. المسيح هو صورة الله الكاملة. وهو يعيدنا إلى ملء صورة الله.

٤٦

البشر كجسد ونفس

أعاني العذاب ثلاثة أيام في الأسبوع تحت إشراف مدربي الخاص بساحة جولد للألعاب الرياضية. فهو فرعوني الخاص، وسيمون لوجريه الفريد الخاص بي. ومن بين التدريبات التي أقوم بها، تلك الخاصة بالأوعية الدموية المتصلة بالقلب، ورفع الأثقال، والانثناءات المرهقة الخاصة بتدريبات المرونة. نجري كل هذا على الرغم من معرفتنا لما يقوله الكتاب المقدس: "لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل" (تيموثاوس الأولى ٤: ٨).

وفيما كنت أقلق بالنسبة لجسمي، من حيث وزنه، مظهره، صحته، كنت أتذكر كلمات يسوع: "ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (متى ١٠: ٢٨).

والبشر الذين خلقوا على صورة الله كشبهه، هم مخلوقات من جسد مادي ونفس غير مادية. وأحيانا يشار إلى النفس بكلمة "روح".

والله خلق الجسد والنفس كليهما، ومن ناحيتين متميزتين من تكويننا الشخصي. والنظرة الكتابية للبشر تختلف بشكل كبير عن نظرة اليونانيين القدامى لهم. فجسدنا ونفسنا يكونان وحدة في ثنائية وليس ثنائية متحدة. وفي نظريات الاثنينية عند اليونانيين ينظر إلى الجسد والنفس على أنهما شيئان متنافران يعيشان معا في توتر دائم. وهما في جوهرهما متنافران. وتؤكد الاثنينية عادة أن هناك شيئا من الشر كامن في كل ما هو مادي، وعلى ذلك ينظرون إلى الجسد على أنه وعاء شرير للنفس النقية. والخلاص بالنسبة لليونانيين كان يعني أساسا الخلاص من الجسد حين تتحرر النفس أخيرا من سجن الجسد.

أما وجهة النظر الكتابية بالنسبة للجسد، هي أنه خلق على وجه حسن، وليس به شر كامن في جوهره المادي. ومع ذلك فهو يعاني

من الفساد الأخلاقي مثل النفس. والإنسان خاطئ في جسمه وروحه. والمسيحية أبعد من أن تعلم الخلاص من الجسد، بل هي تعلم خلاص "الجسد".

ومن ناحية الثنائية، فالإنسان كيان واحد له جزءان متميزان اتحدا بعمل الله في الخليقة. وليس هناك حاجة، فلسفية كانت أو تفسيرية، لإضافة جزء ثالث أو جوهر (مثل الروح) ليغطي التوتر الثنائي. والفكر اللاهوتي المستقيم يرفض النظرية القائلة بأن الإنسان مركب من ثلاثة عناصر، التي نُعتبر على أساسها وكأننا من ثلاثة أجزاء مختلفة: الجسد، النفس، الروح.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١: ١-٢: ٢٥

جامعة ١٢: ٧

متى ١٠: ٢٨

رومية ٨: ١٨-٢٣

١كورنثوس ١٥: ٣٥-٥٥

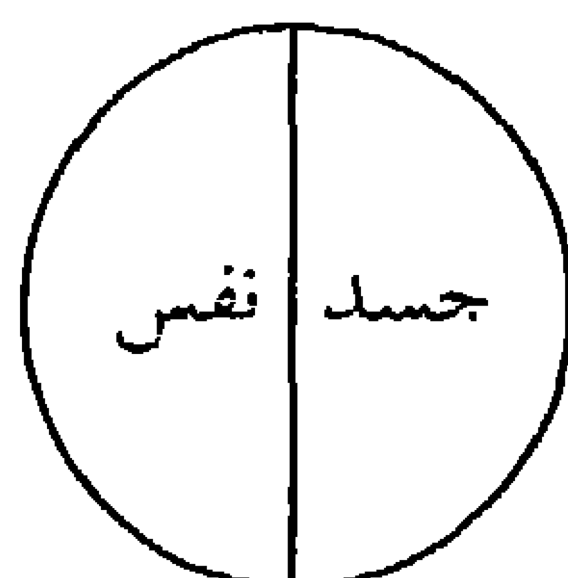
وعلى الرغم من أن مفكرين لاهوتيين كثيرين جادلوا مؤيدين الخلود الطبيعي أو الجوهري للنفس البشرية، إلا أنه من المهم تذكر أن النفس البشرية: (١) خلقها الله وليست خالدة من طبيعتها أو في حد ذاتها، (٢) على الرغم من أنها غير مكونة من مادة وغير قابلة للانحلال نتيجة القوى المادية إلا أن الله مع ذلك قادر على إبادتها. فالنفس لا تستطيع أن تعيش لحظة واحدة بمعزل عن قوة الله الحافظة: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال ١٧: ٢٨).

وعلى الرغم من أن الجسد يموت عند الموت، إلا أن نفس المؤمن وغير المؤمن تستمر في الحياة. وينتظر المؤمنون استكمال خلاصهم بقيامة أجسادهم وتمجيدها، في حين ينتظر غير التائبين دينونة الله الأبدية. ولأن الله يحفظ النفس من الموت، فإن للبشر وجودا شخصيا واعيا بعد القبر. والشخص بأكمله سقط في الخطية، فكل من الجسد والنفس موضوع نعمة الله المخلصة.

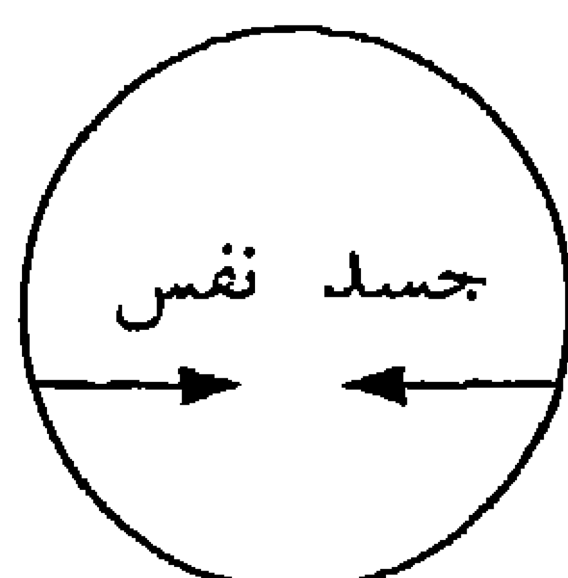
موجز

١. للبشر جسد مادي ونفس غير مادية.
٢. البشر وحدة في ثنائية. وترفض المسيحية الفكرة اليونانية عن الثنائية.

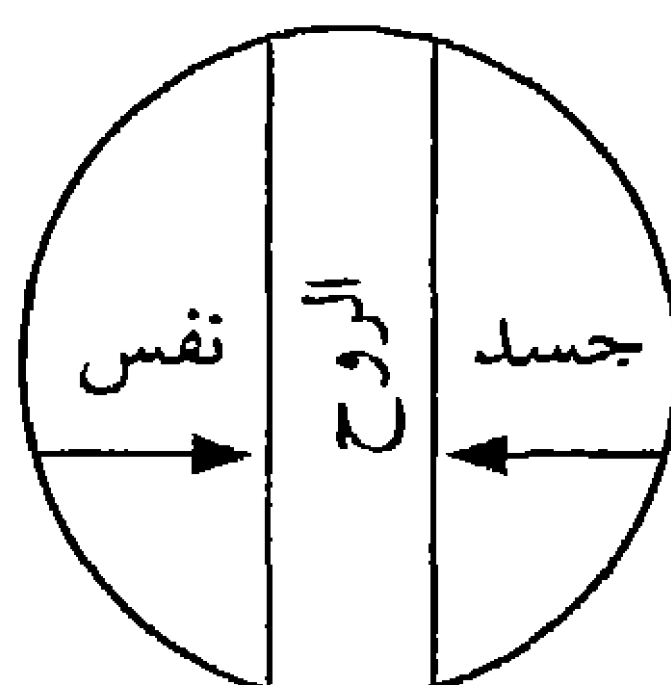
البشر = وحدة في ثنائية



وجهة النظر اليونانية = ثنائية متحدة



القول بأن الإنسان مركب من ثلاثة عناصر = توتر الجسد والنفس تحجزه الروح



٣. جسد الإنسان جزء من خليقة الله الحسنة. وعلى الرغم من سقوطه، كما هو الحال بالنسبة للنفس، إلا أنهما ليسا شريرين بالفطرة.

٤. النفس البشرية ليست خالدة بطبيعتها. لابد أن يخلقها الله ويحفظها.

٤٧

البشر كجسد وروح

هناك ارتباك كثير في الكنيسة المعاصرة حول المعنى الكتابي للجسد والروح. فالكنيسة من ناحية، مازالت تكافح ضد الفكرة اليونانية القديمة القائلة بأن كل ما هو مادي لابد وأن يكون شراً إلى حد ما. ولذلك يفترض البعض أن الحياة المسيحية هي شيء روحي تماماً وليس له علاقة بوجودنا الجسدي. والبعض يفهمون هذا على أنه يعني أن كل ما يعمله الجسد هو بالضرورة شر، بما في ذلك الأكل، والشرب، والناحية الجنسية. وآخرون، إذ يعتقدون أنه لا أهمية للجسد، يخدعون أنفسهم بالاعتقاد أن طريقة استخدامهم لأجسادهم لا أهمية لها طالما أن أرواحهم سليمة. وكلا الموقفين يمثل تشويها خطيرا للتعليم الكتابي أن كلا من الجسد والروح مهمان ويجب تغذيتهما والعناية بهما على أكمل وجه.

وثمة مشكلة ثانية تبرز حين يعمل فرق كبير جدا بين المؤمنين "الجسديين"، والمؤمنين "الممتلئين بالروح"، ونحن هنا بصدد ثلاثة أنواع من الناس:

(١) جسدانيين غير مؤمنين، (٢) جسدانيين مؤمنين، (٣) مؤمنين مملوئين من الروح القدس. وإذا اعتبرنا أن المؤمنين الجسدانيين هم الذين يخلون تماما من الروح القدس، وأنهم استسلموا تماما لأسلوب الحياة الجسدانية، فنحن لا نكون هنا نتحدث عن مؤمن جسداني، بل نتحدث عن شخص ليس مؤمنا بالمرة. وقد يعلن شخص ما أنه مؤمن ومع ذلك يكون جسدانيا تماما، وما ادعاؤه سوى كذبة فحسب. عبارة المؤمن الجسداني بالكامل هي عبارة متناقضة.

فكل مسيحي ممتلئ من الروح القدس. وامتلاء الروح قد يكون بدرجة أكبر أو أقل وذلك لأن المؤمنين يختلفون من ناحية إطاعتهم للروح القدس. ولكن الروح القدس يسكن في جميع المؤمنين.

ويتحدث الرسول بولس عن حرب أو صراع يختبره المؤمن بين الجسد والروح. وبولس بهذا لا يعلم بثنائية أو تنافر فطري بين الجسد والروح. والمعركة التي يصفها ليست معركة يمكن التقليل من شأنها، والقول بأنها معركة بين الرغبات الجسدية أو الشهوات والفضائل الروحية. فالصراع أعمق من هذا بكثير.

فقرات كتابية للتأمل

متى ٢٦: ٣٦-٤١

يوحنا ٣: ٦

رومية ٧: ١٣-٨: ١٧

أفسس ٢: ١-٣

١بطرس ٢: ١١

وكلمة "جسد" (flesh: Sarx) تستخدم أحياناً في العهد الجديد كمرادف فعلي لكلمة جسد (Soma: body). ومع ذلك، فإنه حين تُستعمل هذه الكلمة في تناقض صريح مع "الروح" (pneuma)، فإنها تشير في الغالب إلى شيء غير الجسد المادي. وكلمة (جسد: Flesh) هنا، تشير عادة إلى طبيعة الإنسان الساقطة. وحين نولد ثانية بواسطة الروح القدس، ونصبح خليقة جديدة في المسيح، فإن قوة طبيعتنا الساقطة (الجسد) تكون قد هُزمت، ولكنها لم تُدمر. ولأن التقديس عملية تتواصل العمر كله، لذلك ترى المسيحيين منهمكين في حرب مع طبيعتهم العتيقة فيما يسعون للنمو في الروح والنعمة. فالإنسان العتيق يموت يوميا فيما يتقوى الإنسان الجديد في المسيح بسكن الروح القدس فيه. والروح القدس، الذي أعطي لنا بموعد به ختمنا، سوف يسود في هذه المعركة في النهاية.

ومع ذلك، فإن المعركة يمكن أن تكون شديدة. ويواصل المسيحيون نضالهم ضد الخطية والتجربة. والتجديد يحررنا من السيطرة التامة للجسد، ولكنه لا يجعلنا كاملين.

والمعركة بين الإنسان العتيق (الجسد) والروح تتواصل حتى نموت. وبعد الموت نمجد: فقد مات الجسد تماما، والإنسان الجديد قد تطهر بالكامل.

موجز

١. يرفض الكتاب المقدس الفكرة اليونانية بأن الجسد في جوهره شر.
٢. على المؤمنين ألا يحتقروا الجسد أو يمجدوه. فالجسد والنفس كلاهما في حاجة إلى التقديس.
٣. ما من مؤمن يكون جسدانيا تماما، أو متحررا بالكامل من الجسدانية.

٤. الروح القدس ساكن في كل مؤمن.
٥. الحرب بين الجسد والروح ليست حربا بين الجسد والنفس، بل هي حرب بين طبيعتنا الساقطة في الخطية (الإنسان العتيق) وطبيعتنا المتجددة بالولادة الثانية (الإنسان الجديد)
٦. الحرب بين الجسد والروح تستمر في حياة المؤمن حتى التمجيد.

٤٨

الشيطان

كثيراً ما ننظر إلى شكل الشيطان وكأنه هارب من حفلة عشية عيد جميع القديسين. فيُصور وهو لابس حلة حمراء سخيفة، وله حوافر مشقوقة الظلف، وذيل، ويحمل رمحاً ثلاثي الشعب. ومثل هذا الشكل يكون موضع سخرية بين أولئك الذين ينكرون المسيحية الكتابية. ذات مرة طرحت سؤالاً على طلبة فصل يتكون من ثلاثين طالباً في إحدى الكليات: "كم منكم يؤمنون بالله؟" رفع غالبية الطلبة أيديهم. ثم سألتهم: "كم واحداً منكم يؤمن بالشيطان؟" اثنان فقط رفعا أيديهما.

قال أحد الطلبة دون تفكير: "كيف يتأتى لأي شخص عاقل أن يؤمن بالشيطان في أيامنا وجيلنا هذا؟ فالشيطان ينتمي إلى خرافة مثل الأشباح والعفاريت، والأشياء التي تتخبط في الظلام".

أجبت قائلاً: "هناك مصدر أكثر مصداقية بما لا يقاس للاعتقاد في الشيطان بأكثر من الاعتقاد في العفاريت. فقد لا تقتنعون بمصداقية الكتاب المقدس، غير أنه من المؤكد أنه مصدر يُعتد به أكثر من حكايات الحضانة".

وإن تكدس السحرة والعفاريت حول الشيطان فإن هذا معناه إلحاق الضرر بفكر جاد ورزين. وأعقبت مناقشتي مع طلبة الكلية بسؤال آخر: "إذا كنتم تؤمنون أن الله كائن شخصي غير مرئي، له القدرة على التأثير في الناس من أجل الخير، فلماذا تجدونه أمرا صعبا أو غير قابل للتصديق أن تتصوروا أنه يوجد كائن شخصي غير مرئي له القدرة على التأثير في الناس من أجل الشر؟"

ولعل مشكلتنا مع الشيطان ترجع إلى حقيقة أننا نتفاعل مع رسم كاريكاتوري بدلا من رأي كتابي عنه. وكلمة "الشيطان" في الكتاب المقدس تعني "الخصم". ونحن نعرفه باسم "إبليس". وهو خليقة

ملائكية سامية، تمرد – قبل خلق البشر – على الله، ومنذ ذلك الحين وهو في حرب مع الناس ومع الله. ويُسمى "سلطان الظلمة"، و"أبو الكذاب"، و"المشتكي"، و"الحية الخادعة". والصورة الحقيقية لا تمت بصلة للصورة التي تعودنا عليها والتي نراه فيها وله قرون، وشكل كوميدي.

وهذه الصورة – ولو جزئياً – نبعت من كنيسة العصور الوسطى. فقد ابتكرت الكنيسة عمداً هذه الصورة الحمقاء للشيطان كي تسخر منه. فقد كانت الكنيسة على قناعة أن الوسيلة الفعالة للصمود أمام الشيطان هي إهانته. وكانت الناحية الأكثر ضعفاً لمهاجمته منها هي كبرياؤه. فقد نُظر إلى مهاجمته في كبريائه على أنها وسيلة مؤثرة لطرده.

فقرات كتابية للتأمل

أيوب ١: ٦-١٢

متى ٤: ١-١١

لوقا ٢٢: ٣١

٢تسالونيكي ٢: ٥-١٠

١بطرس ٥: ٨-١١

والنظرة الكتابية للشيطان أكثر من ذلك تعقيداً. فهو يظهر "كملاك نور". وهذه الصورة تشير إلى قدرة الشيطان وذكائه من ناحية إظهار نفسه بمظهر طيب. فالشيطان ماكر، مخادع، بارع. يتكلم بذكاء، ومظهره مذهل. وسلطان الظلمة يرتدي عباءة من نور. كذلك يتحدث الكتاب المقدس عن الشيطان باعتباره أسدا زائرا، يبحث عمن يبتلعه. كذلك أشير إلى المسيح كأسد؛ أسد يهوذا. وهو الفادي الأسد المضاد للأسد المبتلع. والصورتان كلتاهما تبرزان القوة.

كيف يتصرف المؤمن إذا بالنسبة للشيطان؟ فالشيطان مخيف حقا. وقد جاء في بطرس الأولى ٥: ٨ "إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو". ومع ذلك لا يتوجب على المؤمن أن يقابل ذلك بالفزع فحسب. قد يكون إبليس أقوى منا، لكن المسيح أقوى منه. ويقول الكتاب المقدس: "الذي فيكم أعظم من الذي في العالم" (يوحنا الأولى ٤: ٤). وإبليس على كل حال ما هو سوى مخلوق. وهو مخلوق محدود ومتناه. وهو محدود في المكان والزمان ولا يستطيع أن يتواجد في أكثر من مكان في آن واحد. ولا يجب النظر إليه بأي حال على أنه على قدر متساو مع الله. والشيطان من نظام أعلى من البشر، فهو ملاك ساقط. ولكنه ليس إلها. هو أكثر قوة من المخلوقات الأرضية، ولكنه أقل قوة بما لا يقاس من الله القوي، كلي القدرة.

موجز

١. لا يجب اعتبار الشيطان من المخلوقات الأسطورية.
٢. الشيطان هو ملاك ساقط له قدرات خارقة على تضليل الناس وإغرائهم واتهامهم.
٣. الشيطان مخلوق محدود ليس له قدرات أو سمات إلهية.

٤٩

الأرواح النجسة (الشريرة)

الأرواح الشريرة هي كائنات خارقة للطبيعة خاضعة للشيطان. وهي على غرار الشيطان، كانت في السابق ملائكة. وقد انضمت للشيطان في تمرده وطُردت معه من السماء. وحين تُذكر هذه الأرواح النجسة في الكتاب المقدس، يكون التركيز الأساسي على تلبسها للإنسان.

ويشير الرسول بولس إلى أنه في حين أن الآلهة الوثنية التي يعبدها الوثنيون ليس لها وجود فعلي، غير أن هناك أرواحاً شريرة موجودة بالفعل، حيث تحفز على عبادة الأوثان وتروج لها. وأولئك الذين يشتركون في هذه الطقوس الوثنية هم في الواقع يعبدون الشياطين وبهذا يعملون بتوجيه شيطاني.

ويكشف العهد الجديد عن سمات عديدة للأرواح النجسة. فكثيرا ما يكون هناك مرض جسدي أو عقلي مرتبط بهم، مثل العمى أو تعذيب الذات. والأرواح النجسة كثيرا ما كانت تعرف المسيح أنه "قدوس الله". وكانت تخشى سلطان يسوع وتخضع له. وفضلا عن ذلك، للأرواح الشريرة معرفة خارقة للطبيعة، وقوة فائقة، كما لها القدرة على التنبؤ بالمستقبل.

وتصرف المصلحون بقوة ضد الممارسات المبالغ فيها، والخرافات المحيطة بالأرواح النجسة في العصور الوسطى. ومع نهاية القرن السادس عشر ألغيت ممارسة طرد الأرواح النجسة في الكنيسة اللوثرية.

وفي حين أن الأرواح النجسة مازالت تعمل، إلا أن مستوى وقوة النشاط الذي عبر عنه في العهد الجديد يعد فريدا. كان "ملء الزمان" آخر دفاع عظيم لهذا العالم ضد فادي البشرية – وقد بذل الشيطان – إذا جاز القول كل ما في استطاعته. ومع القيامة ومجيء الروح القدس يوم الخمسين، قيد حكم الشيطان، وحكم أتباعه من الأرواح

النجسة. ومع ذلك كان بولس ويوحنا يؤمنان أنه في الأزمنة الأخيرة ستزداد أنشطة الشيطان والأرواح الشريرة الخاضعة له.

وإذا أخذنا ما جاء في الكتاب المقدس بجدية، علينا أن نأخذ عالم الأرواح النجسة بجدية أيضاً. ولن يكون هناك فكر لاهوتي كتابي دون أن تقابله دراسة لعالم الأرواح النجسة.

وعلى الرغم من أن الأرواح النجسة هي مخلوقات حقيقية وقوية، إلا أنه ليس ثمة سبب في أنها تستطيع على الإطلاق أن تتلبس شخصا مؤمنا. قد تزعجنا بصفة مستمرة، ونجرب أو نتهم من الأرواح الشريرة، إلا أنها لا يمكن أن تسيطر علينا. والروح القدس يسكن في كل مؤمن، وهذا ما يضمن لنا عدم قدرة الأرواح النجسة على أن تمسنا. فهو أقوى من أي روح نجس قد يهاجمنا.

فقرات كتابية للتأمل

مرقس ١: ٢١-٢٨

لوقا ١٠: ١٧-٢٠

لوقا ١١: ١٤-٢٦

١كورنثوس ١٠: ١٤-٢٤

١يوحنا ٤: ١-٦

موجز

١. الأرواح النجسة هي ملائكة سقطت تحت حكم الشيطان.
٢. ظهرت الأرواح النجسة في قوة غير عادية أثناء تواجد يسوع بالجسد على الأرض.
٣. الأرواح النجسة لا تستطيع أن تتملك المؤمن.

٥٠

الخطية

يمكن تصوير الخطية كمن يطلق سهماً من قوسه ويخطئ الهدف. إن الفشل في إصابة مركز الهدف عند إطلاق الرصاص على هدف لا يُعد موضوعاً أخلاقياً خطيراً. بل إن أبسط تعريف كتابي للخطية بالأحرى هو "أن يخطئ الهدف". وباللغة الكتابية، الهدف الذي أخطئ إصابته، ليس هدفاً مليئاً بالقش، لكنه "المعيار" الخاص بناموس الله. وناموس الله يعبر عن بره، وهو المعيار الأساسي لسلوكنا. وحين نفشل في تحقيق هذا المعيار، نكون قد ارتكبنا خطية.

ويتكلم الكتاب المقدس عن شمولية الخطية من ناحية إخطاء الهدف المتعلق بمجد الله: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣). والقول بأنه "ما من أحد كامل" أو أن "ارتكاب الخطية من سمات البشر" هو اعتراف بشمولية الخطية. فكلنا خطاة وفي حاجة إلى فداء.

وقد عرفت الخطية بأنها: "أي افتقار إلى التناغم مع ناموس الله، أو انتهاكه، وهو الناموس الذي أعطي كقانون للمخلوق العاقل". وفي هذا التعريف توجد ثلاثة أبعاد رئيسية. أولا، الخطية هي نقص أو افتقار إلى التناغم. إنها عدم الامتثال لناموس الله. وخطية "السهو" هي الفشل في عمل ما أوصى به الله. وإذا كان الله يأمرنا أن نحب قريبنا، و لم نعمل ذلك، فهذا يسمى خطية.

ثانيا، عرفت الخطية على أنها انتهاك الناموس. وانتهاك الناموس هو أن تعبر حدوده، وتتجاوز تحديداته. ومن هنا تجدنا أحيانا نصف الخطية على أنها "انتهاك". نسير حيث لا يسمح لنا بالسير. وهنا نتكلم عن خطايا "التعمد"، وهي ارتكاب أعمال حرمها الله. وحين يعلن ناموس الله بعبارات سالبة: "لا .."، ثم نعمل ما لم يسمح به، هنا نرتكب خطية.

ثالثاً، الخطية هي عمل قام به أشخاص عاقلون. وكبشر خُلقنا على صورة الله، فنحن وكلاء أخلاقيون أحرار. وبالنظر إلى أنه لنا عقل وإرادة، فبذلك نستطيع القيام بعمل أخلاقي. وحين نعمل ما نعرف أنه خطية، فنحن بهذا نختار عصيان ناموس الله وارتكاب الخطية.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٢: ١-١١

رومية ٣: ١٠: ٢٦

رومية ٥: ١٢-١٩

يعقوب ١: ١٢-١٥

١يوحنا ١: ٨-١٠

وترفض البروتستانتية التفرقة التي تضعها كنيسة الكاثوليك بين الخطايا العرضية والخطايا المميتة. ويحدد الفكر اللاهوتي التقليدي للكنيسة الكاثوليكية الخطية المميتة بأنها الخطية التي "تقتل" النعمة في النفس وتتطلب تبريراً جديداً بواسطة سر التوبة. والخطية العرضية هي خطية أقل خطورة. وهي لا تدمر النعمة المخلصة.

أعلن جون كالفن أن كل خطية ضد الله هي خطية مميتة، من ناحية أنها "تستحق" الموت، ولكن ما من خطية مميتة بمعنى أنها تدمر تبريرنا بالإيمان. وتؤكد البروتستانتية أن كافة الخطايا خطيرة. فحتى أصغر خطية تُعد تمرداً على الله. وكل خطية تُعد عمل خيانة كوني، ومحاولة خطيرة لخلع الله من سلطانه السيادي.

ومع ذلك، ما زال الكتاب المقدس يعتبر بعض الخطايا أكثر بشاعة من الأخرى. فهناك درجات للشر كما ستكون هناك درجات للعقوبة التي ستوقع في محكمة عدل الله. ولقد وبخ يسوع الفريسيين لتركهم أثقل الناموس وحذر مدينتي بيت صيدا وكورزين بأن خطيتهم أسوأ من خطية سدوم وعمورة (متى ١١: ٢٠-٢٤).

ويحذرنا الكتاب المقدس من الإثم الناجم عن الخطايا المتكررة. وعلى الرغم من أن يعقوب يعلمنا أن الذي يخطئ في جزء من الناموس يكون قد أخطأ في الكل (يعقوب ٢: ١٠)، إلا أن هناك إثماً مضافاً مع كل انتهاك للناموس. ويحذرنا الرسول بولس من ادخار أو تكديس الغضب ليوم الغضب (رومية ٢: ١٠)، ومع كل خطية نرتكبها نضيف إلى إثمنا ونعرض أنفسنا لغضب الله. ومع ذلك، فإن نعمة الله أعظم من كل ذنوبنا مجتمعة.

والكتاب المقدس ينظر إلى الخطية بجدية، لأنـــه يتعـــامل مـــع الله بجديـــة، كما يأخذ البشر بجدية. وحين نخطئ ضد الله، فإننـــا نســـيء إلى قداســـته. وحين نخطئ ضد قريبنا، نحن ننتهك آدميتـــــه.

موجز

١. المعنى الكتابي للخطية هو أن نخطئ هدف بر الله.
٢. البشر جميعاً خطاة.
٣. الخطية فشل للتناغم مع ناموس الله (سهو)، أو انتهاكه (عمد).
٤. المخلوقات الأدبية فقط هم الذين يمكن أن يأثموا بارتكاب الخطية.
٥. ترفض البروتستانتية الفرق بين الخطيـــة المميتـــة والخطيـــة العرضيـــة، ولكنها تؤكد درجات الخطيـــــة.
٦. كل خطية ترتكب تجلب ذنبا أعظم.
٧. الخطية انتهاك لله والناس.

٥١

الخطية الأصلية

إنه أمر شائع أن نسمع عبارة "الناس في الأساس صالحون". وعلى الرغم من أنه من المعترف به أنه ما من إنسان كامل، إلا أن شر الإنسان قد قلل من شأنه. ومع ذلك، إذا كان الناس في أساسهم صالحين، لماذا نجد الخطية شاملة على هذا النحو؟

كثيراً ما يُقال إن الجميع يخطئون لأن تأثير المجتمع علينا كان سلبياً. وأرجعت المشكلة إلى بيئتنا، وليس إلى طبيعتنا. وهذا التفسير لشمولية الخطية ينجم عن السؤال: كيف أصبح المجتمع فاسداً في المقام الأول؟

وإذا كان الناس قد ولدوا صالحين أو أبرارا، لتوقعنا أن نسبة مئوية منهم على الأقل تظل صالحة وبدون خطية. ولاستطعنا أن نجد مجتمعات لم يتطرق إليها الفساد، حيث تأثرت البيئة بواسطة عدم الخطية وليس بالخطية. ومع ذلك، فأكثر من نستطيع أن نجدهم مكرسين للبر مازال لديهم إمكانية للتعامل مع إثم الخطية.

وبالنظر إلى أن الثمر فاسد تماما، فإننا نبحث عن أصل المشكلة في الشجرة. وأشار يسوع إلى أن الشجرة الجيدة لا تعطي ثمرا فاسدا. ويعلم الكتاب المقدس بوضوح أن أبوينا الأولين آدم وحواء، سقطا في الخطية. وكان من شأن ذلك أن كل إنسان ولد بطبيعة خاطئة فاسدة. وما لم يكن الكتاب المقدس قد علم هذا بكل وضوح، لكان علينا استنتاج ذلك بشكل منطقي من الحقيقة المجردة الخاصة بشمولية الخطية.

ومع ذلك فإن السقوط ليس ببساطة موضوع استنتاج منطقي. إنه موضوع إعلان إلهي. إنه يشير إلى ما نسميه "الخطية الأصلية". والخطية الأصلية لا تشير بصفة أساسية إلى الخطية الأولى أو الأساسية التي ارتكبها آدم وحواء. فالخطية الأصلية تشير إلى "نتيجة" الخطية الأولى، أي فساد الجنس البشري. وتشير الخطية الأصلية إلى حالة السقوط التي ولدنا بها.

أما وأن السقوط قد حدث فهذا أمر واضح في الكتاب المقدس. لقد كان السقوط مدمراً. وكيف حدث ذلك، فهذا أمر متاح للجدال حتى بين المفكرين المصلحين. ويشرح إقرار إيمان ويستمنستر الحدث بكل بساطة، وإلى حد كبير بالطريقة التي شرحه بها الكتاب المقدس:

"أبوانا الأولان، إذ خدعهما الشيطان وأغراهما، وقعا في الخطية وأكلا من الثمرة المنهى عنها. وإذ كانت هذه خطيتهما، والتي سُر الله، طبقاً لمشورته الحكيمة المقدسة أن يسمح بها، إذ كان قد رتب أن تعمل من أجل مجده.

هكذا حدث السقوط. ومع ذلك، تخطت عواقبه آدم وحواء. ولم تؤثر في كل البشر فحسب، بل أهلكت كل البشر. ونحن خاطئون في آدم. وليس بمقدورنا أن نسأل: "متى أصبح" الشخص خاطئاً؟ لأن الحقيقة هي أن البشر جاءوا إلى الوجود في حالة الخطية. وقد كانوا في نظر الله خطاة لأنهم من نفس طبيعة آدم".

وإقرار إيمان ويستمنستر يعبر أيضاً وبروعة عن نتائج السقوط، ولاسيما فيما يتعلق بالبشر:

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ٣: ١-٢٤

إرميا ١٧: ٩

رومية ٣: ١٠-٢٦

رومية ٥: ١٢-١٩

تيطس ١: ١٥

"بهذه الخطية سقطا من برهما الأصلي وشركتهما مع الله، وهكذا أصبحا ميتين بالخطية، وتنجسا تماماً في كافة أجزاء وملكات النفس والجسد. وإذ كانا أصل البشرية، ومن ثم فإن إثم هذه الخطية يرجع إليها، وانتقل منهما نفس الموت في الخطية، والطبيعة الفاسدة إلى ذريتهما التي انحدرت منهما عن طريق الولادة العادية. ومن هذا الفساد الأصلي الذي أصابنا جميعاً، وأعجزنا، وجعلنا في تعارض مع كل صلاح، وميالين تماماً لكل شر، جاء كل اعتداء فعلي".

والعبارة الأخيرة هامة للغاية. فنحن خطاة ليس لأننا نرتكب الخطية، بل نحن نرتكب الخطية بالأحرى لأننا خطاة. وهكذا كان داود يتفجع قائلا: "هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي" (مزمور ٥١: ٥).

موجز

١. شمولية الخطية لا يمكن تفسيرها بالإشارة إلى عوامل مجتمعية أو بيئية.
٢. شمولية الخطية يفسرها سقوط البشرية.
٣. الخطية الأصلية لا تشير إلى الخطية الأولى، بل إلى نتيجة تلك الخطية.
٤. كافة الناس وُلدوا بطبيعة خاطئة، أو "خطية أصلية".
٥. جميعنا نخطئ لأننا خطاة بالطبيعة.

٥٢

فساد الإنسان

كما ذكرنا في الفصل السابق، أن هناك نقطة خلاف بين المفكرين اللاهوتيين تركز على السؤال، هل البشر في أساسهم صالحون أم أشرار؟ والمحور الذي يدور حوله النقاش هو كلمة "في أساسهم". وهناك إجماع فعلي وشامل بأنه ما من أحد كامل. ونحن نقبل القول المأثور: "الخطأ من سمات البشر".

ويقول الكتاب المقدس: "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣). وعلى الرغم من هذا الحكم على نقائص البشر، مازالت الفكرة الملحة في ثقافتنا التي تسيطر عليها النزعة الإنسانية هي أن الخطية شيء خارجي أو عرضي بالنسبة لطبيعتنا. والواقع أننا فسدنا بسبب الخطية. فسجلنا الأخلاقي يبين عيوبنا. ولكننا نعتقد من ناحية ما أن أعمالنا الشريرة تظل على حافة أو هامش طبيعتنا، ولم تتغلغل إطلاقاً إلى الجوهر. وبالتالي فإن الناس في أساسهم صالحون بالفطرة.

بعد أن أنقذ أحد الرهائن الأمريكيين من الأسر في إحدى الدول المعادية، وبعد أن اختبر بصفة مباشرة الأساليب الفاسدة التي يتبعها النظام الحاكم فيها، قال: "على الرغم من كل ما عانيته إلا أنني لم أفقد إطلاقا ثقتي في صلاح الناس الجوهري". ولعل وجهة النظر هذه تقوم على أساس ميزان متأرجح بين الصلاح النسبي للبشر أو شرهم. ومن الجلي أن بعض الناس أكثر شرا وبما لا يقاس من الآخرين. فبعد ستالين أو أدولف هتلر فإن الخاطئ العادي يشبه القديس. ولكننا إذا نظرنا إلى المعيار الأساسي للصلاح، طبيعة الله القدوس، سندرك أن ما يبدو أنه صلاح أساسي على مستوى البشر هو فساد في جوهره.

ويعلم الكتاب المقدس بالفساد التام للجنس البشري. والفساد التام معناه فساد جذري. وعلينا أن نكون حريصين من ناحية ملاحظة الفرق بين الفساد الكامل والفساد المطلق. فأن يكون الشخص فاسدا

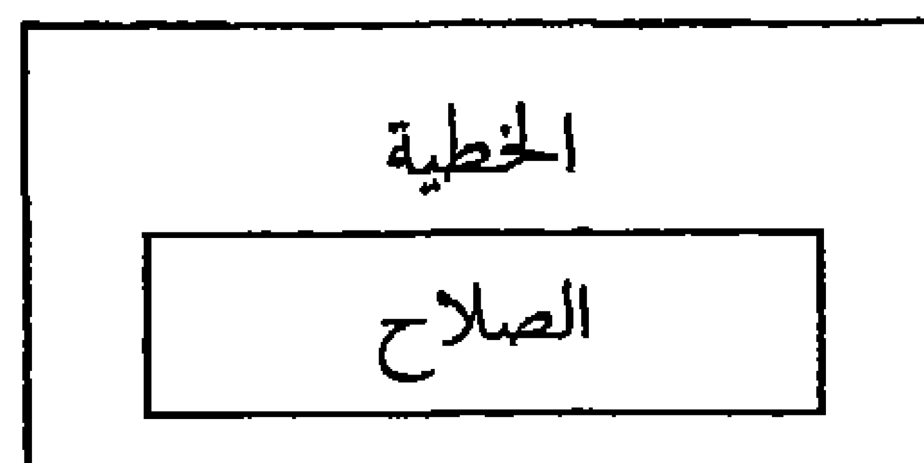
تماما بمعنى أن يكون شريرا بأقصى ما يمكنه. وكان هتلر فاسدا إلى أقصى حد، غير أنه كان يمكنه أن يكون أسوأ مما كان. أنا خاطئ، ومع ذلك بوسعي أن أرتكب خطايا أكثر وأشد مما أرتكبه بالفعل. فأنا لم أصل بالفساد إلى ذروته، غير أني فاسد بشكل تام. لأن الفساد التام أو الشامل يعني أنني وكل إنسان آخر فاسدون في كل جزء من كياننا. ولا يوجد أي جزء منا لم تؤثر فيه الخطية. فعقولنا، إرادتنا، وأجسادنا، كلها تأثرت بشر الخطية. فنحن ننطق بكلمات خاطئة، ونرتكب أعمالا خاطئة، وتراودنا أفكارا نجسة. وأجسادنا ذاتها تعاني من موبقات الخطية.

ولعل عبارة "الفساد الجذري" تعد تعبيرا لوصف حالتنا الساقطة، أفضل من تعبير "الفساد الكلي". وإني استخدم كلمة "جذري" ولا أقصد بها "الحد الأقصى"، بل لأشدد على معناها الأساسي "فجذري" تعني "جذرا". فمشكلتنا مع الخطية هي أنها متأصلة في قلب كياننا. فقد نفذت إلى قلوبنا. ونتيجة لأن الخطية من قلب حياتنا وليست على طرف حياتنا فقط، قال الكتاب المقدس: "ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد" (رومية ٣: ١٠-١٢).

وبسبب هذه الحالة كان حكم الكتاب المقدس: أننا كنا "أمواتا بالذنوب والخطايا" (أفسس ٢: ١)، وأننا مبيعون "تحت الخطية" (رومية ٧: ١٤)، وأننا كنا مسبيين "إلى ناموس الخطية" (رومية ٧: ٢٣)، وكنا "بالطبيعة أبناء الغضب" (أفسس ٢: ٣). وبقوة الروح القدس المحيية فقط يمكننا الخروج من حالة الموت الروحي هذه. إن الله هو الذي يحيينا لأننا أصبحنا "عمله" (أفسس ٢: ١-١٠).

موجز

١. الفلسفة الإنسانية ترى الخطية على حافة حياة البشر. وتعتبر أن البشر في أساسهم صالحون.



فقرات كتابية للتأمل

إرميا ١٧: ٩

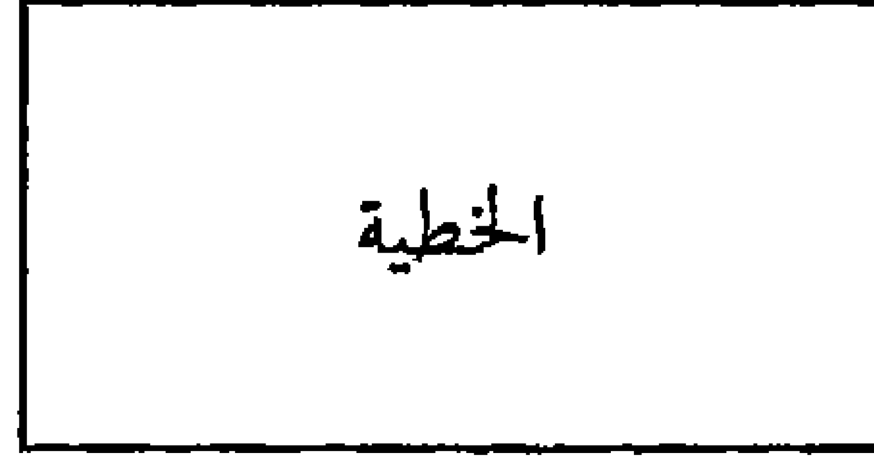
رومية ٨: ١-١١

أفسس ٢: ١-٣

أفسس ٤: ١٧-١٩

١يوحنا ١: ٨-١٠

٢. تعلم المسيحية الكتابية أن الخطية قد نفذت إلى جوهر حياتنا.



٣. الفساد الكلي ليس هو الوصول إلى أقصى حالة للفساد. فنحن لسنا أشرارا بالقدر الذي نستطيع أن نكونه.

٤. الفساد الجذري يشير إلى حالة الخطية الجذرية التي تمكنت من قلوبنا.

٥٣

ضمير الإنسان

كان "جيمني كريكت" هو الذي قال: "ليكـــن ضمـــيرك دائمـــاً مرشـــداً لك". وهذه نصيحة طيبة إذا كان ضمـــيرك قـــد تعلـــم مـــن كلمـــة الله وسلم نفسه لسيطرتها. ومع ذلك، إذا كـــان ضميرنـــا جـــاهلاً بالكتـــاب المقدس، أو تحجر أو تقسى بتكرار الخطية، هنا يكـــون الفكـــر اللاهـــوتي لجيمني كريكت مدمـــــراً.

وهناك دور هام للضمير في الحيـــاة المســـيحية. ومـــع ذلـــك، فإنـــه أمـــر حيوي أن نفهم الضمير على وجه صحيـــــح.

فقرات كتابية للتأمل
لوقا ١١: ٣٩-٤٤
رومية ٢: ١٢-١٦
رومية ١٤: ٢٣
تيطس ١: ١٥

كثيراً ما كان الضمير يُوصف بأنه صوت الله الداخلـــي الـــذي بواســـطته أما أنه يتهمنا بالخطية أو يغفرها لنا. وهو يتضمـــــن عنصريـــن أساســـين: (١) إدراك أو وعي داخلي بالصواب والخطـــأ، (٢) قـــدرة ذهنيـــة علـــى تطبيق القوانين والمعايير والأحكام على مواقـــف معينـــــة.

يعلمنا بولس في روميـــــة ٢: ١٥ أن الله كتـــب ناموســـه علـــى قلـــوب البشر. ولقد تعلم ضمير الإنسان بإعلان الله لناموســـــه، الـــذي غرســـه في قلوب النـــــاس.

وعلى الناس مسئولية أدبية في اتباع ضميرهم. وإنمـــا لخطيـــة أن يتصـــرف الإنسان ضد ما يمليه عليه ضميره. في كتابـــه "غـــذاء الحشـــرات"، يقـــول لوثر: "ضميري أسير لكلمة الله .. والتصرف ضـــد الضمـــير ليـــس هـــو بالتصرف السليم أو الآمـــــن".

وإجابة لوثر تشير إلى مبدأيـــن كتـــابيين هـــامين. أولا، يجـــب أن يتعلـــم الضمير أو يكون "أسيرا" لكلمـــة الله. مـــن الممكـــن للضمـــير أن يتعلـــم بالخطأ أو يتحجر أو يـــــد نتيجـــة تكـــرار الخطيـــة. فمـــن الممكـــن أن تتقسى قلوبنا جدا نتيجـــة الاعتيـــاد علـــى عمـــل الخطيـــة، أو القبـــول المجتمعي للخطية حتى أننا نخمد صـــوت الضمـــير ونرتكـــب الخطيـــة دون نـــدم.

وعلى صعيد آخر، إذا ما أقنعنا ضميرنا بأن شيئاً ما مخالف للقانون أو خاطئ، على الرغم من أنه في الحقيقة لا يشكل خطية، فإن عمله على الرغم من ذلك يُعد خطأ. فعمل ما نعتبره شراً، حتى إن لم يكن هو شر في الحقيقة، معناه أننا نرتكب خطية. ويعلم بولس أن كل ما هو ليس من الإيمان يُعد خطية (رومية ١٤: ٢٣). وفي هذه الحالة يكون التصرف ضد ما يمليه الضمير ليس بالأمر السليم أو الآمن.

موجز

١. لا يكون الضمير مرشدا جيدا إلا إذا كان متعلما من الله وتحت سيطرته.
٢. الضمير هو صوت أخلاقي في داخلنا يتهمنا أو يسامحنا بالنسبة لأعمالنا.
٣. العمل ضد ما يمليه الضمير يعد خطية.

٥٤

الخطية التي لا تُغفر

أما وأن الكتاب المقدس يصف خطية بعينها بأنها "لا تُغفر" فهذا ما يُولد الخوف في قلوب أولئك الذين يتملكهم القلق من أن يكونوا قد ارتكبوا هذه الخطية. وعلى الرغم من أن الإنجيل يقدم المغفرة بسخاء لكل الذين يتوبون عن خطاياهم، إلا أن هناك حدوداً للوصول إلى باب هذه الجريمة بالذات. والخطية التي لا تُغفر أو التي ليس هناك تسامح بشأنها والتي حذر منها يسوع، عُرّفت بأنها تجديف على الروح القدس. ولقد أعلن يسوع أن هذه الخطية لا يمكن أن تُغفر لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل:

"لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس. وأما التجديف على الروح القدس فلن يغفر للناس. ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له. وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" (متى ١٢: ٣١،٣٢).

وقد بذلت عدة محاولات لتعريف الجريمة المعنية التي لا تغفر. وقد قيل إنها الجرائم الشنيعة مثل القتل أو الزنا. ومع ذلك، وعلى الرغم من أنه من الجلي أن هاتين الخطيتين هما خطيتان شنيعتان ضد الله، إلا أن الكتاب المقدس يوضح أنهما قد يغفرا إذا كانت هناك توبة حقيقية. فداود، على سبيل المثال، اتهم بهاتين الخطيتين، ومع ذلك أعيد إلى النعمة.

وكثيرا ما تعرف الخطية التي لا تغفر بأنها الإصرار وبحسم على عدم الإيمان بالمسيح. وبالنظر إلى أن الموت ينهي فرصة توبة الإنسان عن الخطية، والإيمان بالمسيح، فإن نهاية الشخص بالموت يكون من شأنها نهاية رجائه في الغفران.

وعلى الرغم من أن الإصرار على عدم الإيمان حتى النهاية تنجم عنه بالفعل هذه العواقب، إلا أن ذلك لا يفسر بشكل كاف تحذير يسوع

فيما يتعلق بالتجديف على الروح القدس. فالتجديف أمر يعمله الإنسان بفمه أو بقلبه. وهو يتضمن كلمات.

وعلى الرغم من أن أي شكل من التجديف يُعد هجوماً خطيراً على شخص الله، إلا أنه يُنظر إليه في العادة كأمر يمكن غفرانه.

وحين حذر يسوع من الخطية التي لا تُغفر، فقد كان ذلك في اتهام مقاوميه له بأنه في حلف مع الشيطان. وكان تحذيره جدياً ومخيفاً. ومع ذلك، فقد صلى يسوع وهو معلق على الصليب طالباً المغفرة لأولئك الذين كان يجدفون عليه على أساس جهلهم: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا ٢٣: ٣٤).

ومع ذلك، إذا ما استنار الناس بمعرفة الروح القدس إلى الدرجة التي أصبحوا معها يعرفون أن يسوع هو حقاً المسيح، وبعد ذلك اتهموه بأن به شيطان، فإنهم بهذا قد ارتكبوا خطية لا مغفرة لها. والمؤمنون الذين يُتركون لرغباتهم بوسعهم ارتكاب الخطية التي لا تُغفر، غير أننا على يقين من أن الله في نعمته الحافظة سيمنع مختاريه من ارتكاب مثل هذه الخطية في يوم من الأيام.

فقرات كتابية للتأمل

متى ١٢: ٢٢-٣٢

لوقا ٢٣: ٣٤

١يوحنا ٥: ١٦

وحين يخاف المؤمنون المتحمسون من أنهم ربما يكونون قد ارتكبوا بالفعل هذه الخطية، فلعل هذا يعد دلالة على أنهم لم يرتكبوها. لأن الذين يرتكبون بالفعل هذه الخطية، سيكونون قد تقسوا في قلوبهم وتركوا في خطيتهم بحيث لا يشعرون بأي ندم عليها.

وحتى في ثقافة وثنية تم إضفاء الطابع الدنيوي عليها مثل ثقافتنا، يبدو الناس عازفين عن أن يقطعوا شوطا كبيرا في تجديفهم ضد الله والمسيح. وعلى الرغم من أنهم أهانوا اسم المسيح، واعتبروه كلمة لعنة عادية، وسخروا من الإنجيل بنكات وتعليقات بعيدة عن التوقير والاحترام، إلا أن الناس يبدون مع ذلك عازفين عن الربط بين يسوع والشيطان.

وعلى الرغم من أن العبادات السرية، وعبادة الشيطان تقدم سياقا لخطر عظيم، لعمل الخطية التي لا تغفر، إلا أنه إذا حدث تجديف

فطري هنا، فمع ذلك يمكن أن يُغفر، لأنه تم في جهل من قبل أولئك الذين لم يستنيروا بواسطة الروح القدس.

موجز

١. التجديف على الروح القدس لا يجب مساواته بالقتل أو الزنا.

٢. التجديف إساءة ضد الله يتضمن أقوالاً.

٣. تحذير المسيح الأساسي كان ضد نسبة أعمال الله، الروح القدس، إلى الشيطان.

٤. صلى يسوع من أجل المغفرة للمجدفين الذين كانوا يجهلون هويته الحقيقية.

٥. المؤمنون لن يرتكبوا إطلاقاً هذه الخطية بسبب نعمة الله التي تمنعهم من القيام بذلك.

٥٥

حركة التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة

الحركة التوفيقية هي الحركة التي بواسطتها تُمتص بعض نواحي ديانة ما، أو تُعدل كي تتناغم مع ديانة أخرى. وهذا يؤدي إلى تغييرات جذرية في كلتا الديانتين.

كان الله مهتماً للغاية، في العهد القديم، بالضغوط والإغراءات التي تدفع نحو الحركة التوفيقية بين الأديان. وفيما كان شعب الله يتحرك في أرض الميعاد كانوا يواجهون بديانات وثنية. وآلهة الكنعانيين، بعل والسارية، أصبحوا محط عبادة الإسرائيليين. وبعد ذلك عبد شعب الله الآلهة القومية لأشور وبابل. وقد حذر ناموس الله إسرائيل بكل وضوح ليس ضد ترك الرب يهوه وعبادة آلهة أخرى فقط، بل ومن عبادة آلهة أخرى إلى جانب الإله الحقيقي. وحذر الأنبياء من دينونات آتية فيما كان الشعب يعدلون إيمانهم ليتوافق مع تعاليم وممارسات غريبة.

وكانت فترة العهد الجديد من الفترات التي شهدت هذه الحركة التوفيقية وعلى نطاق واسع. وفيما اتسعت الإمبراطورية اليونانية، اختلطت آلهتها مع الآلهة الخاصة بالشعوب المهزومة. كما أن الإمبراطورية الرومانية رحبت أيضاً بكل الديانات السرية الأخرى.

ولم تترك المسيحية دون مساس. ولم ينشر آباء الكنيسة الإنجيل فحسب، بل بذلوا كل جهدهم للمحافظة على سلامته. فالفلسفة المانية (وهي فلسفة ثنائية ترى المادة شرا) زحفت إلى بعض العقائد. أما الدوستية (تعليم ينكر أنه كان ليسوع جسد مادي) فكانت تمثل مشكلة حتى أثناء كتابة العهد الجديد. وثمة أشكال كثيرة من الأفلاطونية المحدثة بذلت جهودا كبيرة لتجمع بين عناصر من الديانة المسيحية مع الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الثنائية الشرقية. وتاريخ العقائد المسيحية هو تاريخ شعب الله وهم يسعون للابتعاد عن شباك الديانات والفلسفات الغريبة.

فقرات كتابية للتأمل
١ملوك ١٦: ٢٩-٣٤
١كورنثوس ١٠: ١٤-٢٣
٢كورنثوس ٦: ١٤-١٨
غلاطية ٣: ١-١٤
كولوسي ٢: ٨
١يوحنا ٥: ١٩-٢١

ومازال المشكلة ماثلة أمام الكنيسة حتى أيامنا هذه. فالفلسفات غير المسيحية كالماركسية، والوجودية تسعى إلى قوة المسيحية في الوقت الذي تتخلى فيه عما هو مسيحي صرف. وتستمر حركة التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة تشكل أداة قوية لتفصل بين الله وشعبه.

وكل جيل من المسيحيين يواجه إغراء هذه الحركة التوفيقية. وفي رغبتنا أن نكون "معها" أو أن نكون متعاصرين في ممارستنا ومعتقداتنا، نستسلم لإغراء أن نواجه بأنماط هذا العالم. فنتقبل ممارسات الوثنية وأفكارها، ونسعى إلى "تنصيرها". وحتى حين نواجه ديانات وفلسفات غريبة، نجد في أنفسنا رغبة في التأثر بها. وكل عنصر غريب يتسلل إلى الإيمان المسيحي وممارساته، هو عنصر يضعف نقاء الإيمان.

موجز

١. الحركة التوفيقية بين الديانات المتعارضة هي دمج أو مزج ديانات أو فلسفات غريبة بجعلها ديانة واحدة.
٢. تغلغل الديانات الوثنية كانت من بين المشاكل الدائمة التي كان الإسرائيليون يواجهونها في العهد القديم.
٣. كافحت كنيسة العهد الجديد ضد نفوذ ديانة وثقافة اليونانيين والرومان.
٤. تلقى المسيحية الحديثة تهديدا من المحاولات التي تستهدف الجمع بين الفكر المسيحي والديانة الوثنية، والفلسفة الدنيوية.

الجزء السابع

الخلاص

٥٦

الخلاص

واجهني ذات مرة شاب من فلادلفيا يطرح عليّ السؤال: "هل خلصت؟" وكان ردي عليه هو: "خلصت من ماذا؟" وقد أذهله سؤالي. ومن الجلي أنه لم يفكر كثيراً في معنى السؤال الذي كان يطرحه على الناس. ومن المؤكد أنني لم أخلص من الناس الذين يقاطعونني في الشارع ويجبرونني على الاستماع إلى السؤال: "هل خلصت"؟

والسؤال ما إذا كنت قد خلصت هو أسمى سؤال في الكتاب المقدس. والموضوع الذي تدور حوله الأسفار المقدسة هو موضوع الخلاص. ثم إن يسوع حين حُبل به في بطن العذراء، أُعلن أنه المخلص. فالخلاص ومن يقوم بالخلاص صنوان لا ينفصلان. إن مهمة المخلص هي أن يخلص.

ومع ذلك نعود للسؤال، "خلصت من ماذا؟"، والمعنى الكتابي للخلاص واسع ومتنوع. والفعل "يخلص" في أبسط صيغة يعني "أن يُنقذ من وضع خطير أو يهدد حياته". فحين كانت إسرائيل تنجو من الهزيمة على يد أعدائها في معركة ما، يُقال إنها خلصت. وحين يشفي الناس من مرض كان يهدد حياتهم، يختبرون خلاصاً. وحين يتم إنقاذ المحصول من وباء أو من جفاف، فالنتيجة هي خلاص.

ونحن نستخدم كلمة "خلاص" بطريقة مماثلة. ويقال عن "الملاكم" أن "الجرس قد أنقذه أو خلصه" إذا انتهت الجولة قبل أن يعتبره الحكم مهزوما. و"الخلاص" يعني أن تنقذ من كارثة ما. ومع ذلك، يستخدم الكتاب المقدس تعبير الخلاص بمعنى معين للإشارة إلى فدائنا الأساسي من الخطية ومصالحتنا مع الله. وبهذا المعنى، يكون الخلاص من كارثة شنيعة، ألا وهي دينونة الله. والخلاص الأساسي يحققه المسيح الذي "ينقذنا من الغضب الآتي" (تسالونيكي ١: ١٠).

ويعلن الكتاب المقدس بكل وضوح أنه سيكون هناك يوم للدينونة يقف فيه البشر جميعا أمام المحكمة الإلهية للحساب. وبالنسبة لكثيرين

سيكون "يوم الرب" هذا يوم ظلام، لا نور فيه، وسيكون اليوم الذي يصب الله فيه غضبه ضد الأشرار وغير التائبين. ولسوف تكون الإبادة الكبرى، وأحلك ساعة على الإطلاق، وأسوأ كارثة في تاريخ البشر. وأن تُنقذ من غضب الله الذي من المؤكد تماماً أنه سيحل على العالم، فهذا هو الخلاص العظيم. وهذه هي عملية الإنقاذ التي يقوم بها المسيح من أجل شعبه باعتباره "المخلص".

فقرات كتابية للتأمل

حزقيال ٣٦: ٢٦-٢٧

صفنيا ١

يوحنا ٣: ١٦-١٧

رومية ١: ١٦-١٧

١كورنثوس ١: ٢٦-٣١

١تسالونيكي ١: ٦-١٠

ويستخدم الكتاب المقدس لفظة "خلاص" ليس بمعان كثيرة فقط، بل وفي أفعال كثيرة. والفعل "يخلص" يظهر تقريباً في كل فعل ممكن في اللغة اليونانية. وهناك معنى، فيه أننا "خُلّصنا" (منذ تأسيس العالم)، ولقد خُلّصنا (بعمل الله في التاريخ)، ونحن نُخلّص (بكوننا في حالة تبرير)، ونحن نُخلص (عن طريق تقديسنا، أو جعلنا قديسين) ولسوف نُخلص (نختبر اكتمال فدائنا في السماء). والكتاب المقدس يتحدث عن الخلاص بصيغة الماضي والحاضر والمستقبل.

وأحيانا نساوي الخلاص الحاضر بتبريرنا، الذي هو أمر يتعلق بالحاضر. وفي أحيان أخرى ننظر إلى التبرير على أنه خطوة معينة في نظام الخلاص، أو في خطة برمتها.

وأخيرا، من المهم أن نذكر ناحية مهمة أخرى للمفهوم الكتابي المتعلق بالخلاص. فالخلاص ليس مهمة بشرية. فالبشر لا يستطيعون أن يخلصوا أنفسهم. لأن الخلاص عمل إلهي، ينجزه ويطبقه الله نفسه. فالخلاص للرب، ومن الرب. فالرب هو الذي يخلصنا من غضب الرب.

موجز

١. المعنى العريض "للخلاص" هو "أن تنقذ من وضع يشكل تهديدا".
٢. الخلاص الأساسي يعني أن تخلص من الكارثة الكبرى وهي غضب الله.
٣. يستخدم الكتاب المقدس كلمة "خلاص" في أفعال متعددة تشير إلى عمل الله في الخلاص في الماضي والحاضر والمستقبل.
٤. يستخدم "التبرير" أحيانا كمرادف "للخلاص" وفي أحيان أخرى يعد ناحية من خطة الفداء الكلية.
٥. الخلاص للرب ومن الرب.

٥٧

تعيين الله السابق

قليل من التعاليم هي التي أشعلت هذا المقـــدار مـــن الجـــدال، أو أثــارت مثل هذا القدر من الرعب اللذين نجما عن تعليم تعيـــين الله الســـابق. إنـــه تعليم صعب ويتوجب التعامل معه بحرص وحذر شـــديدين. ومـــع ذلـــك فهو تعليم كتابي، ولذلـــــك يتوجـــب التعـــامل معـــه. ولا نجـــرؤ علـــى تجاهلـــــه.

والواقع أن كل الكنائس المسيحية لديها تعليـــم عـــن تعيـــين الله الســـابق. وهذا أمر لا يمكن تجنبه، لأنه مـــن الجلـــي أن هـــذا المفـــهوم موجـــود في الكتاب المقدس. ومع ذلك، فإن هذه الكنائس تختلـــف، وأحيانـــاً بشـــدة، حول معناه. فكنيسة الميثوديست تختلف عـــن الكنيســـة اللوثريـــة حـــول مفهوم هذا التعليم، وهذه بدورها تختلف عـــن وجهـــة النظـــر المشـــيخية حول هذا الأمر. وعلى الرغم مـــن اختـــلاف الآراء بينـــها، إلا أن كـــلا منها تحاول التعامل بجدية مع هذا الموضـــوع الصعـــــب.

فماذا يعني تعيين الله المسبق. في صيغته الأولية يعـــني أن مصيرنـــا النـــهائي، في السماء أو في جهنم، قد قرره الله، وذلك ليـــس فقـــط قبـــل أن نصـــل إلى هناك، بل وحتى قبل أن نولد. وهو يعلم بـــأن مصيرنـــا النـــهائي هـــو في يد الله. أو بمعنى آخر: من الأبدية، بل وحتى قبـــل أن نوجـــد قـــرر الله أن يخلص بعض أعضاء الجنس البشري، وأن يـــدع البقيـــة تهلـــك. لقـــد عمل الله اختيارا، لقد اختار بعض الأفراد كـــي يخلصـــوا وينـــالوا بركـــة أبدية في السماء، واختار آخرون، للمـــوت، كـــي يتيـــح لهـــم أن يلقـــوا عواقب خطاياهم في عذاب أليم في جهنـــــم.

وقبول هذا التعريف أمر شائع بالنسبة لكنائس كثـــيرة. ولكـــي نصـــل إلى لب الموضوع، يتحتم علينا السؤال: وكيـــف يختـــار الله؟ ووجهـــة نظـــر الكنائس غير المصلحة، والتي تتبناها غالبية شاسعة مـــن المســـيحيين، هـــي أن الله جعل اختياره على أساس معرفتـــه الســـابقة. فـــالله يختـــار للحيـــاة الأبدية أولئك الذين يعرف أنهم ســـوف يختارونـــه. وهـــذا مـــا يســـمى

وجهة نظر العلم بالغيب والخاصة بالتعيين السابق لأنها قائمة على علم الله السابق بقرارات الناس وأعمالهم.

وتختلف وجهة نظر الكنائس المصلحة من ناحية أنها ترى أن القرار الأساسي للخلاص هو قرار الله وليس قرارنا. وبحسب وجهة النظر هذه، فإن اختيار الله يعود إلى سلطانه، ولا يقوم على أساس القرارات والاستجابة التي يتخذها البشر والمعروفة سابقاً لدى الله، والواقع أنها ترى أن هذه القرارات تنبع من نعمة الله الفعالة.

ووجهة نظر الكنائس المصلحة تقول بأن الإنسان الساقط في الخطية، إذا ما تُرك لنفسه لن يختار الله أبداً. والناس بعد السقوط لا تزال لديهم حرية الإرادة، ولا يزال بمقدورهم أن يختاروا ما يرغبون. ولكن المشكلة هي أنه لا تُوجد لدينا رغبة لله، ولن نختار المسيح إلا إذا ولدنا ثانية قبل ذلك. والمختارون فقط هم الذين سيستجيبون للإنجيل بالإيمان.

والمختارون يختارون المسيح بالفعل، ولكن هذا يرجع إلى أنهم اختيروا أولا من قبل الله. وكما في حالة يعقوب وعيسو، اختير المختارون لا لشيء سوى على أساس مسرة الله الصالحة، وليس على أساس أي شيء عملوه أو سيعملونه. ويقول الرسول بولس:

وليس ذلك فقط بل رفقة أيضاً وهي حبلى من واحد وهو إسحق أبونا. لأنه (وهما لم يُولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو) قيل لها: "الكبير يستعبد للصغير ... فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذي يرحم" (رومية ٩: ١٠-١٢،١٦).

وثمة مشكلة مربكة بالنسبة لموضوع تعيين الله المسبق وهي أن الله لا يختار أو ينتقي كي يخلص كل أحد. فهو يحتفظ بحقه في أن يرحم من يرحم. فبعض من البشر الساقطين يتلقون نعمة الاختيار ورحمته. والباقون يعبر الله عنهم تاركاً إياهم في خطاياهم. وغير المختارين يتلقون العدل. أما المختارون فيتلقون الرحمة. وما من أحد يُعامل بظلم. والله ليس مضطراً لأن يكون رحيماً بأحد أو للجميع معاً. فهو

قراره في مدى الرحمة التي يختار أن يكـون عليـها. ومـع ذلـك فـهو لم يُتهم على الإطلاق بأنه ظلم أحداً (انظـر روميـة ٩: ١٤، ١٥).

موجز

١. التعيين السابق يشكل عقيدة صعبة الفهم، ويجب التعامل معه بحرص.
٢. يعلم الكتاب المقدس عقيدة التعيين السابق.
٣. كثيرون من المسيحيين يعرفون التعيين السابق على أنـه قـائم علـى أساس علم الله السـابق.
٤. الكنائس المصلحة لا تعتـبر معرفـة الله السـابقة توضيحـاً لعقيـدة التعيين السابق الكتابيـة.
٥. التعيين السابق قائم على أساس اختيار الله، وليس اختيار البشر.
٦. الناس الذين لم يُولدوا ثانية ليس لديهم رغبة في اختيار المسيح.
٧. الله لا يختار كل أحد. ويحتفظ بحقه في أن يرحم من يرحم.
٨. الله لا يُعامل أي إنسان معاملة ظالمة.

فقرات كتابية للتأمل

أمثال ١٦: ٤
يوحنا ١٣: ١٨
رومية ٨: ٣٠
أفسس ١: ٣-١٤
٢تسالونيكي ٢: ١٣-١٥

٥٨

التعيين السابق والرفض

كل قطعة نقد لها وجه أقل أهمية من الوجه الآخر. وهكذا أيضاً بالنسبة لعقيدة الاختيار. فالاختيار لا يشير إلا إلى وجه واحد من الموضوع الأوسع الخاص بالتعيين المسبق. أما الوجه الآخر من العملة فهو موضوع الرفض. لقد أعلن الله أنه أحب يعقوب وأبغض عيسو. فكيف لنا أن نفهم هذه الإشارة إلى البغضة الإلهية.

وعقيدة التعيين المسبق هي عقيدة مزدوجة. والوسيلة الوحيدة لتجنب تعليم التعيين المسبق المزدوج إما أن تؤكد أن الله يعين الجميع مسبقا للاختيار، وإما أنه لا يعين أي أحد مسبقا سواء للاختيار أو الرفض. وبالنظر إلى أن الكتاب المقدس يعلم بوضوح التعيين المسبق للاختيار، وينكر الخلاص الشامل فيتوجب علينا أن نستخلص من ذلك أن التعيين المسبق مزدوج. وهو يتضمن كلا من الاختيار والرفض. وتعليم التعيين المسبق المزدوج لا يمكن تجاهله إذا ما أخذنا الكتاب المقدس بجدية. ومع ذلك، فالمهم هو كيفية فهم عقيدة التعيين المسبق المزدوج.

البعض اعتبر عقيدة التعيين المسبق المزدوج على أنه موضوع يعتمد على أسباب متكافئة، حيث يكون الله مسئولا بشكل متساو لجعل المرفوضين لا يؤمنون، كما أنه السبب في جعل المختارين يؤمنون. وهذا ما نسميه "إيجابية الرأي الإيجابي" عن عقيدة التعيين المسبق.

وإيجابية الرأي الإيجابي عن التعيين المسبق، تعلم بأن الله يتدخل بإيجابية وفعالية في حياة المختارين ليعمل في قلوبهم بالنعمة ويأتي بهم إلى الإيمان. وعلى غرار ذلك، فإنه بالنسبة للمرفوضين، فإنه يجعل الشر في قلوبهم ويمنعهم بفعالية من المجيء إلى الإيمان. ووجهة النظر هذه كان يطلق عليها دائما "الكالفينية المتطرفة" لأنها تتعدى رأي كل من كالفن ولوثر والمصلحين الآخرين.

ورأي المصلحين في عقيدة التعيين المسبق المزدوج يتبع خطة إيجابية — سلبية فبالنسبة للمختارين، يتدخل الله ليعمل بنعمته بإيجابية ونشاط في نفوسهم، ويأتي بهم إلى الإيمان المخلص. فهو، من جانب واحد، يعطي المختارين ولادة ثانية ويؤكد خلاصهم. وبالنسبة للمرفوضين، هو لا يعمل الشر فيهم أو يمنعهم من المجيء إلى الإيمان. بل بالأحرى، فهو يتجاهلهم ويتركهم لطرقهم الخاطئة، وهذا الرأي لا يتضمن تناسقاً للعمل الإلهي. وعمل الله غير متناسق بين المختارين والمرفوضين. ومع ذلك، هناك نوع من التساوي في النهاية، فالمرفوضون، الذين تجاهلهم الله محكوم عليهم بالهلاك في النهاية، ولعنتهم مؤكدة بقدر تأكيد الخلاص النهائي للمختارين.

فقرات كتابية للتأمل

خروج ٧: ١-٥

أمثال ١٦: ٤

رومية ٩

أفسس ١: ٣-٦

يهوذا ١-٤

والمشكلة ارتبطت بأقوال كتابية كتلك المتعلقة بتقسية الله قلب فرعون. أما أن يقول الكتاب أن الله قسى قلب فرعون فهذا أمر لا جدال فيه. ويظل السؤال قائماً: كيف قسى الله فرعون ويجادل لوثر لتقسي سلبي وليس فعلي. بمعنى أن الله لم يخلق شراً جديداً في قلب فرعون. فقد كان هناك بالفعل شر كاف في قلب فرعون يدفعه إلى مقاومة مشيئة الله في كل وقت. وكل ما يعمله الله كي يقسي قلب إنسان ما هو أنه يرفع عنه نعمته ويسلمه لنزواته الشريرة. وهذا هو على وجه الدقة ما يعمله الله للمحكوم عليهم بالهلاك الأبدي في جهنم. فهو يتركهم لشرهم.

وبأي معنى "أبغض" الله عيسو؟ هناك تفسيران لحل هذه المشكلة. الأول يفسرها بتعريف البغضة ليس كعاطفة سلبية موجهة ضد عيسو، بل كمجرد غياب المحبة المخلصة. أما وأن الله "أحب" يعقوب، فهذا يعني ببساطة أنه جعل يعقوب يتسلم نعمة غير مستحقة. فقد أعطى يعقوب فائدة لم يكن يستحقها. ولم يتلق عيسو نفس الفائدة، وهذا هو معنى أن الله أبغضه.

والتوضيح الأول يبدو وكأنه دفاع خاص إلى حد ما ليخلص الله من مشكلته الخاصة بكراهيته لأي شخص. أما التوضيح الثاني فيعطي مزيداً من القوة لكلمة "يبغض". ويقول ببساطة إن الله في الواقع لم يبغض عيسو. فقد كان عيسو بغيضاً في نظر الله. ولم يكن هناك شيء

في عيسو يمكن أن يحبه الله. وكان عيسو آنية صالحة للدمار، ويستحق تماماً غضب الله وبغضه المقدس. ولنترك للقارئ أن يقرر ما يراه في هذا الشأن.

موجز

١. تعليم التعيين المسبق هو تعليم مزدوج، له جانبان.

٢. البعض يُعلّمون بأن الله مسئول بنفس القدر عن التعيين المسبق والرفض. وهذه سمة الكالفينية المتطرفة.

٣. وجهة نظر الكنائس المصلحة بخصوص عقيدة التعليم المسبق المزدوج تعكس خطة إيجابية - سلبية.

٤. قسى الله قلب فرعون بطريقة سلبية، دون أي عمل من جانبه.

٥. أبغض الله عيسو، بمعنى أنه لم يعطه بركة النعمة، أو بمعنى أنه أبغضه كآنية مناسبة للتدمير.

٥٩

دعوة فعالة

حين كنت ولداً صغيراً اعتادت والدتي أن تقف وتناديني عبر النافذة كي أعود إلى البيت للغذاء. وعادة كنت ألبي أول نداء، ولكن لم يكن ذلك دائماً. فإذا تأخرت كانت تنادي عليّ ثانية، وعادة بصوت عال. فنداؤها الأول لم يكن فعالاً دائماً، وكان يفشل في تحقيق النتيجة المرجوة. أما نداؤها الثاني فكان في العادة فعالاً، وكنت أسرع على أثره إلى البيت.

وهناك دعوة من الله تتسم بالفعالية. فحين دعا الله العالم إلى الوجود، لم يتردد الكون في التجاوب مع الأمر. وتحققت رغبة الله الفعالة في الخليقة. وعلى غرار ذلك، حين دعا يسوع لعازر الميت من قبره، استجاب لعازر وخرج حياً.

وهناك أيضاً دعوة فعالة من الله في حياة المؤمن. وهي دعوة تحقق النتيجة المرجوة. والدعوة الفعالة تستند إلى قوة الله في إقامة الخاطئ (عن طريق الولادة الثانية) من الموت الروحي. وهذا ما يُشار إليه أحياناً بعبارة "النعمة التي لا تُقاوم".

والدعوة الفعالة يُقصد بها دعوة من الله تحقق التأثير أو النتيجة المقصودة أو المقدرة بقوته الإلهية وسلطانه. وحين قال بولس إن الذين "سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً"، فالدعوة التي يشير إليها هي دعوة الله الفعالة.

ودعوة الله الفعالة هي دعوة داخلية. وهي العمل السري لإحياء أو تحقيق الولادة الثانية في نفوس المختارين بعمل الروح القدس الفوري الخارق للطبيعة. وهو يحقق أو يعمل التغيير الداخلي في رغبة النفس وميلها ونزوعها. وقبل تلقي دعوة الله الفعالة الداخلية، ما من أحد يميل إلى المجيء إليه. وكل واحد تلقى دعوة فعالة تراه الآن يميل إلى الله

ويستجيب بالإيمان. إذاً، نعرف من هذا أن الإيمان ذاته هو هبة من الله، أعطي من خلال دعوة الروح القدس الفعالة.

فقرات كتابية للتأمل
حزقيال ٣٦: ٢٦-٢٧
رومية ٨: ٣٠
أفسس ١: ٧-١٢
٢تسالونيكي ٢: ١٣،١٤
٢تيموثاوس ١: ٨-١٢

والكرازة بالإنجيل تمثل دعوة الله الخارجية. وهذه الدعوة تسمع بوضوح من قبل المختارين وغير المختارين. وللبشر القدرة على مقاومة الدعوة الخارجية ورفضها. ولن يستجيب للدعوة الخارجية بالإيمان إلا إذا صاحبت الدعوة الخارجية الدعوة الداخلية الفعالة من قبل الروح القدس. والدعوة الفعالة لا يمكن مقاومتها بمعنى أن الله بسلطانه يحقق نتيجتها المرجوة. وعمل النعمة الإلهي هذا يمكن مقاومته بمعنى أنه بمقدورنا أن نقاوم، بل ونحن نعمل ذلك بالفعل في طبيعتنا الساقطة، غير أنه لا يقاوم بمعنى أن نعمة الله تنتصر على مقاومتنا الطبيعية لها.

والدعوة الفعالة تشير إلى قوة الله الخلاقة التي تأتي بنا إلى الحياة الروحية. وكتب الرسول بولس في هذا الشأن:

"وأنتم إذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية. الذين نحن أيضا جميعا تصرفنا قبلا بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا" (أفسس ٢: ١-٣)، أحيانا مع المسيح.

نحن الذين كنا قبلا أبناء الغضب وكنا موتى من الناحية الروحية أصبحنا "المدعوين" وذلك بفضل قوة دعوة الله الداخلية وفعاليتها. فالروح القدس في نعمته يعطينا عيونا لنرى ما لم نكن نراه وأذانا لنسمع ما لم نكن نسمعه.

موجز

١. دعوة البشر قد تكون فعالة وقد لا تكون كذلك.
٢. الله لديه القوة الفعالة كي يدعو عوالم إلى الوجود، والجثث من القبور، والناس من الموت الروحي إلى الحياة الروحية.
٣. قد يسمع الناس دعوة الله الخارجية بالإنجيل ويرفضونها. غير أن دعوته الداخلية فعالة دائما. وهي تحقق النتائج المرجوة.

٦٠

الولادة الثانية

حين انتخب جيمي كارتر رئيساً للولايـات المتحـدة الأمريكيـة وصـف نفسه بأنه "مسيحي مولود الولادة الثانية". بعـد ذلـك كتـب تشـارلز كولسون رجل المعارضة السابق أثناء رئاسـة نيكسـون، كتـب كتابـاً كان في مقدمة قائمة أفضل المبيعـات، وكـان عنوانـه "مولـود ثانيـة". وفيه تحدث عن اختباره الخاص بتجديـده واعتناقـه المسـيحية. وبـالنظر إلى أن هاتين الشخصيتين الشهيرتين أضفيـا شـعبية علـى عبـارة "وُلـد ثانية"، فقد أصبحت جزءاً من اللغة الحديثـة المتداولـة.

ومن الناحية الفنية، فإن وصف شخص مسيحي بأنـه ولـد ثانيـة يعـد إطنابا متكررا لا لزوم له. فلا يوجد ما يوصـف بأنـه مسـيحي لم يولـد ثانية. "فالمسيحي الذي لم يولد ثانية" تعد عبارة متناقضـة في حـد ذاهـا. وهكذا أيضا، "غير المسيحي الـذي ولـد ثانيـة" هـذه عبـارة تنـاقض نفسـها.

وكان يسوع هو أول من أعلن أن الميـلاد الثـاني الروحـي ضـرورة لابد منها لدخول ملكوت الله. وقد قـال لنيقوديمـوس: "الحـق الحـق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقـدر أن يـرى ملكـوت الله" (يوحنا ٣: ٣). وعبارة "إن كان أحـد لا ..." في تعليـم يسـوع تشير إلى شرط ضروري وعام لرؤيـة ملكـوت الله ودخولـه. وعلـى ذلك، فإن الميلاد الثاني يعد جـزءا ضروريـا في المسـيحية، بدونـه لا يمكن الدخول إلى ملكوت اللـه.

وكلمـة Regeneration في اللغـة الإنجليزيـة هـي المصطلـح اللاهـوتي لوصف الولادة الثانية. وهي تشـير إلى نسـل جديـد، نشـوء جديـد، وبداية جديدة. وهي أكثر من "فتح صفحـة جديـدة"، إنـه إشـارة إلى بداية حياة جديدة في شخص تجدد بشـكل جـذري. وتحـدث بطـرس عن المؤمنين بقوله: "مولودين ثانية لا مـن زرع يفـنى بـل ممـا لا يفـنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبـد" (بطـرس الأولى ١: ٢٣).

والولادة الثانية هي عمل الروح القدس في أولئك الموتى روحياً (انظر أفسس ٢: ١-١٠). فالروح القدس يجدد خلق قلب الإنسان، ويحييه من موت روحي إلى حياة روحية. والناس الذين ولدوا ثانية هم خليقة جديدة لم يكن لهم قبل ذلك ميل أو رغبة في الأمور الخاصة بالله، إلا أنهم الآن ميالون ومنجذبون إلى الله. ففي الولادة الثانية يزرع الله في القلب البشري الرغبة إليه، ولولا ذلك لما وُجدت هذه الرغبة في القلب.

ولا يجب الخلط بين الولادة الثانية واختبار التجديد الكامل. وكما أن الولادة هي بدايتنا، وهي دخولنا الأول إلى الحياة خارج الرحم، هكذا أيضاً ولادتنا الروحية الثانية، هي نقطة البداية لحياتنا الروحية. وهي تحدث بمبادرة إلهية، وهي عمل فوري يتم في الحال بسلطانه الإلهي.

وإدراكنا بتجديدنا قد يكون تدريجياً. ومع ذلك فالولادة الثانية تتم في الحال. وما من أحد يستطيع أن يولد ثانية بشكل جزئي، تماماً مثلما أنه لا يمكن للمرأة أن تكون حاملاً بشكل جزئي.

فقرات كتابية للتأمل

تثنية ٣٠: ٦

حزقيال ٣٦: ٢٦-٢٧

رومية ٨: ٣٠

تيطس ٣: ٤-٧

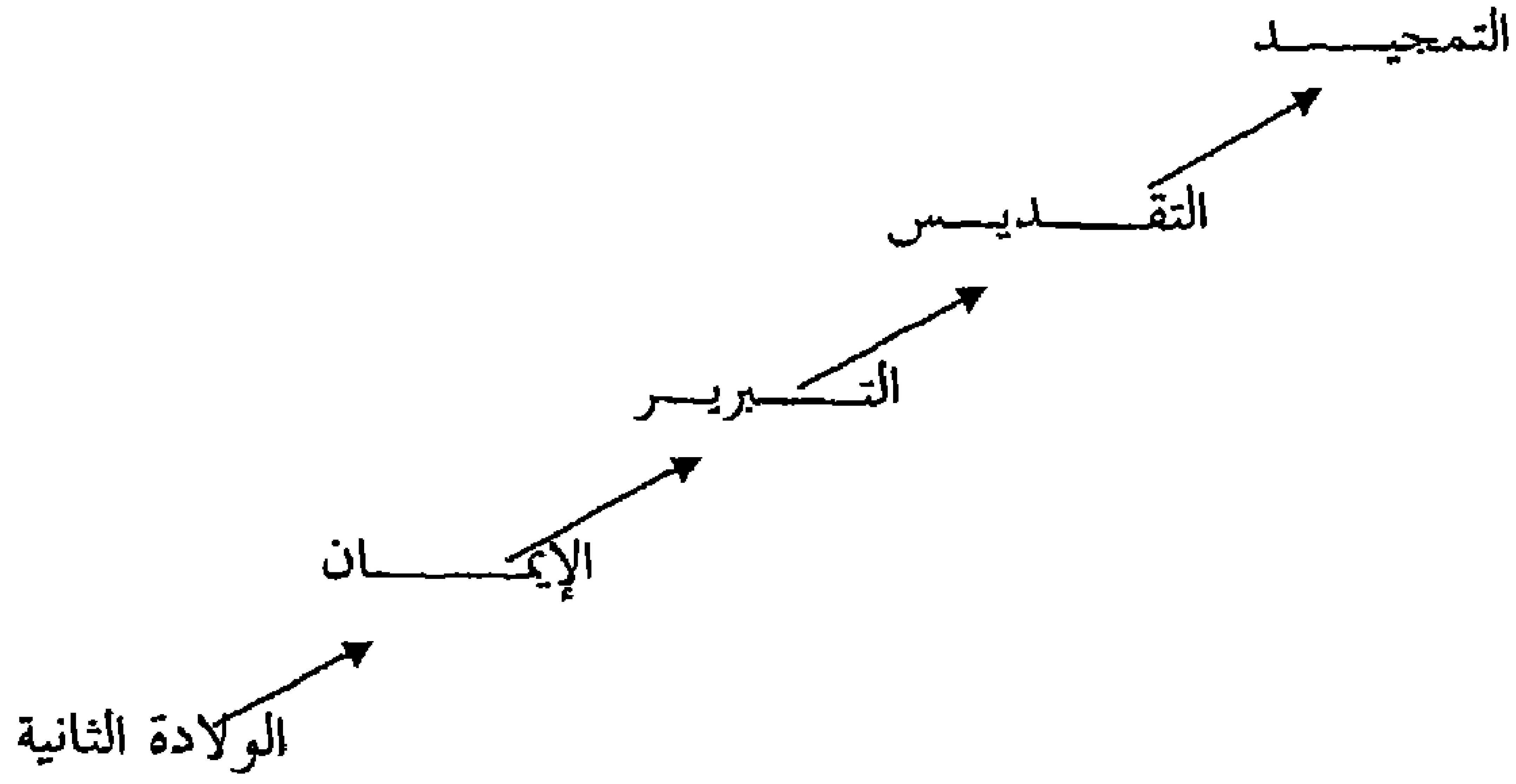
والولادة الثانية ليست ثمرة الإيمان أو نتيجته. بل إن الولادة الثانية تسبق الإيمان كشرط ضروري له. كما أننا لا ندفع أيضا نفسنا نحو الولادة الثانية أو نتعاون كعاملين مع الروح القدس لتحقيقها. فنحن لا نقرر أو نختار الولادة الثانية. فالله يختار أن يلدنا ثانية قبل حتى أن نختار أن نقبله. والواقع أنه، بعد أن نولد ثانية بنعمة الله الفائقة، هنا نختار، ونعمل، ونتعاون، ونؤمن بالمسيح. فالله ليس لديه إيمان يقدمه لنا. إنه إيماننا الذي به نتبرر، أما الذي يعمله الله فهو أنه يحيينا إلى حياة روحية، وينقذنا من الظلمة والعبودية والموت الروحي. والله يجعل الإيمان ممكنا وحقيقيا بالنسبة لنا. فهو يحي الإيمان فينا.

موجز

١. كل المؤمنين الحقيقيين ولدوا ثانية.
٢. كل الذين ولدوا ثانية حقا هم المؤمنون.
٣. الميلاد الثاني شرط لابد منه لدخول ملكوت الله.

٤. الولادة الثانية هي من عمل الروح القدس الإلهي الكريم.
٥. الولادة الثانية تسبق الإيمان. إنه مبادرة الله الإلهية في الخلاص.

نظام الخلاص



٦١

الكفارة

أعلن الرسول بولس أنه مصمم على ألا يعـرف شـيئاً إلا المسـيح وإيـاه مصلوباً. وكانت هـذه طريقـة الرسـول في تـأكيد الأهميـة القصـوى للصليب بالنسبة للمسيحية. وتعليـم الكفـارة أمـر جوهـري بالنسـبة للفكر اللاهوتي المسيحي برمتـه. وقـد أطلـق لوثـر علـى المسـيحية "لاهوت الصليب". وشكل الصليـب هـو الرمـز العـالمي للمسـيحية. ومفهوم الكفارة يرجع إلى العهد القديم حيـث وضـع الله نظامـاً يمكـن بواسطته أن يعمل شعب إسرائيل كفارة لخطايـاهم. وأن تعمـل كفـارة، تعني أن تعدل الوضع وتضع الأمور في نصابهـا الصحيـح.

ويوضح كل من العـهدين القـديم والجديـد أن جميـع البشـر خطـاة. وبالنظر إلى أن خطايانا هي ضد الله القـدوس غـير المحـدود، الـذي لا يستطيع حتى النظر إلى الخطية، لذلك يتوجب عمل الكفـارة حـتى يمكـن أن تكون لنا شركة مع الله. وبالنظر إلى أن الخطيـة لوثـت حـتى أفضـل أعمالنا، فمن ثم نحن عاجزون عن عمل ذبيحـة كافيـة. فحـتى ذبائحنـا قد لُوثت وتحتاج بدورها إلى ذبيحـة لتغطيـة تلـك اللوثـة إلى النهايـة. وليس لدينا عطية قيمة بما فيه الكفاية، ولا عمل بـار بمـا فيـه الكفايـة كي نكفر عن خطايانا. فنحن مدينون عاجزون عن سـداد ديونهـم.

وإذ تحمل المسيح غضب الله الآب على الصليب، فقـد اسـتطاع التكفـير عن خطايا شعبه. فقد حمل المسيح، أو تحمـل، العقوبـة المسـتحقة عـن خطايا البشر وقد كفر عنها بقبوله العقوبة العادلـة لهـذه الخطايـا. وقـد أعلن ميثاق العهد القديم لعنـة علـى أي شـخص ينتـهك نـاموس الله. وعلى الصليب لم يأخذ يسوع اللعنة على نفسه بل "صـار لعنـة لأجلنـا" (غلاطيـة ٣: ١٣). لقـد حجـب الله الآب وجهـه، واختـبر أقصـى عذابات الجحيم على الصـليب.

والمسيحية ذات الفكـر المسـتقيم أصـرت علـى أن الكفـارة تتضمـن "بديلا" و"رضاء". وإذ أخذ يسـوع لعنـة الله علـى نفسـه، فقـد أوفى

يسوع بمطاليب عدالة الله المقدسة، وتحمل غضب الله عنا، وخلصنا من الغضب الآتي (تسالونيكي الأولى ١: ١٠).

وثمة عبارة رئيسية في الكتاب المقدس تتعلق بالكفارة وهي "عوضاً عن". فلم يمت يسوع من أجل نفسه، بل من أجلنا. وكانت آلامه نيابية، فقد كان بديلاً عنا. فقد أخذ مكاننا في الإيفاء بدور حمل الله الذي رفع خطية العالم.

وفي حين أن غضب الله كان حقيقياً، إلا أنه يجب أن نذكر أن الكفارة التي عملها يسوع، لم تكن حالة ابن يعمل ضد مشيئة الآب. ولم يكن الأمر كما لو أن المسيح كان ينتزع شعبه من يد الآب. والابن لم يقنع الآب بخلاص أولئك الذين لم يكن الآب يريد خلاصهم. بل على النقيض من ذلك، فإن كلاً من الآب والابن، كانا يريدان خلاص المختارين وعملا معاً لتحقيق ذلك. وكما قال الرسول بولس: "الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (كورنثوس الثانية ٥: ١٩).

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٣: ٢١-٢٨

رومية ٥: ١٧-١٩

أفسس ١: ٧

فيلبي ٣: ٨-٩

تيطس ٣: ١-٧

موجز

١. الكفارة تتضمن سداداً لتسوية دين.
٢. البشر لا يستطيعون عمل كفارة لخطاياهم.
٣. كمال يسوع أهّله لعمل الكفارة.
٤. استوفى المسيح لعنة العهد القديم.
٥. كفارة المسيح كانت عملاً نيابياً، كما كانت لنوال الرضا الإلهي.
٦. عمل الآب والابن في تناغم لتحقيق المصالحة معنا.

٦٢

كفارة محددة

أحياناً تُلخص التعاليم المميزة للفكر اللاهوتي لبعض الكنائس المصلحة باستخدام كلمة "فاكنع" وهي اختصار للآتي:

ف = فساد شامل

أ = اختيار غير مشروط

ك = كفارة محدودة

ن = نعمة لا تُقاوم

ع = عدم هلاك القديسين

وعلى الرغم من أن الكلمة المختصرة التي تشير إلى عدة عبارات مثل كلمة "فاكنع" عاليه تساعد على التذكر، إلا أنها من الممكن أيضاً أن تسبب ارتباكاً في التعاليم بسبب طريقة صياغتها لتتناغم مع العبارات التي توجزها. وهذا ما ينطبق بصفة خاصة على النقطة الثالثة (ن)، والتي تشير إلى "نعمة لا تُقاوم"، وكثيرون ممن يصفون أنفسهم بأنهم "كالفنيو النقاط الأربع"، على استعداد لتأكيد كل النقاط المذكورة عاليه ماعدا النقطة (ك) التي تشير إلى "كفارة محدودة". فهم يحذفون الحرف (ك) من كلمة "فاكنع" لتبقى بعد ذلك أربع نقاط فقط.

وإني أفضل عبارة "كفارة محددة" على عبارة "كفارة محدودة". وتعليم الكفارة المحددة يركز على موضوع خطة كفارة المسيح. وهي تختص بقصد الله من إرساله يسوع إلى الصليب.

وأي شخص ممن لا يتبعون عقيدة "الخلاص العام" تراه مستعدا للموافقة على أن نتيجة عمل المسيح على الصليب قاصرة على أولئك الذين يؤمنون. أي أن كفارة المسيح لا تنفع غير المؤمنين. فليس كل شخص يخلص نتيجة موت المسيح. وكل واحد يوافق أيضا على أن استحقاق موت المسيح كاف للكفارة عن خطايا البشر جميعا.

والبعض يضعون هذه النقطة على النحو التـــالي: كفـــارة المســـيح كافيـــة للجميع، لكنها فعالة فقط بالنسبة للبعـــــض.

ومع ذلك، فإن هذا لا يأخذنــــا إلى لـــب موضـــوع الكفـــارة المحـــددة. فالذين ينكرون الكفارة المحددة يصّرون على أن عمـــل المســـيح الكفـــاري كان قد خططه الله للتكفير عن خطايا كل مـــن هـــم في العـــالم. وهـــذا جعل الخلاص "ممكناً" بالنسبة لكل واحــــد، ولكنـــه لم يجعـــل الخـــلاص "مؤكداً" لأحد، ولذلك فخطته غير محدودة وغـــير محـــددة.

وما تقول به بعض الكنائس المصلحة هـــو أن كفـــارة المســـيح لم تُصمـــم أو يُقصد بها سوى المختارين فقط. فقد وضع المســـيح حياتـــه مـــن أجـــل خرافه، ومن أجل خرافه فقط. وفضلاً عن ذلك، فـــإن الكفـــارة أكـــدت الخلاص لجميع المختارين. فالكفارة كانت عمـــل فـــداء فعلـــي وليســـت مجرد احتمال. وبحسب وجهة النظر هذه لا يُوجـــد احتمـــال بـــأن خطـــة الله وقصده من الكفارة يمكـــن إحباطـــهما. فقصـــد الله مـــن الخـــلاص أكيـــد.

والمفكرون اللاهوتيـــون المصلحـــون يختلفـــون حـــول موضـــوع تقـــديم الكفارة للجنس البشري. والبعض يصرون علـــى أن تقـــديم الإنجيـــل أمـــر عام. فالصليب وفوائده مقدم لكل من يؤمـــن. وآخـــرون يصـــرون علـــى أن مفهوم شمولية العرض أمـــر مضلـــل ويتضمـــن نوعـــاً مـــن التلاعـــب بالألفـــاظ. وبـــالنظر إلى أن المختـــارين فقـــط هـــم في الواقـــع الذيـــن سيؤمنون، فالعرض في الواقـــع يقتصـــر عليـــهم فقـــط. وفـــائدة كفـــارة المسيح لم يقدمها الله إطلاقاً لغير التائبين أو غـــير المؤمنـــين.

وبالنظر إلى أن الإيمـــان والتوبـــة شـــرطان لا يســـتوفيهما إلا المختـــارون فقط، ففي النهاية إذاً لا تقدم الكفارة إلا لهـــم فقـــط.

قال يوحنا الإنجيلي: "وهو كفارة لخطايانـــا. ليـــس لخطايانـــا فقـــط بـــل لخطايـــا كـــل العـــالم أيضـــا" (يوحنـــا الأولى ٢: ٢). وهـــذا النـــص، يستشهدون به أكثر من أي نص آخـــر، كدليـــل كتـــابي ضـــد الكفـــارة المحدودة. وللوهلة الأولى يبدو وكأنه يجادل بأن موت المســـيح قصـــد بـــه كافة البشر (كل العالم). ومع ذلك، فإنه إذا أخذ بهـــذا المعـــنى فلســـوف

يثبت هذا النص أكثر مما يريد غير المصلحين أن يثبتوه. إذ أنه يصبح دليلاً من النص على عقيدة الخلاص الشامل. فإذا كان المسيح كفّر أو أوفى بمطاليب الله بشأن معاقبة خطايا البشر، يكون من الواضح إذاً أن الجميع سيخلصون. وإذا عاقب الله عن خطايا سبق أن كُفر عنها هنا سيكون غير عادل. فإذا فُهم النص على أن المقصود به هو أن خطايا البشر جميعاً تم التكفير عنها بشروط (تتوقف على الإيمان والتوبة) هنا نكون قد عدنا ثانية إلى الموضوع الأساسي بأن المختارين فقط هم الذين يستوفون الشروط.

أما الناحية الأخرى لتناول هذا النص هو أن نرى التناقض بين *خطايانا* وخطايا *كل العالم*. فمن هم الذين يشملهم ضمير المتكلم للجمع في كلمة (خطايانا)؟ إذا كان يوحنا لا يتكلم إلا عن الإخوة المؤمنين، هنا ينطبق التفسير السابق للنص. ولكن هل هذا هو المعنى الوحيد الممكن لضمير المتكلم للجمع في كلمة (خطايانا)؟

فقرات كتابية للتأمل

متى ١: ٢١
يوحنا ٣: ١٦
يوحنا ١٠: ٢٧-٣٠
يوحنا ١٧: ٩-١٢
أعمال ٢٠: ٢٨
رومية ٨: ٣٠

العهد الجديد كثيراً ما يفرق بين الخلاص الذي تمتع به اليهود، والخلاص الذي تمتع به غير اليهود. وثمة نقطة أساسية للإنجيل وهي أنه ليس قاصراً على اليهود، بل إنه امتد ليشمل شعوب العالم كله، لكل قبيلة وأمة. فالله يحب العالم بأسره، لكنه لا يخلص العالم كله، بل يخلص شعوباً في جميع أنحاء العالم. ولعل يوحنا يقول فحسب في هذا النص إن المسيح ليس كفارة لخطايانا فقط (المؤمنون اليهود)، بل للمختارين أيضاً في العالم كله.

وعلى أي حال، فإن خطة الله كانت قد أقرت قبل أن يكون هناك أي إنسان في العالم على الإطلاق. وكفارة المسيح لم تكن فكرة إلهية جاءت في وقت متأخر. ذلك أن قصد الله من موت المسيح كان قد تحدد عند تأسيس العالم.

والخطة لم تكن عملا قائما على التخمين، بل طبقا لقصد وهدف معينين، يعمل الله بسلطانه على تحقيقها. وكل الذين مات المسيح من أجلهم نالوا الفداء بعمله على الصليب.

موجز

١. الكفارة المحددة تحل محل عبارة "كفارة محدودة" في كلمـــة "فـــاكنع" والتي هي مختصر لخمس عبارات كما توضـــح ســـابقا.

٢. الكفارة المحددة تشير إلى مجال خطة الله للفداء والقصد من الصليب.

٣. كل من لا يعتنقون مذهب الخـــلاص الشـــامل يوافقـــون علـــى أن كفارة المسيح كافية للجميع، غير أن فعاليتها تقتصـــر علـــى الذيـــن يؤمنون بـــه.

٤. كفارة المسيح كانت كفـــارة حقيقيـــة للخطيـــة، وليســـت كفـــارة محتملة أو مشـــروطة.

٥. الكفارة بمعناها الواسع مقدمة للجميـــع، وبمعناهـــا الضيـــق، مقدمـــة للمختارين فقـــط.

٦. تعليم يوحنا بأن المسيح قد مات من أجل خطايا كـــل العـــالم يعـــني أن المختارين ليســـوا قـــاصرين علـــى إســـرائيل فقـــط، بـــل هـــم موجودون في جميع أرجاء العـــالم.

٦٣

إرادة حرة

أنت في هذه اللحظة تقرأ هذا الكـلام لأنـك بمحـض إرادتـك الحـرة اخترت أن تقرأه. قد تعترض قائلاً: "كلا، أنـا لم أختـر أن أقـرأه. بـل لقد كُلفت بقراءة هـذا الكتـاب. والحقيقـة هـي أني لم أكـن أريـد قراءته". لعل هذا صحيح، ومع ذلك فأنت تقـرأه. ربمـا تكـون هنـاك أشياء أخرى كنت تفضل القيام بها في هذه اللحظـة، لكنـك مـع ذلـك اخترت أن تقرأه. ولقد قررت أن تقرأه عوضاً عـن ألا تقـرأه.

ولست أعرف لماذا تقرأ هذا. غـير أني أعـرف بـالفعل أنـه لابـد وأن هناك سبباً دعاك إلى قراءته. ولو لم يكن لديـك سـبب لقراءتـه، فبكـل بساطة، ما كنت ستختار أن تقـرأه.

وكل خيار نتخذه في الحياة لابـد وأن يكـون وراءه سـبب. وقراراتنـا تقوم على أساس ما يبدو أنه صالح لنا في تلك اللحظـة، بعـد أن نكـون قد تأملنا كل الاحتمالات. ونحن نعمـل أشـياء أخـرى دون أن نشـعر بالرغبة فيها على الإطلاق. ومع ذلك فالرغبـة موجـودة، وإلا مـا كنـا قد اخترنا عملها. وهذا هـو جوهـر الإرادة الحـرة ـ أن نختـار علـى أساس رغباتنـا.

في كتابه "حرية الإرادة" حدد جوناثـان إدوارد الإرادة بأنهـا "هـي الـتي يختار العقل بواسطتها". وليس ثمة ريـب في أن البشـر يقومـون بـالفعل بخيارات، فأنا اخترت أن أكتـب، وأنـت اخـترت أن تقـرأ. ولسـوف أكتب، وها قد انهمكت في الكتابة. ومـع ذلـك حـين تضـاف فكـرة الحرية، يصبح الموضوع معقدا بدرجة فظيعة. وعلينـا أن نسـأل، حريـة في عمل ماذا؟ فحتى أكثر الكلفينيين حماسـة لـن ينكـر أن الإرادة حـرة في أن تختار "ما ترغبه". وحتى أكثر الأرمينيين غـيرة، سـيوافق علـى أن الإرادة ليست حرة في أن تختار ما لا ترغبـه.

وبالنسبة للخلاص، يصبح السؤال إذاً، ما الذي يرغب فيه البشر؟ يعتقد الأرمينيون أن البعض يرغبون التوبة كي ينالوا الخلاص. وآخرون يرغبون في الهرب من الله، وبهذا يجنون هلاكاً أبدياً. ولماذا نجد أناساً مختلفين لهم رغبات متباينة، فهذا ما لم يوضحه الأرمينيون. ويعتقد الكالفينيون أن كل البشر يرغبون في الهرب من الله ما لم يقم الروح القدس بعمل الولادة الثانية فيهم، وحتى يتم ذلك بالفعل، فالميلاد الثاني يغير رغباتنا حتى نتوب بمحض حريتنا ومن ثم نخلص.

ومن المهم أن نلاحظ أن الذين لم يُولدوا ثانية لم يجبروا إطلاقاً على ما هو ضد إرادتهم. فإرادتهم تتغير دون إذن منهم، لكنهم دائماً أحرار في أن يختاروا طبقاً لما يريدون. وهكذا نحن بالفعل أحرار في أن نعمل ما نشاء. ومع ذلك، فنحن لسنا أحرار في أن نختار أو ننتقي طبيعتنا. وليس بمقدور الإنسان أن يقول ببساطة: "من الآن فصاعداً سأختار ما هو حسن فقط" تماماً مثلما أنه لم يكن بمقدور المسيح أن يقول: "من الآن فصاعداً لن أرغب إلا في الشر فقط". هذا هو الحد الذي تتوقف عنده حريتنا.

والسقوط ترك إرادة الإنسان سليمة طالما كنا لا نزال نتمتع بالقدرة على الاختيار. لقد أظلمت عقولنا بالخطية، وقيدت رغباتنا بالدوافع الشريرة. غير أننا مازلنا قادرين على التفكير والاختيار والتصرف. ومع ذلك فإن شيئا رهيبا قد وقع لنا. لقد فقدنا كل رغبة في الله. وأفكار قلوبنا ورغباتنا ما هي إلا شريرة باستمرار. وحرية إرادتنا أصبحت لعنة. وبالنظر إلى أننا مازلنا نستطيع الاختيار طبقا لرغباتنا، فإننا نختار الخطية، وهكذا أصبحنا معرضين لدينونة الله.

قال أغسطينوس إننا مازلنا نتمتع بإرادة حرة، لكننا فقدنا حريتنا. فالحرية الرائعة التي يتحدث عنها الكتاب المقدس، هي الحرية أو القوة على اختيار المسيح ربا وسيدا لنا. غير أنه إلى أن يغير الروح القدس قلوبنا، لن تكون لدينا رغبة في المسيح. وبدون تلك الرغبة لن نختاره إطلاقا. ويجب أن يوقظ الله نفوسنا ويعطينا الرغبة في المسيح قبل أن نميل على الإطلاق إلى اختياره.

قال جوناثان إدوارد إننا كبشر ساقطين، نحتفظ "بحريتنا الطبيعية" (القدرة على العمل طبقاً لرغباتنا) لكننا فقدنا "الحرية الأخلاقية". والحرية الأخلاقية تتضمن ميلها ورغبتها في البر. إن هذا الميل هو ما فقدناه بسقوطنا في الخطية.

فقرات كتابية للتأمل

تثنية ٣٠: ١٩،٢٠

يوحنا ٦: ٤٤،٦٥

يوحنا ٨: ٣٤-٣٦

يوحنا ١٥: ٥

رومية ٨: ٥-٨

يعقوب ١: ١٣-١٥

وكل خيار أعمله يحدده شيء ما. هناك سبب له، ورغبة وراءه. وهذا يبدو كمذهب الجبرية. لا، إطلاقاً. ذلك أن الجبرية تعلم أن أعمالنا خاضعة تماماً لشيء ما خارج عنا، يجعلنا نعمل ما لا نريد عمله. وهذا إجبار، وهو يتعارض مع الحرية. وكيف يمكن أن تتحدد خياراتنا دون إجبار؟ لأنها تتحدد بواسطة شيء في داخلنا، تتحدد بما نكون وبما نرغب. تُحدد بأنفسنا. وهذه هي حرية الإرادة التي هي جوهر الحرية ذاتها.

ولا ريب أنه كي نختار المسيح لابد وأن يغير الله قلوبنا. وهذا هو على وجه الدقة ما يعمله. فهو يغير لنا قلوبنا، ويعطينا رغبة فيه ما كانت تتوافر لنا دون ذلك. ثم نختاره بدافع من الرغبة التي في داخلنا. نختاره بكل حرية، لأننا نريد أن نختاره. وهذه هي روعة نعمته.

موجز

١. كل اختيار نعمله وراءه سبب.
٢. نختار دائما طبقا لميلنا الأقوى أثناء لحظة الاختيار.
٣. الإرادة هي ملكة الاختيار.
٤. البشر الساقطون لهم إرادة حرة لكنها تفتقر إلى الحرية. فلنا حرية طبيعية، ولكن ليس لدينا حرية أخلاقية.
٥. الحرية هي حرية الإرادة.
٦. في الولادة الثانية، يغير الله ميل قلوبنا، ويزرع فينا الرغبة فيه.

٦٤

الإيمان

كثيراً ما تُسمى المسيحية ديانة. لكن الأصح هو أن تُسمى "إيماناً". فنحن كثيراً ما نتحدث عن "الإيمان" المسيحي. وقد دُعي "إيماناً" لأن هناك كماً من المعرفة يؤكدها أو يؤمن بها معتنقوه. كما أنها دُعيت إيماناً لأن فضيلة الإيمان تُعد شيئاً مركزياً لفهمنا عقيدة الفداء.

ماذا يعني الإيمان؟ كثيراً ما يُفهم الإيمان في ثقافتنا خطأ على أنه إيمان أعمى بشيء غير معقول. ومع ذلك فإن وصف الإيمان المسيحي بأنه "إيمان أعمى" ليس أمراً مهيناً للمسيحيين فحسب، بل ويسبب غضب الله.

فحين يتكلم الكتاب المقدس عن العمى، فهو يستخدم هذه الصورة البلاغية للإشارة بها إلى أناس، بسبب خطيتهم، يسيرون في الظلمة، والمسيحية تخرج الناس من الظلمة، ولا تدفعهم إليها. والإيمان هو ترياق العمى، وليس سببا له.

و"الإيمان" في أساسه يعني "الثقة". وأن تثق في الله لا يعني إيمانا غير معقول. ولقد أظهر الله نفسه على أنه جدير تماما بالثقة. وهو يقدم لنا سببا كافيا للوثوق به. وهو يثبت أنه هو نفسه أمين وجدير بثقتنا.

وهناك فرق شاسع بين الإيمان والمصداقية. وأن تكون ساذجا معناه أن تؤمن بشيء لأسباب غير سليمة. وهذه هي المادة التي تعمل منها الخرافة فنرده عليها. أما الإيمان فيقوم على أساس تفكير متماسك ومتناغم، وعلى أساس دليل صحيح مبني على الملاحظة والاختبار. وقال بطرس في هذا الخصوص: "لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين عظمته" (بطرس الثانية ١: ١٦).

والمسيحية لا تقوم على أساس أساطير وخرافات، بل على شهادة أولئك الذين رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم. وصحة الإنجيل تقوم على

أحداث تاريخية. وإذا كانت رواية هذه الأحداث غير جديرة بالثقة، هنا يكون باطلاً في الواقع إيماننا. ولا يطلب الله منا أن نؤمن بأي شيء على أساس الأساطير.

ويقدم لنا سفر العبرانيين تعريفاً للإيمان: "وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى" (عبرانيين ١١: ١). والإيمان يتضمن جوهر رجائنا للمستقبل. وهذا ببساطة يعني أننا نثق في الله بالنسبة للمستقبل، وهذا قائم على أساس إيماننا بما حققه لنا في الماضي.

وأن نؤمن بأن الله سيستمر جديرا بالثقة، فهذا ليس إيمانا بلا مبرر. فتوجد أسباب كثيرة للإيمان بأن الله سيكون أمينا لمواعيده في المستقبل كما كان في الماضي. وهناك سبب، وسبب قوي للرجاء الذي فينا. والإيمان الذي هو الإيقان بأمور لا ترى، يتضمن إشارة أولية، لكنها ليست قاصرة، إلى المستقبل.

فقرات كتابية للتأمل
رومية ١: ١٦-٣٢
رومية ٥: ١-١١
رومية ١٠: ١٤-١٧
غلاطية ٣: ١-١٤
أفسس ٢: ٨-٩
يعقوب ٢: ١٤-٢٦

وما من أحد لديه كرة سحرية ناجحة. وكلنا نسير إلى المستقبل بالإيمان لا بالعيان. قد نضع خططا ونقيم مشروعات، غير أنه حتى أفضل بصيرة لدينا تقوم على أساس تخميناتنا البارعة. وما من أحد منا لديه معرفة اختبارية عن الغد. نحن نرى الحاضر وبوسعنا تذكر الماضي. بل إننا خبراء في الإدراك المتأخر. والدليل الراسخ الوحيد المتوفر لنا بالنسبة لمستقبلنا مأخوذ من مواعيد الله. وهنا يقدم لنا الإيمان دليلا على أمور لا ترى. فنحن نثق في الله بالنسبة للغد.

كما أننا نثق أيضا، أو نؤمن بأن الله موجود. وعلى الرغم من أن الله نفسه لا يرى، إلا أن الكتاب المقدس يوضح بجلاء أن الله الذي لا يرى جعل معرفته ظاهرة من خلال الأشياء التي ترى (رومية ١: ٢٠). وعلى الرغم من أن الله غير مرئي لنا، إلا أننا نؤمن بوجوده لأنه أعلن عن ذاته بكل وضوح في خليقته وفي التاريخ.

والإيمان يتضمن الإيمان بالله. ومع ذلك فإن هذه النوعية من الإيمان ليست على وجه الخصوص جديرة بالثناء. وكتب يعقوب في هذا الشأن: "أنت تؤمن أن الله واحد. حسنا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يعقوب ٢: ١٩).

هنا تنساب السخرية من قلم يعقـــوب. فالإيمـــان بوجـــود الله فحســـب، يؤهلنا كي نكون شياطين. فأن تؤمن بالله هـــذا شـــيء، أمـــا أن تصـــدق الله فهذا شيء آخر. أن تؤمن بالله، وأن تثق فيـــه بالنســـبة لحياتنـــا ذاتمـــا، هو جوهر الإيمان المســـــيحي.

موجز

١. المسيحية إيمان لأنها تقوم على كم من المعرفة التي أعلنها الله.
٢. الإيمان ليس قفزة عمياء إلى الظلام، بل هو ثقـــة في الله تنقلنـــا مـــن الظلمة إلى النـــور.
٣. الإيمان بسيط، لكنه ليس مبسطا إلى درجة السذاجة.
٤. الإيمان ليس سرعة التصديق. بل يقوم على سبب راسخ ودليل تاريخي.
٥. الإيمان يوفر لنا جوهر رجائنا المستقبلي.
٦. الإيمان يتضمن الثقة بما لا يرى.
٧. الإيمان يعني أكثر من مجرد الإيمان بالله، بل يعني تصديق الله.

٦٥

الإيمان المخلِّص

قال يسوع ذات مرة إنه ما لم يكن لنا إيمان طفل لن ندخل بأي حال ملكوت السموات. فالإيمان الذي يشبه إيمان الطفل شرط مسبق لعضوية ملكوت الله. ومع ذلك هناك فرق بين الإيمان الذي يشبه إيمان الطفل، والإيمان الصبياني. والكتاب المقدس يدعونا إلى أن نكون أطفالاً في الشر، بل ناضجين في الفهم. والإيمان المخلص بسيط، ولكنه لا يعني السذاجة.

ومادام الكتاب المقدس يعلم أن التبرير يكون بالإيمان وحده، وأن الإيمان شرط ضروري للخلاص، فلابد أن نفهم مما يتكون الإيمان المخلص. ويوضح يعقوب بجلاء ما هو الإيمان الذي لا يخلص بقوله: "ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلصه" (يعقوب ٢: ١٤). وهنا يميز يعقوب بين إعلان الإيمان وحقيقة الإيمان. فبمقدور أي شخص أن يقول إن لديه إيمانا. ومع أنه من المؤكد أننا دعينا لنعلن إيماننا إلا أن مجرد إعلان الإيمان في حد ذاته لا يخلص أحدا. ويوضح الكتاب المقدس أنه باستطاعة الناس أن يكرموا المسيح بشفاههم فيما تكون قلوبهم مبتعدة عنه. والإيمان الكلامي دون إظهار ثمر الإيمان، ليس بالإيمان المخلص.

ويواصل يعقوب كلامه قائلا: "هكذا الإيمان أيضا إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته" (يعقوب ٢: ١٧). والإيمان الميت وصفه يعقوب بأنه لا يفيد شيئا. فلا طائل من ورائه ولا جدوى منه ذلك أنه لا يبرر أحدا.

حين أعلن لوثر والمصلحون أن التبرير إنما بالإيمان وحده، أدركوا أنه من الضروري أن يقدموا تعريفا صحيحا للإيمان المخلص. وقد عرفوا الإيمان المخلص بأنه يتضمن العناصر المكونة الأساسية. فالإيمان المخلص يتكون من معلومات وموافقة عقلية وثقة شخصية.

والإيمان المخلص يتضمن قناعة. ونحن لا نتبرر بالإيمان بأي شيء فحسب. فقد قال البعض: "لا يهم ما تؤمن به طالما أنك مخلص". وهذا القول يتعارض بصفة أساسية مع تعليم الكتاب المقدس. ذلك أن الكتاب المقدس يقول إن ما نؤمن به لهو أمر جوهري للغاية. والتبرير ليس بالإخلاص فقط. فقد نكون مخطئين بإخلاص. والتعليم الصحيح، على الأقل بالنسبة للحقائق الأساسية للإنجيل، هو مقوم ضروري للإيمان المخلص. نحن نؤمن بالإنجيل، وبشخص المسيح وعمله. وهذا أمر متمم للإيمان المخلص. وإذا كان تعليمنا هرطوقياً في الأساسيات فلن نخلص. وعلى سبيل المثال، إذا قلنا إننا نؤمن بالمسيح ولكننا أنكرنا لاهوته، فإننا لا نمتلك الإيمان الذي يبرر.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ١: ١٦-٣٢

رومية ٥: ١-١١

رومية ١٠: ١٤-١٧

غلاطية ٣: ١-١٤

أفسس ٢: ٨-٩

يعقوب ٢: ١٤-٢٦

وعلى الرغم من أنه من الضروري أن يكون لنا فهم صحيح بحقائق الإنجيل الأساسية كي نخلص، إلا أن الفهم الصحيح لها ليس كافياً لنخلص. فالطالب يمكن أن يحصل على درجة ممتاز في امتحان الفكر اللاهوتي المسيحي، ويفهم الحقائق المسيحية، دون أن يؤكد هو نفسه صحتها. والإيمان المخلص يشمل موافقة العقل على صحة الإنجيل.

وحتى لو فهم الناس الإنجيل وأكدوا صحته أو سلموا بها، فإنهم قد يفتقرون مع ذلك إلى الإيمان المخلص. فالشيطان يعرف أن الإنجيل صادق، لكنه يكرهه بكل ذرة في كيانه. فالإيمان المخلص يتضمن عنصر الثقة. ويتضمن اتكالا واعتمادا شخصيا على الإنجيل. فبوسعنا الإيمان بأن المقعد سيتحمل ثقلنا، ولكننا لا نظهر ثقة شخصية في المقعد حتى نجلس عليه.

والثقة تتضمن الإرادة كما تتضمن العقل. وأن يكون لديك إيمان مخلص، فهذا يتطلب أن نحب صدق الإنجيل ونرغب في أن نعيشه في حياتنا. ونتقبل بقلوبنا حلاوة المسيح وجماله.

ومن الناحية الفنية، يمكن للثقة الشخصية أن تتحول إلى نقطة فرعية أو تخطيط آخر في ظل موافقة عقلية. فالشيطان قد يوافق على صحة حقائق معينة عن يسوع، لكنه لا يوافق على الحقائق كلها. فهو لا يوافق على جمال المسيح ومدى ما يتمتع به من قبول. ولكن سواء

ميزنا أو جمعنا بين الموافقة العقلية والثقة الشخصية، تظـــل الحقيقــة قائمــة بان الإيمان المخلص يتطلب ما أسماه لوثـــر إيمانـــاً حيـــاً ــ ثقـــة حيويـــة وشخصية في المسيح باعتباره مخلصاً وربـــــاً.

موجز

١. الإيمان المخلص مثل إيمان الأطفال، لكنه ليس صبيانياً.
٢. الشخص لا يتبرر بمجرد القول إن لديه إيمان.
٣. يتطلب الإيمان المخلص موافقة ذهنية على صدق الإنجيل.
٤. الإيمان المخلص يتضمن ثقة شخصية في المسيح وحبه.

٦٦

التبرير بالإيمان

قال مارتن لوثر إن التبرير بالإيمان وحده هو الشيء الذي تقوم عليه الكنيسة أو تسقط. وهذا التعليم الأساسي الذي يقول به الإصلاح البروتستانتي نُظر إليه على أنه ليس سوى ميدان القتال من أجل الإنجيل نفسه.

ويمكن تعريف التبرير بأنه العمل الذي بواسطته يُصحح موقف الخطاة الظالمين أمام إله عادل وقدوس. والبر هو أسمى شيء يحتاج إليه الناس الجائرون. والافتقار إلى البر هذا هو الشيء الذي استوفاه المسيح نيابة عن الخاطئ المؤمن. والتبرير بالإيمان وحده، يعني التبرير ببر أو استحقاق المسيح وحده، وليس بصلاحنا أو بأعمالنا الحسنة.

وموضوع التبرير يركز على موضوع الاستحقاق والنعمة. فالتبرير بالإيمان معناه أن الأعمال التي نعملها ليست صالحة بما فيه الكفاية لتستحق التبرير، وكما قال الرسول بولس: "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" (رومية ٣: ٢٠).

والتبرير هو تصحيح قضائي بالانتساب، بمعنى أننا نُعد أو نُحسب أبراراً حين يُنسب بر المسيح إلى حسابنا. والشرط اللازم لهذا هو الإيمان.

ويؤكد الفكر اللاهوتي البروتستانتي أن الإيمان هو السبب المفضي إلى التبرير، بمعنى أن الإيمان هو الوسيلة التي بواسطتها يُعزى إلينا استحقاق المسيح. ويعلم الفكر اللاهوتي الكاثوليكي أن المعمودية هي السبب الرئيسي المؤدي إلى التبرير وأن سر التوبة، هو السبب الثاني لذلك. (الفكر اللاهوتي الكاثوليكي ينظر إلى التوبة على أنها اللوح الثاني للتبرير بالنسبة لأولئك الذين حطموا سفينة نفوسهم – الذين فقدوا نعمة التبرير لارتكابهم خطية مميتة). وسر التوبة يتطلب أعمال ترضيه يحقق بها البشر استحقاقاً مناسباً للتبرير. والرأي الذي يقوم به الكاثوليك يؤكد على أن التبرير إنما يكون بالإيمان، ولكنهم ينكرون

أن ذلك يتم بالإيمان وحده، ويضيفون الأعمال الصالحة كشرط ضروري.

والإيمان الذي يبرر هو إيمان حي، وليس إعلاناً عقيماً للإيمان. والإيمان هو ثقة شخصية تتكل على المسيح وحده من أجل الخلاص. والإيمان المخلص هو أيضاً إيمان التائب الذي يتخذ من المسيح مخلصاً ورباً.

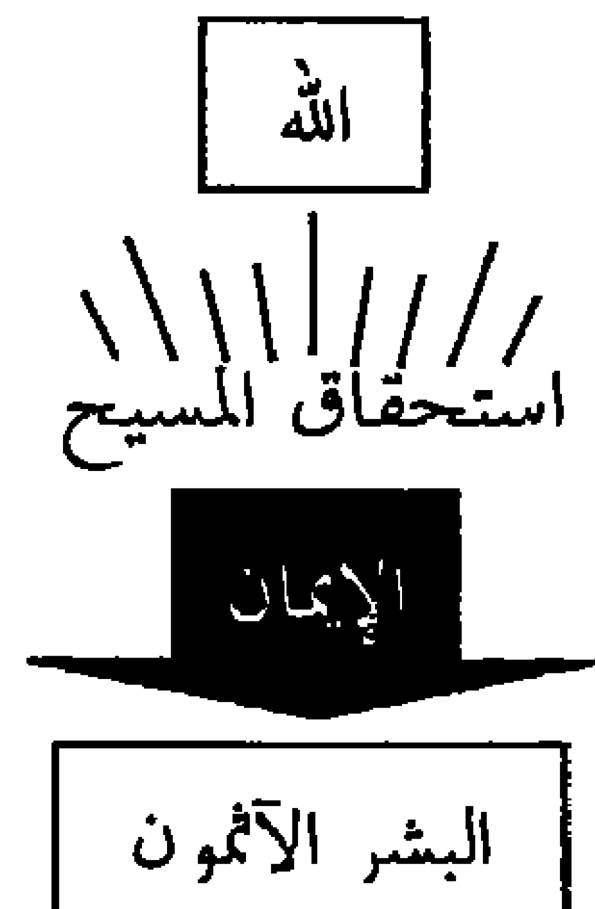
ويقول الكتاب المقدس إننا لا نتبرر بأعمالنا الصالحة، ولكن بما يُضاف إلينا نتيجة الإيمان، وأقصد بهذا بر المسيح. وفي أية تركيبة يُضاف شيء جديد إلى شيء أساسي. وبرنا يُعد تركيبة لأن بر المسيح أُضيف إلينا. وتبريرنا إنما يرتكز على هذه الإضافة. فالله يحول لنا، بالإيمان، بر المسيح. وهذا ليس "خيالاً شرعياً"، بل لأن الله يضيف إلى حسابنا استحقاق المسيح الحقيقي، والذي ننتمي إليه الآن. وهذه إضافة حقيقية.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٣: ٢١-٢٨
رومية ٥: ١٢-١٩
٢كورنثوس ٥: ١٦-٢١
غلاطية ٢: ١١-٢١
أفسس ٢: ١-١٠
فيليبي ٣: ٧-١١

موجز

١. التبرير هو عمل يقوم به الله بواسطته يعلن أن الخطاة الظالمين أصبحوا أبراراً بعد أن يُنسب إليهم بر المسيح.
٢. ما من أحد يكتسب التبرير بالأعمال الصالحة.
٣. الإيمان شرط أساسي لتلقي استحقاقات المسيح وكأنها لنا.
٤. التبرير يتطلب إيماناً حياً وحقيقياً، وليس مجرد إيمان كلامي.



٦٧

الإيمان والأعمال

يفترض كثيرون بأنهم بمحاولتهم أن يعيشوا عيشة صالحة، فإنهم بهذا قد عملوا كل ما هو ضروري للوصول إلى السماء. وهم يقيمون ثقتهم على الأعمال الصالحة التي عملوها للإيفاء بمطاليب العدل الإلهي.

وهذا رجاء خطير. فناموس الله يطالب بالكمال. وبالنظر إلى أننا غير كاملين، فمن ثم نفتقر إلى الصلاح اللازم لدخول السماء. ولذا فإن الصلاح لا يمكن أن يتحقق نتيجة الحياة الصالحة. ولا يمكننا أن نحصل عليه إلا بالاتكال على بر المسيح. فاستحقاقه كامل ومتاح لنا بالإيمان.

والاعتقاد بأننا نتبرر بأعمالنا الصالحة بمعزل عن الإيمان معناه تبني هرطقة الناموسية. وأن نعتقد بأننا نتبرر بنوعية من الإيمان لا يتولد عنه أعمال صالحة هو تبني هرطقة اللاناموسية.

وعلاقة الإيمان والأعمال الصالحة هي علاقة يمكن تمييزها ولكن لا يمكن فصلها إطلاقا. وعلى الرغم من أن أعمالنا الصالحة لا تضيف أي استحقاق لإيماننا أمام الله، وعلى الرغم من أن الشرط الوحيد لتبريرنا هو إيماننا بالمسيح، فإذا لم تتأت الأعمال الصالحة نتيجة إيماننا، فمن الجلي أن في هذا دلالة واضحة على أننا لا نمتلك الإيمان الذي يبرر. وصيغة الكنائس المصلحة هي: "نحن نتبرر بالإيمان فقط، ولكن ليس بالإيمان الذي يقف وحده". فالتبرير الحقيقي يتأتى دائما في عملية التقديس. فإذا كان هناك تبرير، فلابد وأن يتبعه تقديس. وما لم يتبعه تقديس، فمن المؤكد أن التبرير لم يكن موجودا بالفعل. ولكن هذا لا يعني أن التبرير يعتمد على التقديس أو يقوم عليه. فالتبرير لا يعتمد إلا على الإيمان الحقيقي، والذي ستتولد عنه بكل تأكيد أعمال الطاعة.

وحين أعلن يعقوب أن الإيمان بدون أعمال ميت، أكد أن مثل هذا "الإيمان" لا يمكنه أن يبرر أحدا لأنه ليس حيا. فالإيمان الحي يولد أعمالا

صالحة، لكن هذه الأعمال الصالحة ليست أساس التبرير. فالاستحقاق الذي أحرزه المسيح هو فقط الذي يستطيع أن يبرر الخاطئ.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٣: ٩-٤: ٨
فيلبي ٢: ١٢،١٣
يعقوب ٢: ١٨-٢٤
٢بطرس ١: ٥-١١
١يوحنا ٢: ٣-٦
١يوحنا ٤: ٧-١١

إنها لغلطة شنيعة، بل هي في الواقع شكل جديد من أشكال هرطقة اللاناموسية، أن تقول إنه يمكن للإنسان أن يتبرر بقبوله يسوع كمخلص وليس كرب. فالإيمان الصادق يقبل المسيح مخلصاً ورباً. وأن تعتمد على المسيح فقط من أجل الخلاص معناه الاعتراف باعتمادك التام عليه، والتوبة على خطيتك. والتوبة عن الخطية هي الخضوع لسلطان المسيح علينا. وإنكار ربوبيته يعني طلب التبرير بإيمان غير تائب، وهذا لا يُعد إيماناً.

وعلى الرغم من أن أعمالنا الصالحة لا تستحق الخلاص، إلا أنها الأساس الذي بمقتضاه وعد الله أن يوزع المكافآت في السماء. ولكن دخولنا إلى ملكوت الله لا يكون إلا بالإيمان فقط. ومكافآتنا في السماء ستكون طبقا لأعمالنا الصالحة، والتي كما يقول أغسطينوس، هي تتويج الله بكرمه لعطاياه هو.

موجز

١. ما من أحد يستطيع أن يبرر بالأعمال الصالحة. فنحن لن نتبرر إلا بالإيمان بالمسيح.
٢. الإيمان والأعمال الصالحة يجب التمييز بينهما، ولكن لا يجب الفصل بينهما إطلاقا، فالإيمان الحقيقي تتولد عنه دائما أعمال صالحة.
٣. التبرير بالإيمان فقط، ولكن ليس بالإيمان الذي بلا ثمر.
٤. الإيمان الميت لا يمكن أن يبرر.
٥. الإيمان بالمسيح معناه الثقة فيه كمخلص، والخضوع لسلطانه كرب.
٦. نكافأ في السماء طبقا لأعمالنا الصالحة، ولو أن هذه المكافآت هي من أعمال النعمة.

الأعمال = تبرير	خطأ
إيمان + أعمال = تبرير	خطأ
الإيمان = تبرير – أعمال	خطأ
الإيمان = تبرير + أعمال	صواب

٦٨

التوبة

رسالة المعمدان التي استهل بها خدمته – والذي جاء ليعلن مقدم يسوع – كانت "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات". وكانت هذه الدعوة إلى التوبة تُعد بمثابة مناشدة ملحة للخطاة. وما من أحد يرفض التوبة يستطيع الدخول إلى ملكوت الله. فالتوبة شرط مسبق، وهي حالة ضرورية للخلاص.

و"التوبة" في الكتاب المقدس تعني "أن يجتاز الشخص تغييرا في الذهن". وهذا التغيير ليس مجرد تحول عن آراء صغيرة، بل هو تغيير في اتجاه الحياة برمته. وهذا يتطلب تحولا جذريا "من" الخطية "*إلى*" المسيح.

والتوبة ليست سبباً للتجديد أو الميلاد الثاني، بل هي نتيجة أو ثمر الولادة الثانية. وعلى الرغم من أن التوبة تبدأ بالولادة الجديدة، إلا أنها موقف أو عمل يجب أن يتكرر طوال حياة الشخص المسيحي. وإذ نستمر في الوقوع في الخطية، فقد دُعينا إلى أن نتوب فيما يبكتنا الروح القدس.

والمفكرون اللاهوتيون يفرقون بين نوعيتين من التوبة. الأولى تُسمى التوبة خوفاً من العقوبة. وهذه نوعية زائفة من التوبة. وهي تتضمن الأسف الناجم عن الخوف من عقاب أو فقدان بركة. وكل أب شاهد مثل هذه التوبة في الطفل حين يُضبط ويديه في علبة الحلوى. وهذا الطفل إذ يخشى العقاب يصرخ قائلاً: "إني آسف، أرجوك ألا تضربني". هذه الالتماسات مع ما يصاحبها من دموع التماسيح لا تكون في العادة علامات على الندم الحقيقي لارتكاب الخطأ. وهذه هي نوعية التوبة التي أظهرها عيسو (تكوين ٢٧: ٣٠-٤٦). وقد كان آسفاً ليس لأنه أخطأ، بل لأنه فقد حق البكورية. فالتوبة خوفاً من العقاب هي التوبة التي تحفزها محاولة الحصول على تذكرة الخروج من جهنم أو لتجنب العقوبة.

فقرات كتابية للتأمل

حزقيال ١٨: ٣٠-٣٢

لوقا ٢٤: ٤٦،٤٧

أعمال ٢٠: ١٧-٢١

رومية ٢: ٤

٢كورنثوس ٧: ٨-١٢

ومن ناحية أخرى، نجد أن الندم الحقيقي يمثل توبة صادقة حقيقية. وهي تتضمن ندماً عميقاً للإساءة إلى الله. والشخص ذو القلب المنسحق يعترف صراحة وبشكل تام بخطيته، دون أية محاولة لإيجاد عذر لها، أو تبريرها. وهذا الاعتراف بالخطية تصاحبه رغبة لعمل التعويض اللازم حين يكون ذلك ممكناً، مع إصرار على البعد عن الخطية. هذا هو روح التوبة الذي عبر عنه داود النبي في المزمور ٥١ "قلباً نقياً اخلُق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي ... ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مزمور ٥١: ١٠،١٧).

وحين تكون التوبة لله بروح قلب منسحق حقاً، فإن الله يعدنا بالمغفرة ويعيدنا إلى شركة معه: "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (يوحنا الأولى ١: ٩).

موجز

١. التوبة هي ندم ضروري من القلب من أجل الخلاص.

٢. التوبة من ثمار الولادة الثانية.

٣. الندم خشية العقاب يُعد توبة زائفة دافعها الخوف.

٤. القلب المنسحق يُعد توبة صادقة يغفرها ندم صادر عن التقوى.

٥. التوبة الحقيقية تتضمن اعترافاً كاملاً وتعويضاً، وإصراراً على البعد عن الخطية.

٦. الله يعد بالمغفرة وإعادة الشركة مع كل الذين يتوبون توبة صادقة.

٦٩

الاستحقاق والنعمة

موضوع الاستحقاق والنعمة نجده في لب الجدل التاريخي بين الفكر اللاهوتي لكنيسة روما الكاثوليكية، والكنيسة البروتستانتية. وثمة إعلان رئيسي للكنائس المصلحة جاء به ــ الخلاص يتحقق بنعمة الله فقط. فالمؤمنون لا يأتون بشيء يجعل لهم استحقاقاً أمام كرسي عدالة الله، وإنما يتكلون على رحمة الله ونعمته فقط.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٥: ١-٨
رومية ٤: ١-٨
رومية ٥: ١-٥
٢كورنثوس ٥: ١٧-١٩
أفسس ٢: ٨-٩
تيطس ٣: ٤-٧

وقد عرف الاستحقاق بأنه ما يكتسب أو يستحق. والعدل يقضي بأن يعطى الاستحقاق لمن يستحق، وهو ينجم عن شيء عمله المستحق. وما لم يعط الحق لمن يستحقه، فهذا يعد ظلماً.

والفكر اللاهوتي للكنيسة الكاثوليكية يتحدث عن الاستحقاق بثلاث طرق مختلفة. فهو يتحدث عن استحقاق في محله، وهو أهل للتقدير بحيث يفرض التزاماً بمكافأته. كما أنه يتحدث عن استحقاق مناسب، وهو استحقاق ــ على الرغم من أنه لا يصل إلى مكانة الاستحقاق الذي في محله ــ إلا أنه مع ذلك "مناسب لأن يعطي الله مكافأة عنه". والاستحقاق المناسب يتم الحصول عليه بأداء أعمال صالحة إلى جانب التوبة. وهناك نوع ثالث من الاستحقاق، وهو الاستحقاق مقابل أعمال أزيد مما هو مطلوب، وهو استحقاق لأداء أعمال فوق ما هو واجب. إنه الاستحقاق الزائد الذي يحصل عليه القديسون. وهذا الاستحقاق مودع في خزينة الاستحقاق التي تستطيع أن تسحب الكنيسة منه لتستخدمه لحساب أولئك الذين يفتقرون إلى استحقاق كاف للتقدم من المطهر إلى السماء.

والفكر اللاهوتي البروتستانتي ينكر أشكال الاستحقاق الثلاثة هذه جميعاً بل "ويعترض" عليها، معلناً أن الاستحقاق الوحيد الذي لنا هو استحقاق المسيح. فاستحقاق المسيح يأتينا بالنعمة بواسطة الإيمان. والنعمة هي فضل الله الذي "لا نستحقه". إنما عمل أو موقف من الله تجاهنا. والنعمة ليست مادة يمكن أن تسكن في نفوسنا. ونحن ننمو في

النعمة، ليس بقياس كمي لمادة ما موجودة فينا، بل بمساعدة رحيمة من الروح القدس الذي يسكن فينا، ويعاملنا بنعمته. ووسائل النعمة التي يعطيها الله كي تساعدنا في الحياة المسيحية تتضمن: الكتاب المقدس، الفرائض المقدسة، الصلاة، الشركة، وتربية الكنيسة.

موجز

١. خلاصنا يتم بالنعمة وحدها sola gratia.

٢. ليس لنا استحقاق في حد ذاتنا بواسطته يلتزم الله بخلاصنا.

٣. الفكر اللاهوتي للكنيسة الكاثوليكية يميز بين الاستحقاق الذي في محله، والاستحقاق المناسب، والاستحقاق نتيجة النوافل. وهذه النوعيات الثلاث ترفضها البروتستانتية.

٤. النعمة هي فضل غير مستحق أو رحمة من الله يعطيها لنا.

٧٠

عدم هلاك القديسين

معظمنا يعرف أناساً أعلنوا إيمانهم بالمسيح، بل وربما أظهروا هذا الإيمان بقوة، وذلك بانخراطهم بعمق في حياة الكنيسة وخدمتها، ولكنهم سرعان ما تخلوا في وقت لاحق عن هذا الإيمان وأصبحوا من المرتدين الروحيين. ومثل هذه الحالة دائماً ما تثير السؤال: هل يمكن للشخص الذي حصل مرة على الخلاص أن يفقده بعد ذلك؟ وهل الردة عن الإيمان تشكل خطراً واضحاً وماثلاً بالنسبة للمؤمن؟

تعلم الكنيسة الكاثوليكية أنه بوسع الناس أن يفقدوا خلاصهم، وهناك من حدث معهم ذلك بالفعل. فإذا ارتكب الشخص خطية مميتة، فإن هذه الخطية تقتل نعمة التبرير الساكنة في روحه. وإذا مات قبل أن يتم إعادته إلى حالة النعمة بواسطة سر التوبة، فلسوف يذهب إلى جهنم.

وهناك كثيرون من البروتستانت يعتقدون أيضا أنه من الممكن للإنسان أن يفقد خلاصه. والتحذيرات الواردة في عبرانيين ٦، وقلق بولس من أن يصبح "مرفوضا" (كورنثوس الأولى ٩: ٢٧)، وكذلك الأمثلة التي نجدها بالنسبة للملك شاول وآخرين، أدت بالبعض إلى أن يستنتجوا أنه يمكن للناس أن يسقطوا بشكل تام ونهائي من النعمة. ومن ناحية أخرى، يعلم الفكر اللاهوتي للكنائس المصلحة عقيدة عدم هلاك القديسين، وهذه العقيدة يطلق عليها أحيانا "الأمان الأبدي". وهذا التعليم يقول في جوهره إنه إذا كان لديك إيمان خلاصي، فلن نفقده إطلاقا، أما إذا فقدته، فهذا دليل على أنه لم يسبق أن كان لك هذا الإيمان إطلاقا. وكما يقول القديس يوحنا: "منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا" (يوحنا الأولى ٢: ١٩).

ونحن نعرف أنه من الممكن أن يفتتن بعض الناس بعناصر معينة من المسيحية دون أن يقبلوا المسيح نفسه أبدا. وقد ينجذب شاب إلى

نادي للشباب لديه برنامج ممتع راق له. وهـذا الشـخص قـد "يـهتدي" إلى البرنامج دون أن يهتدي إلى المسيح. ومثل هذا الشـخص قـد يكـون على غرار أولئك الذين صورهم مثل الـزارع:

"خرج الزارع ليزرع زرعه. وفيما هو يزرع سقط بعـض علـى الطريـق فانداس وأكلته طيور السماء. وسقط آخـر علـى الصخـر فلمـا نبـت جفّ لأنه لم تكن له رطوبة. وسقط آخر في وسط الشـوك. فنبـت معـه الشوك وخنقه. وسقط آخر في الأرض الصالحة فلمـا نبـت صنـع ثمـراً مئة ضعف" (لوقـا ٨: ٥-٨).

وربما يشير المثل إلى أولئك الذين آمنوا في البداية، ولكنـهم سـقطوا بعـد ذلك، أو لعله يعني أن أولئك الذيـن "آمنـوا" كـان إيمـانهم زائفـاً، أو خادعاً، كما يقول لاهوت الكنائس المصلحـة. والبـذار الـتي سـقطت على الأرض الجيدة هي التي أعطت ثمار الطاعـة. وقـد وصـف يسـوع هؤلاء بأنهم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونهـا "في قلـب جيـد صـالح" (لوقا ٨: ١٥). فإيمانهم نبع من قلب صـادق متجـدد.

وتعليم عدم هلاك المؤمن لا يقوم على أسـاس قدرتنـا علـى المثـابرة، حتى وإن كنا قد تجددنا. بل يقـوم بـالأحرى علـى وعـد الله بأنـه سيحفظنا. وفي هذا الخصوص كتب الرسول بولـس إلى أهـل فيلبـي: "واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عمـلاً صالحـاً يكمـل إلى يـوم يسوع المسيح" (فيلبي ١: ٦). فالمسيحيون يثـابرون بالنعمـة، وبالنعمـة فقط. فالله يكمل ما بدأه. وهو يتأكد مـن أن مقـاصده في الاختيـار لم تُحبـط.

والسلسلة الذهبية الواردة في رومية ٨، تقـدم شـهادة أخـرى علـى هـذا الرجاء: "والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا. والذيـن دعـاهم فـهؤلاء بررهم أيضا. والذين بررهـم فـهؤلاء مجدهـم أيضـا" (روميـة ٨: ٣٠). ويواصل الرسول بولس كلامه ليعلـن أنـه ليـس هنـاك أمـور "تقـدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنـا (روميـة ٨: ٣٩).

ولدينا الأمان لأن الخلاص هو من الـرب ونحـن صنعتـه. وهـو يعطـي الروح القدس لكل مؤمن كوعد بأنه سيكمل مـا بـدأه. كذلـك ختـم

كل مؤمن بالروح القدس. وقد علّمنا بعلامة لا تُمحى وأعطى عربونه الشخصي الذي يضمن أنه سيتمم صفقته.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ٦: ٣٥-٤٠

رومية ٨: ٣١-٣٩

فيلبي ١: ٦

٢تيموثاوس ٢: ١٤-١٩

عبرانيين ٩: ١١-١٥

وثمة أساس أخير للثقة نجده في عمل المسيح كرئيس كهنة، حيث يتشفع من أجلنا. وكما صلى يسوع من أجل استرداد بطرس (وليس من أجل يهوذا)، هكذا يصلي من أجل عودتنا إلى الإيمان حين نتعثر ونسقط. وقد نسقط لفترة ما، ولكننا لن نسقط تماماً أو بصفة نهائية. لقد صلى يسوع في العلية قائلاً: "حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب" (يوحنا ١٧: ١٢). ويهوذا فقط الذي كان من البداية ابن الهلاك، والذي كان إيمانه زائفاً هو الذي هلك. والمؤمنون حقاً لا يمكن أن يُخطفوا من يد الله (يوحنا ١٠: ٢٧-٣٠).

موجز

١. كثيرون يعلنون إيمانهم بالمسيح، وبعد ذلك ينكرونه.
٢. عدم هلاك القديسين تقوم على أساس مواعيد الله بحفظ القديسين.
٣. سوف يكمل الله خلاص المختارين.
٤. أولئك الذين يتخلون عن الإيمان، لم يكونوا قبلاً مؤمنين حقيقيين.
٥. بوسعنا أن نثق في خلاصنا لأننا خُتمنا بالروح القدس. وهو وعد الله بأن يكمل خلاصنا.
٦. وشفاعة المسيح هي من أجل حفظنا في الإيمان.

٧١

يقين الخلاص

هل بوسع أي واحد أن يكون متأكداً من أنـــه نـــال الخـــلاص بـــالفعل؟ ولعل الأمر يبدو كما لو أن أي شخص يعلن أنه على ثقة مـــن أنـــه نـــال الخلاص، فإنه يكون بذلك متغطرساً بدرجـــة لا توصـــف. ومـــع ذلـــك يطلب منا الكتاب المقدس أن نكون على يقين من خلاصنـــا. وعـــن هـــذا قال بطرس: "لذلك بالأكثر اجتهدوا أيـــها الإخـــوة أن تجعلـــوا دعوتكـــم واختياركم ثابتين" (بطرس الثانيـــــة ٢: ١٠).

إنه لمن واجبنا أن نسعى بكل اجتهاد للتـــأكد مـــن خلاصنـــا. وهـــذا لا يعمل بوازع من حب استطلاع لا جدوى منه عـــن حالـــة نفوســـنا، بـــل لتعزيز نمونا في القداسة. والمؤمنون الذين يظلون غـــير واثقـــين مـــن حالـــة خلاصهم يتعرضون لكافة نوعيات الأســـئلة الـــتي تشـــل مســـيرتهم مـــع المسيح فهم يتعثرون في شك، ويكونون معرضـــين لهجمـــات الشـــيطان. ولذلك علينا أن نسعى لنتأكد مـــن خلاصنـــا. وهنـــاك أربعـــة مواقـــف محتملة تتعلق بيقين الشخص من ناحيـــة خلاصـــه.

الموقف الأول: هناك أناس لم يخلصوا وهم يعرفون ذلـــك. هـــؤلاء النـــاس يدركون العداوة التي يكنونها في قلوبهم نحـــو الله، ومـــن الجلـــي أنهـــم لا يريدون أن تكون لهم علاقة بالمسيح كمخلص لهـــم. وهـــم في مقاومتـــهم يعلنون أنهم ليسوا في حاجـــة إلى المســـيح. وهـــؤلاء النـــاس يكونـــون في الغالب في عداوة صريحة مع الإنجيـــــل.

الموقف الثاني: هناك أناس خلصـــوا ولكنـــهم لا يعرفـــون ذلـــك. هـــؤلاء الناس هم في الواقع في حالة من النعمة غـــير أنهـــم غـــير واثقـــين منـــها. لعلـــهم يتصـــارعون مـــع خطيـــة ارتكبوهـــا في حيـــاتهم ويشـــكون في خلاصهم بسبب ضمير مترعج. وفي هذه المجموعة يوجـــد أولئـــك الذيـــن لم يتأكدوا من أنهم بين المختـــــارين.

الموقف الثالث: هناك أناس نالوا الخلاص، ويعرفون ذلك. وهذه هي مجموعة الذين هم على يقين من اختيارهم ودعوتهم. وهم لديهم فهم واضح وسليم عما يتطلبه الخلاص، ويعلمون أنهم استوفوا متطلباته. لقد آمنوا بشهادة الروح القدس حين شهد لأرواحهم أنهم أولاد الله (رومية ٨: ١٦).

الموقف الرابع: هناك أناس لم يخلصوا، لكنهم يعتقدون واثقين أنهم نالوا الخلاص. هؤلاء الناس لديهم يقين الخلاص، دون خلاص فيقينهم يقين زائف.

ونظراً لأنه من الممكن أن يكون لدى الإنسان يقين كاذب بالخلاص فكيف يتسنى لنا أن نعرف إذا كنا في المجموعة الثالثة أو الرابعة؟ ولكي نجيب على هذا السؤال، علينا أن نتفحص المجموعة الرابعة بشكل أدق، ونسأل: كيف يمكن أن يكون لدينا إحساس زائف باليقين؟

وأسهل طريقة ينجم عنها يقين زائف بالخلاص هي: أن يكون لدى الشخص تعليم زائف عنه. وعلى سبيل المثال، إذا تمسك شخص بوجهة نظر عقيدة الخلاص الشامل، فقد يفكر كالآتي:

كل شخص نال الخلاص، وأنا شخص.
ومن ثم فقد نلت الخلاص.
ولأن عقيدتهم خاطئة، فيقين الخلاص عندهم ليس له أساس راسخ.

وهناك طريقة أخرى يؤكد الناس لأنفسهم عن خطأ أنهم قد نالوا الخلاص، وهي اعتقادهم بأنهم سيذهبون إلى السماء عن طريق محاولتهم أن يعيشوا عيشة صالحة. والذين يعتقدون أنهم يعيشون عيشة صالحة كافية لأن توفي متطلبات إله قدوس، فإنهم بذلك لا يخدعون إلا أنفسهم بالاعتقاد أنهم خلصوا.

ولكن، ماذا لو كان لشخص عقيدة سليمة عن الخلاص؟ هل لا يزال من الممكن أن يكون لديه يقين زائف بالخلاص؟ وهنا يتعين أن نجيب بنعم. فالإنسان قد يظن بأن لديه إيماناً مخلصاً ولكنه في الواقع ليس لديه هذا الإيمان. والاختبار الخاص بالتأكد من يقين صحيح هو اختبار مزدوج. فمن ناحية، علينا أن نمتحن قلوبنا لنرى إذا كان لدينا

إيمان حقيقي بالمسيح. وينبغي أن نرى ما إذا كانت تتوافر لدينا محبة حقيقية لمسيح الكتاب المقدس. لأننا نعرف أن مثل هذه المحبة له تكون مستحيلة بدون الولادة الثانية.

ثانياً، علينا أن نفحص ثمرة إيماننا. ولا نحتاج إلى ثمر كامل كي يكون لدينا يقين الخلاص، غير أنه يتعين أن يتوفر دليل ما عن وجود ثمر الطاعة حتى يكون لإيماننا مصداقية. وإذا لم يوجد أي ثمر، إذاً لا يكون لدينا إيمان. فحيث يوجد الإيمان المقدس، فإن ثمر هذا الإيمان لابد وأن يوجد أيضاً.

وأخيراً، نسعى لمعرفة يقين خلاصنا من كلمة الله التي بواسطتها يشهد الروح القدس لأرواحنا أننا أولاد الله.

موجز

١. من واجبنا أن نسعى بكل اجتهاد لمعرفة يقين خلاصنا.
٢. يقين الخلاص يعزز تقديسنا.
٣. هناك أربع مجموعات (أو مواقف) تتعلق بيقين الخلاص:
(أ) أولئك الذين لم يخلصوا ويعرفون حقيقة ذلك.
(ب) أولئك الذين خلصوا، ولكن ليس لديهم يقين بأنهم خلصوا.
(ج) أولئك الذين خلصوا ويعرفون أنهم خلصوا.
(د) أولئك الذين لم يخلصوا ويعتقدون أنهم خلصوا.
٤. اليقين الكاذب يقوم أساساً على تعليم زائف عن الخلاص.
٥. كي نحصل على يقين حقيقي علينا أن نفحص قلوبنا، وكذلك ثمر إيماننا.
٦. اليقين الكامل يتأتى من كلمة الله مشفوعة بشهادة الروح القدس.

فقرات كتابية للتأمل

متى ٧: ٢١-٢٣
يوحنا ٣: ١-٢١
رومية ٨: ١٥: ١٧
٢كورنثوس ١: ١٢
١يوحنا ٢: ٣-٦
١يوحنا ٥: ١٣٣

٧٢

الحالة المتوسطة

" لم تمت لكنها نائمة" (لوقا ٨: ٥٢). أدلى يسوع بهذا التعليق عن ابنة يايرس حين كان في طريقه ليقيمها من الموت. والكتاب المقدس كثيراً ما يشير إلى الموت بتشبيهه "بالنوم" أو الرقاد. وبسبب هذا التشبيه، استنتج البعض أن العهد الجديد يعلم عقيدة نوم النفس.

ونوم النفس عادة ما يُوصف كنوع من توقف حياة النفس بصفة مؤقتة من لحظة موت الإنسان حتى الوقت الذي ستُقام فيه الأجساد. فحين تُقام أجسادنا من الموت، تُوقظ النفس كي تبدأ استمرارية شخصية واعية في السماء. وعلى الرغم من أنه قد تمر قرون بين الموت والقيامة الأخيرة، فإن النفس "النائمة" لن يكون لها إدراك بمرور الزمن. وانتقالنا من الموت إلى السماء سيبدو وكأنه فوري.

ونوم النفس يمثل خروجاً عن المسيحية المستقيمة الرأي. ومع ذلك، يظل هذا الفكر راسخاً بين أقلية من المؤمنين. أما من وجهة النظر التقليدية فهي تُسمي هذه الحالة المتوسطة. ويقول هذا الرأي إنه عند الموت، تذهب نفس المؤمن مباشرة لتكون مع المسيح كي تتمتع بحالة من الوجود الشخصي المستمر الواعي معه، فيما تنتظر قيامة الجسد الأخيرة.

وحين تكلم قانون الإيمان الرسولي عن "قيامة الجسد" لم يكن يشير إلى قيامة جسد المسيح البشري (الذي أُكد أيضاً في القانون) بل إلى قيامة أجسادنا في اليوم الأخير.

ولكن ماذا يحدث في غضون ذلك؟ وجهة النظر التقليدية هي أنه عند الموت تُمجد نفوس المؤمنين في الحال. وتُكمل في القداسة وتدخل فوراً إلى المجد. ومع ذلك فإن أجسادها تظل في القبر، انتظاراً للقيامة الأخيرة.

ولقد وعد يسوع اللص على الصليب قائلاً: "اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا ٢٣: ٤٣). والذين يؤيدون فكرة نوم النفس يجادلون

بأنه لا يمكن أن يكون قصد يسوع أنه سيقابل اللص في الفردوس في نفس ذلك اليوم، لأن يسوع سيكون ميتاً مدة ثلاثة أيام، و لم يكن قد صعد بعد.

وعلى الرغم من أن صعود المسيح لم يكن قد حدث بالفعل بعد، ومن المؤكد أن جسده كان في القبر، إلا أنه استودع روحه لدى الآب. وقد أكد لنا أن نفس يسوع لحظة موته ذهبت إلى الفردوس كما سبق أن قال.

فقرات كتابية للتأمل

لوقا ٨: ٤٩-٥٦

لوقا ٢٣: ٤٣

٢كورنثوس ٥: ١-١٠

فيلبي ١: ١٩-٢٦

١تسالونيكي ٤: ١٣-١٨

ومؤيدو نوم النفس يجادلون أن معظم الطبعات الإنجليزية للكتاب المقدس وضعت الفاصلة في مكان خطأ. ويقولون إن العبارة يجب أن تُقرأ هكذا: أقول لك اليوم، إنك تكون معي في الفردوس".

ومع هذا التغيير في الترقيم، فإن كلمة "اليوم" تشير إلى الوقت الذي كان يسوع يتكلم فيه، وليس إلى الوقت الذي سيتقابل فيه مع اللص في الفردوس. ومع ذلك فإن هذا الترقيم غير محتمل. لقد كان واضحاً تماماً للص في أي يوم كان يسوع يتكلم معه. وبالكاد كان من الضروري ليسوع أن يقول إنه يتكلم "اليوم". فضياع الكلمات على هذا النحو لرجل كان يتلهف لنسمة هواء في وسط آلام الصلب المبرحة أمر لا يُصدق. بل بالأحرى، وتمشياً مع بقية الدليل الكتابي بالنسبة للحالة المتوسطة (انظر بصفة خاصة فيلبي ١: ١٩-٢٦، كورنثوس الثانية ٥: ١-١٠)، كان الوعد للص هو أنه سيتحد مع المسيح في الفردوس في ذلك اليوم عينه.

وحالة المؤمن بعد الموت تختلف، وتكون في حالة أفضل مما اختبرناه في هذه الحياة، ولو أنها لن تكون مختلفة أو مباركة على النحو الذي ستكون عليه في القيامة الأخيرة. ففي الحالة المتوسطة سنتمتع باستمرارية الوجود الشخصي الواعي بمحضر يسوع.

وفترة اختبار الإنسان تنقضي عند الموت. ومصيرنا النهائي يتقرر حين نموت. ولا يوجد رجاء في فرصة أخرى للتوبة بعد الموت، ولا يوجد مكان للتطهير (أي مطهر) لتحسين حالتنا المستقبلية. والموت بالنسبة

للمؤمن، هو تحرر فوري من صـــــراع هـــذه الحيـــاة واضطرابهـــا حيـــث ندخل في حالة البركـــــة.

وعلي الرغم من أن الموت ينجم عنه راحـــة للنفـــس، والكتـــاب المقـــدس كثيراً ما يشير إلى الموت بالتعبـــير الملطـــف وهـــو "النـــوم"، فإنـــه ليـــس صحيحاً افتراض أنه في الحالة المتوسطة تنام النفـــس، أو أننـــا نظـــل بـــلا وعي، أو في حالة من توقف الحياة حتى القيامـــة الأخـــيرة.

موجز

١. نوم النفس يؤكد فترة من عـــدم الوعـــي "توقـــف الحيـــاة" بالنســـبة للنفس في الفترة الواقعة بين الموت والقيامة الأخـــيرة. وهـــذا خـــروج عن المسيحية المستقيمة الـــــرأي.
٢. تشير الحالة المتوسطة إلى حضورنا الواعـــي مـــع المســـيح في الســـماء كنفوس بغير جسد، وذلك في الفترة الواقعـــة بـــين المـــوت وقيامـــة أجســـادنا.
٣. الحالة المتوسطة أفضل من حالتنا الراهنة في العـــالم، ولكنـــها ليســـت على الروعة التي ستكون عليها حالتنـــا الأخـــيرة.
٤. لا توجد فرصة ثانية للتوبة بعد الموت.

٧٣

القيامة الأخيرة

ثمة سؤال يخطر على بال كل مؤمن وهو: ما الشكل الذي سنكون عليه في السماء؟ وهل سنستطيع التعرف على أحبائنا؟ وهل أجسادنا المقامة ستحمل سمات الشيخوخة والشباب.

الكثير من هذه الأمور تظل غامضة بالنسبة لنا. ولا يتضمن الكتاب المقدس إلا تلميحات فقط بالنسبة لهذه الإجابات. ولكننا نعرف أنه أياً كانت الحالة التي سنكون عليها بعد القيامة، فإنها ستفوق بما لا يُقاس أروع توقعاتنا الحالية. يقول الكتاب المقدس عن هذا: "ما لم تر عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه" (كورنثوس الأولى ٢: ٩). ويقول لنا الرسول بولس إننا "ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت" (كورنثوس الأولى ١٣: ١٢).

والكتاب المقدس يتحدث بكل وضوح عن قيامة نهائية لأجساد القديسين. وأعلنت قيامة يسوع أنها باكورة أولئك الذين سيشتركون أيضا في هذه القيامة. وهناك استمرارية بين الجسد الترابي الذي يموت، والجسد المقام الذي سيعطى لنا. فأجسادنا الحالية قابلة للفساد ولسوف تتحلل حقا وتتمزق إربا عند الموت. ومع ذلك، فكما أن يسوع عاد من القبر بجسده، ولو أنه تغير، هكذا أيضا ستقام أجسادنا الحالية وإن كانت ستتغير. والجسد قد تتغير حالته دون أن يفقد نتيجة ذلك هويته.

وكل جسد مقام سيكون كاملا من ناحية الكمية والنوعية لن يفقد شيئا وإن كان سيكتسب الكثير. ولسوف نكون معروفين في أجسادنا المقامة. ولسنا نعرف بعد كيف سيتم هذا بقوة الله، كل ما نعرفه أنها ستكون هكذا.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٨: ١١

١كورنثوس ٢: ٩

١كورنثوس ١٥: ١-٥٨

فيلبي ٣: ٢٠-٢١

١تسالونيكي ٤: ١٣-١٨

وأجسادنا الجديدة ستكون مناسبة بصفة خاصة للحياة الأبدية في ملكوت الله. فأجسادنا الحالية لا تناسب هذا الوضع. وأية تغييرات ضرورية سوف تعمل بقوة الله. ونعرف أن أجسادنا المقامة ستكون مع ذلك بشرية ومحدودة. فلن نحول إلى آلهة. ولكن أجسادنا الجديدة لن تكون قابلة للفساد، لن تتعرض للتفسخ أو المرض أو الألم أو الموت. وستضاف قوة إلى أجسادنا الحالية حيث ستقام في كرامة وقوة ومجد. فلسوف تتغير أجسادنا لتكون مثل جسد يسوع الممجد.

وجسد القديسين الجديد سيكون جسدا روحانيا، وجسدا سماويا. ولسوف يكيف لمستوى أعلى من الحياة، ولعلها ستكون أجسادا لامعة ومنيرة في الملامح، ولكن ليس على ما كان عليه يسوع عند التجلي.

موجز

١. حالتنا المستقبلية في قيامة الأجساد يغلفها الغموض.

٢. ستكون هناك استمرارية بين أجسادنا الحاضرة وأجسادنا المقامة.

٣. سنكون قادرين على أن يعرف كل منا الآخر في السماء.

٤. ستكيف أجسادنا الجديدة لتناسب الحياة في السماء.

٧٤

التمجيد

أتذكر لحظة حاسمة قبل إحدى بطولات كرة السلة في المدرسة الثانوية، حين احتشدنا نحن أعضاء الفريق لتلقي التعليمات الأخيرة من مدربنا. وإذ كان يحاول تحفيزنا على النصر، قال المدرب: "أيها الأولاد، هذه هي اللحظة التي كنا جميعاً نعمل من أجلها. والآن، هيا اخرجوا وتسربلوا بالمجد. وقد فعلنا. لقد فزنا بالبطولة التي كنا نتوق إليها وتمتعنا بمجدها. لكن هذا المجد هو من النوع الزائل. ذلك أنه يبدأ السعي من جديد بغية الحصول عليه مع بداية كل موسم، أو عند كل مسابقة جديدة.

فهناك مجد أعظم، مجد دائم وأكثر روعة ينتظر كل قديس في نهاية رحلته الروحية. وهذا ما يسميه الكتاب المقدس "التمجيد". والتمجيد هو ختام سلسلة بولس الذهبية الخاصة بالفداء:

"لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرا بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا" (رومية ٨: ٢٩-٣٠).

وعقيدة التمجيد تشير إلى الوقت الذي سيتحقق فيه للمؤمنين الحقيقيين الأحياء منهم والأموات، عند المجيء الثاني للمسيح، الفداء الكامل والنهائي لأجسادهم ويصلون إلى حالتهم النهائية. ولسوف يكتمل خلاص المختارين وكما كتب بولس لأهل كورنثوس: "لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم الموت" (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٣).

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٧: ١٣-٢٣

رومية ٨: ٢٩-٣٠

١كورنثوس ١٥: ٥٠-٥٤

٢كورنثوس ٣: ١٨

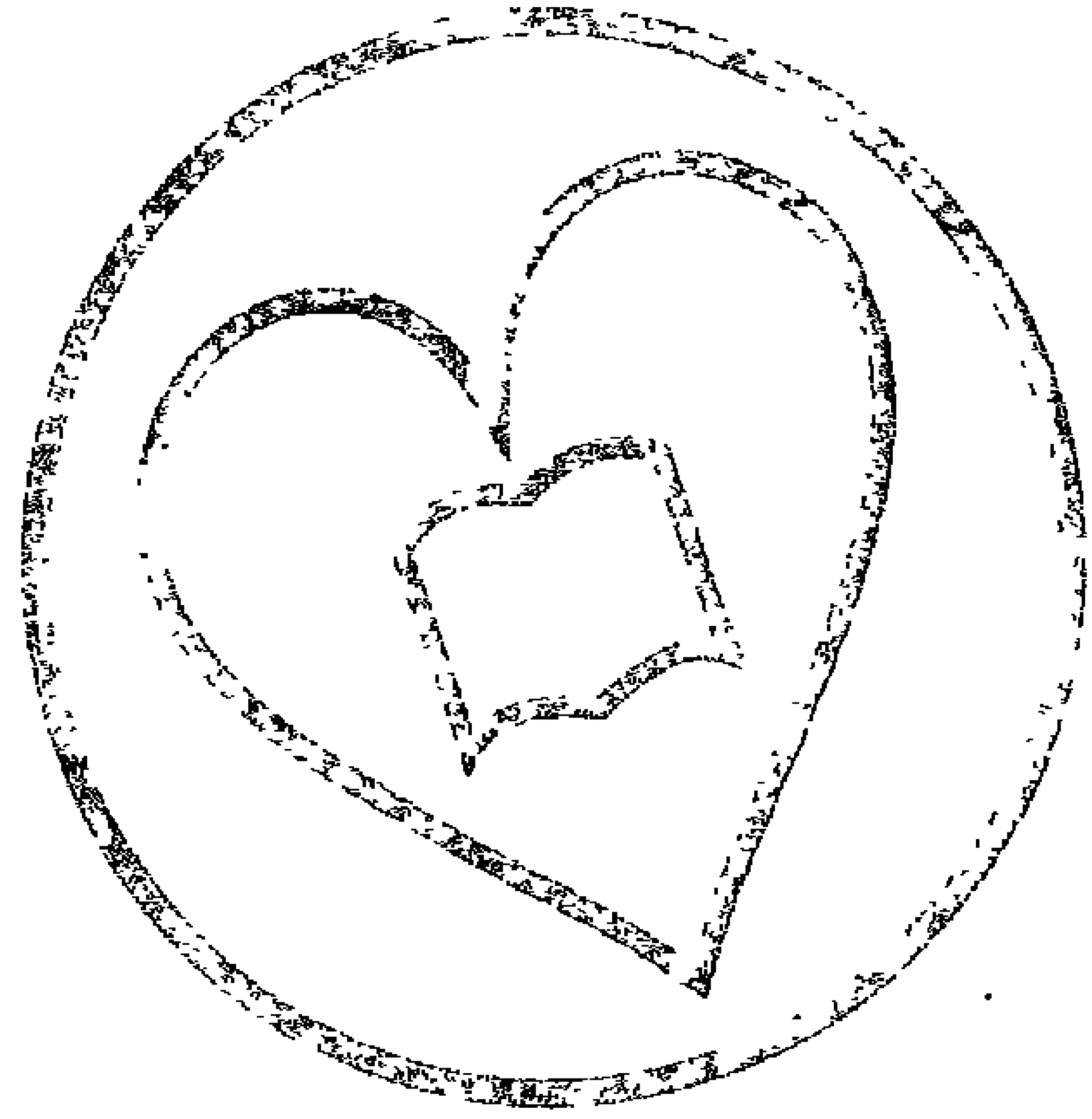
وأخيرا، فإن الموت، الذي هو آخر عدو سوف يبتلع إلى غلبة. ولسوف تصل عملية التقديس إلى غايتها.

فالتمجيد إذا، هو رجاء المستقبل العظيم بالنسبة للمؤمن. ولسوف يصحح الله كل الأمور ويجعلها على هذا النحو إلى أبد الآبدين. غير أن التمجيد هو راحة حاضرة أيضا. ففي هذا العالم الساقط حيث نختبر الخطية فينا ومن حولنا، هناك تعزية في معرفتنا أن الله يعمل حتى الآن ليطهر قديسيه استعدادا لمجدهم المستقبلي. فالمؤمن من ناحية ما تمجد بالفعل، وختم للأبدية، وأصبح ابنا لله إلى الأبد.

موجز

١. التمجيد هو ذروة خلاصنا.
٢. التمجيد سيكمل تقديسنا.
٣. الوعد بتمجيدنا في المستقبل يعطينا راحة وإلهاما في الوقت الحاضر.

الجزء الثامن



الكنيسة والأسرار المقدسة

٧٥

الرسل

بالنظر إلى أن اثني عشر ممن كانوا تلاميذ للمسيح أصبحوا فيما بعد رسلاً له، فإن الكلمتين "تلميذ" و"رسول" كثيراً ما يتم الخلط بينهما. ومع أن هاتين الكلمتين تُستخدمان بالتناوب، إلا أنهما ليستا مترادفتين تماماً. وقد عُرّف التلميذ في الكتاب المقدس بأنه "من يتعلم"، شخص دخل في شركة مع يسوع. وعلى الرغم من أن الرسل كانوا تلاميذ، غير أنه لم يصبح كل التلاميذ رسلاً.

والرسول يتمتع بوظيفة خاصة في كنيسة العهد الجديد. وكلمة "رسول" تعني "الشخص الذي أُرسل". ومع ذلك، فمن الناحية الفنية، فإن الرسول كان أكثر من مجرد مبعوث أو مرسل. فقد أُعطي سلطة تمثيل من أرسله والتحدث باسمه. وأعظم رسول في العهد الجديد هو يسوع نفسه. فقد أُرسل من قبل الآب، وتكلم بالسلطان الذي أعطاه له. وعلى ذلك فمن يرفض يسوع، فإنه يرفض بذلك الآب الذي أرسله.

وعلى نهج ذلك، دُعي الرسل وكُلفوا بمعرفة المسيح مباشرة وتكلموا بسلطانه. ورفض السلطان الرسولي معناه رفض سلطان المسيح الذي أرسلهم.

وفي العهد الجديد، كلف اثنا عشر تلميذا بأن يكونوا رسلا. وبعد موت يهوذا، انتخبت الكنيسة متياس "بالقرعة" كي يحل محله، كما جاء في سفر أعمال الرسل. وإلى هذا العدد أضاف يسوع بولس كرسول خاص للأمم. وكانت رسولية بولس موضع بعض الجدل، لأنه لم يستوف كل متطلبات الرسولية التي حددت في سفر الأعمال. حيث تضمن معيار الرسولية ما يأتي: (١) أن يكون تلميذا ليسوع إبان خدمته بالجسد على الأرض. (٢) يكون شاهد عيان للقيامة، (٣) يكون قد دعي وكلف بواسطة المسيح مباشرة. ولم يكن بولس من تلاميذ المسيح، ورؤيته عن القيامة حدثت بعد صعود يسوع. ولم

يكن شاهد عيان للقيامة بالطريقة التي شاهدها بها الرسل الآخرون. ومع ذلك، دُعي بولس ليكون رسولاً بواسطة المسيح مباشرة. ثم إن الرسل الآخرين أكدوا دعوته، كما أن رسوليته لم تكن موضع شك، بل تم التصديق عليها بواسطة المعجزات التي أجراها الله بواسطته، مصادقاً على سلطانه كرسول للإعلان الإلهي.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ١: ١-٦
رومية ١١: ١٣
١كورنثوس ٩: ٢
١كورنثوس ١٥: ٩
عبرانيين ٣: ١

ومع أواخر القرن الأول، أدرك آباء ما بعد الرسل بوضوح أن سلطانهم كان خاضعا للرسل الأولين. ولا يوجد رسل رسميون على قيد الحياة الآن، لأنه ما من أحد يستوفي المعيار الكتابي لهذه الوظيفة، أو يمكن التصديق عليه بمعرفة الرسل الأصليين، مثلما كان الحال بالنسبة لبولس. والكتاب المقدس هو السلطان الرسولي الوحيد الآن بالنسبة لنا.

موجز

١. كلمتا "تلميذ" و"رسول" ليستا مترادفتين.
تلميذ = طالب علم
رسول = الشخص الذي أرسل ليتكلم بسلطان الذي أرسله.
٢. يسوع كان "رسول الآب".
٣. المعيار الكتابي يتضمن:
(أ) أن يكون من تلاميذ يسوع.
(ب) أن يكون شاهد عيان لقيامة المسيح.
(ج) يكون قد دعاه المسيح مباشرة.
٤. كانت رسولية بولس فريدة، وكان من الضروري بالنسبة له أن يؤيد من قبل الرسل الآخرين.
٥. لا يوجد رسل الآن بالمعنى الكتابي.
٦. السلطان الرسولي نجده الآن في الكتاب المقدس.

٧٦

الكنيسة

تشير كلمة "الكنيسة" إلى جميع الناس الذين ينتمون إلى الرب، أولئك الذين اشتُروا بدم المسيح. وقد استُخدمت صور بلاغية وتعبيرات أخرى لتعريف الكنيسة أو وصفها. فقد دُعيت الكنيسة جسد المسيح، عائلة الله، شعب الله، المختارين، عروس المسيح، جماعة المفديين، شركة القديسين، إسرائيل الجديدة، إلخ.

وكلمة "كنيسة" التي يستخدمها العهد الجديد، والمأخوذة منها كلمة ecclesiastical تعني "المدعوّين أو المفرزين". ويُنظر إلى الكنيسة على أنها اجتماع أو تجمع للمختارين، أولئك الذين دعاهم الله من العالم بعيداً عن الخطية، وفي حالة النعمة.

وبالنظر إلى أن الكنيسة في العالم هي ما أطلق عليه أغسطينوس "جسد مختلط"، فإنه من الضروري التمييز بين الكنيسة المنظورة والكنيسة غير المنظورة. وبالنسبة للكنيسة المنظورة (تتكون من الذين أعلنوا إيمانهم، وتعمدوا وانضموا إلى عضوية الكنيسة القائمة محلياً)، أشار يسوع إلى أنه سيكون بها زوان ينمو إلى جانب الحنطة. وعلى الرغم من أن الكنيسة "مقدسة" إلا أنه يُوجد بها دائماً في هذه المرحلة خليط من الخطاة، فليس كل من يكرمون المسيح بشفاههم، يكرمونه بقلوبهم أيضاً. ومن حيث إن الله وحده هو الذي يستطيع معرفة خبايا قلب الإنسان، فإن المختارين حقاً ظاهرون بالنسبة له، إلا أنهم إلى حد ما غير ظاهرين بالنسبة لنا. والكنيسة غير المنظورة واضحة ومرئية تماماً بالنسبة لله. ومهمة المختارين أن يجعلوا الكنيسة غير المنظورة منظورة.

والكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. فالكنيسة واحدة، وعلى الرغم من أن الطوائف جعلتها أجزاء، إلا أن المختارين متوحدين برب واحد، وإيمان واحد، ومعمودية واحدة. والكنيسة مقدسة لأن الله قدسها وسكن فيها الروح القدس. والكنيسة جامعة (كلمة catholic

تعني "الشاملة") من ناحية أن عضويتها تمتد عبر الأرض لتتضمن شعوباً من كل الأمم. والكنيسة رسولية من ناحية أن تعليم الرسل بحسب ما تضمنه الكتاب المقدس هو أساس الكنيسة والسلطان الذي يحكم الكنيسة.

وإنه لمن واجب كل مسيحي، بل وهذه ميزة له أن يتحد بكنيسة المسيح، وإنها لمسئوليتنا الكبرى، ألا نهمل اجتماع القديسين معا في عبادة مشتركة، وأن نكون تحت رعاية الكنيسة ونظامها، وننخرط بفعالية كشهود في إرسالية الكنيسة.

فقرات كتابية للتأمل

متى ١٣: ٢٤-٤٣
١كورنثوس ١٢: ١٢-١٤
أفسس ٢: ١٩-٢٢
أفسس ٤: ١-٦
كولوسي ١: ١٨
رؤيا ٧: ٩-١٠

والكنيسة ليست مؤسسة بقدر ما هي كائن حي. فهي تتكون من أعضاء حية. وسُميت جسد المسيح. وكما أن جسم الإنسان نُظم لكي يعمل في وحدة بواسطة أعضاء كثيرة تعمل معاً ويعتمد كل منها على الآخر، هكذا الكنيسة أيضاً كجسد تظهر الوحدة والتنوع. وعلى الرغم من أنها تُحكم بواسطة رأس واحد، هو المسيح، إلا أن الجسد له أعضاء كثيرة، كل منها أعطاه الله موهبة ليعمل من أجل الجسد كله.

موجز

١. تتكون الكنيسة من أولئك الذين ينتمون إلى الرب.
٢. كلمة "الكنيسة" الكتابية تعني "أولئك الذين دُعوا".
٣. الكنيسة على الأرض دائماً جسد مشترك من المؤمنين وغير المؤمنين.
٤. الكنيسة غير المنظورة، هي مرئية بالنسبة لله فقط.
٥. الكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية.
٦. الكنيسة كائن حي شبيه بجسد الإنسان.

٧٧

علامات الكنيسة الحقيقية

بالنظر إلى أنه توجد في العالم آلاف المؤسسات الواضحة التي تُسمى كنائس، ومن حيث إنه من الممكن بالنسبة للمؤسسات وكذلك الأفراد أن يرتدوا عن الإيمان، أصبح من المهم أن تكون لنا قدرة على تمييز العلامات الأساسية للكنيسة المرئية الشرعية الحقيقية. وما من كنيسة معصومة من الخطأ والخطية. ولن تكون الكنيسة كاملة إلا في السماء فقط. غير أن هناك اختلافاً كبيراً بين الفساد، الذي يؤثر في كافة المؤسسات، والردة عن الإيمان.

ولذلك، وبغية حماية شعب الله ورعايته وتقويته، كان من الضروري تحديد علامات الكنيسة الحقيقية.

ومن الناحية التاريخية، حُددت علامات الكنيسة الحقيقية على النحو التالي: (١) الكرازة الصحيحة بكلمة الله، (٢) استخدام الفرائض المقدسة طبقاً لتأسيسها، (٣) ممارسة التأديب الكنسي.

(١) *الكرازة الصحيحة بكلمة الله:* على الرغم من أن الكنائس تختلف في تفاصيل الفكر اللاهوتي، وفي مستويات نقاء العقيدة، إلا أن الكنيسة الحقيقية تؤكد كل ما هو ضروري للإيمان المسيحي. كذلك، تكون الكنيسة زائفة أو مرتدة، حين تنكر رسمياً إحدى عقائد الإيمان المسيحي الرئيسية مثل لاهوت المسيح، الثالوث القدوس، التبرير بالإيمان، الكفارة، أو أية عقائد أخرى ضرورية للخلاص. وعلى سبيل المثال، لم يكن الإصلاح الديني معركة على أمور تافهة، بل على تعليم أساسي يتعلق بالخلاص.

(٢) *ممارسة الفرائض:* إنكار الفرائض التي رسمها المسيح أو الازدراء بها معناه تشويه الكنيسة. وتدنيس عشاء الرب أو ممارسة

الفرائض وعن عمد إلى أناس من المعروف أهم من غير المؤمنين، يخلع عن الكنيسة الاعتراف بها ككنيسة حقيقية.

(٣) *التأديب الكنسي:* على الرغم من أن ممارسة التأديب الكنسي قد تتم بشكل خاطئ أحياناً سواء من ناحية الشدة، أو من ناحية التساهل، فإن التأديب قد ينحرف إلى درجة لا يعود يُعترف به على أنه تأديب مشروع. وعلى سبيل المثال، إذا عمدت الكنيسة صراحة وبلا ندم على تبني، وممارسة سلوكيات غير سليمة، أو رفض القيام بتأديب خطية شنيعة كبرى، هنا تفقد هذه العلامة التي تميز الكنيسة الحقيقية.

وعلى الرغم من أنه يتوجب تحذير المسيحيين بشكل حازم ألا يكونوا عوامل انشقاق في الروح، أو يستسلموا لروح الخصام، إلا أنه يتعين تحذيرهم أيضا بالتزام فصل أنفسهم عن المجتمعات الزائفة أو المرتدة. وكل كنيسة حقيقية تظهر علامات الكنيسة الحقيقية وإن كان ذلك بدرجات أكثر أو أقل.

وإصلاح الكنيسة مهمة لا تنتهي أبدا. ونحن نسعى لنكون أمناء أكثر فأكثر للدعوة الكتابية للكرازة، والفرائض المقدسة، والتأديب الكنسي.

فقرات كتابية للتأمل

متى ١٨: ١٥-١٧
رومية ١١: ١٣-٢٤
١كورنثوس ١: ١٠-٣١
أفسس ١: ٢٢-٢٣
١بطرس ٢: ٩-١٠

موجز

١. الكنيسة الحقيقية لها علامات مرئية تميزها عن الكنيسة الزائفة أو المرتدة.
٢. الكرازة بالإنجيل أمر ضروري للكنيسة كي تكون كنيسة حقيقية.
٣. ممارسة الفرائض بشكل سليم، ودون تدنيس، يُعد علامة للكنيسة الصحيحة.
٤. التأديب الكنسي ضد الهرطقة والخطية الكبيرة، عمل ضروري للكنيسة.
٥. الكنيسة في حاجة دائمة إلى الإصلاح طبقاً لكلمة الله.

٧٨

الحرم الكنسي

إنه أمر رهيب أن يُحرم شخص من كنيسة المسيح. ومع ذلك، لا توجد سوى خطية واحدة خطيرة تستحق الطرد من جسد المسيح. وهذه الخطية هي خطية عدم التوبة. هناك كثير جداً من الخطايا الخطيرة إلى درجة أنها تستحق التأديب الكنسي. وحيث أن التأديب الكنسي عملية متعددة الخطوات يشكل الحرم الكنسي الخطوة الأخيرة فيها، فإن الخطية الوحيدة التي يمكن أن تضطرنا إلى اللجوء إلى تلك الخطوة هي رفض التوبة عن الخطية التي كانت أصلاً السبب في بدء هذه العملية.

والحرم الكنسي هو أقصى درجات التأديب الكنسي. ذلك أن يستتبعه طرد الخاطئ الذي يرفض التوبة من الشركة مع الأمناء. وهذا التأديب مأخوذ من تعليم يسوع عن الربط والحل (متى ١٦: ١٩، ١٨: ١٥-٢٠، يوحنا ٢٠: ٢٣). وقد أعطيت مسئولية التأديب للكنيسة. ومع ذلك فإن الفقرة الواردة في متى ١٨، تذكر ثلاث خطوات يجب اتخاذها قبل اتخاذ قرار الحرم الكنسي. فيجب تقويم الخاطئ أولاً على انفراد. وإذا فشل هذا الإجراء، يجب تقويمه بواسطة شهود. وهذا يضمن أن الشاكي في الخطوة الأولى لم يكن مخطئاً أو أنه جاء باتهامات تتضمن القذف أو تشويه السمعة. ثالثاً، يجب مثول الخاطئ أمام جماعة المؤمنين بكاملها. وإذا فشل هذا، على الكنيسة أن توقف الشركة مع هذا المسيء.

وجدير بالملاحظة أن الحرم لا يجب اتخاذه بمعنى الجزاء. فالعملية برمتها، بما فيها الحرم الكنسي، ما هي سوى صيغة للتأديب الهدف منها محاولة الإتيان بالشخص الذي يرفض التوبة ثانية إلى الحظيرة. وعند نقطة الحرمان، يسلم الطرف المذنب إلى الشيطان (١كو ٥: ٥). فالقصد ليس العقاب، بل تنبيه الطرف المذنب إلى خطيته. ويقول جون كالفن إن التأديب الكنسي هو "أفضل عون" للتعليم والنظام والوحدة على أساس سليم.

وإقرار إيمان ويستمنستر يذكر خمسة أغراض للحرم الكنسي:

"وتأديبات الكنيسة أمر ضروري، لإصلاح الإخوة المسيئين وربحهم، ولمنع الآخرين من ارتكاب خطايا مماثلة، ولتطهير ذلك الخمير الذي قد يلوث الأغلبية، ولصيانة كرامة المسيح، وإعلان الإنجيل المقدس، ولمنع غضب الله، الذي قد يترل وعن حق، على الكنيسة، إذا ما سمحوا لعهده وضماناته أن تتدنس على يد خطاة معاندين من ذوي السمعة السيئة".

فقرات كتابية للتأمل

متى ٧: ١-٥

١كورنثوس ٥

١كورنثوس ١١: ٢٧-٣٢

١تيموثاوس ١: ١٨-٢٠

١تيموثاوس ٥: ١٩-٢٠

١بطرس ٤: ٨

وهذه القائمة ربما يمكن اختصارها على نحو سليم إلى سببين أساسيين: الاهتمام بنفس الخاطئ، والخوف على صحة الكنيسة.

والتأديب الكنسي أمر به المسيح، وهذا أمر يتطلب حذرا بالغا. فقد تقع الكنيسة في أخطاء من نوعيتين. فقد تصبح متساهلة أكثر من اللازم وتفشل في تأديب أولئك الذين يسيئون بشكل بالغ إلى الإيمان، أو أنها قد تتشدد أكثر من اللازم وتفتقر إلى المحبة التي يأمر بها الله.

ولا يجب استخدام التأديب الكنسي في الأمور التافهة أو المسائل الصغيرة. فالتشدد قد يكون مصدرا للخراب بين شعب الله. وقد دعينا إلى التحلي بروح الصبر وتحمل بعضنا بعضا كما يتأنى الله علينا. ويدعونا الكتاب المقدس إلى نوعية من المحبة "تستر كثرة من الخطايا".

موجز

١. الحرمان الكنسي هو الخطوة الأخيرة في التأديب الكنسي.
٢. الخطية الوحيدة التي ينجم عنها في النهاية حرم كنسي هي رفض التوبة.
٣. المسيح هو الذي أسس عملية التأديب الكنسي.
٤. الهدف من الحرم الكنسي هو استعادة المذنب، وحماية الكنيسة.
٥. التأديب الكنسي يجب ألا يكون متساهلا أكثر من اللازم أو متشددا أكثر من اللازم.
٦. يجب أن يتذرع المسيحيون بالمحبة التي تتسم بالصبر والتحمل.

٧٩

الأسرار والفرائض

استُخدمت كلمة "الفرائض" من الناحيــة التاريخيــة للإشــارة إلى شــيء مقدس. والتعبــير اللاتيــني "Sacramentum" اســتعمل كترجمــة لكلمــة "سر" الواردة في العهد الجديد. وبالمعنى الأوسع كــل الطقــوس والشــعائر الدينية أطلق عليها عبارة الأسرار المقدسة. وفي الوقـــت المحـــدد اكتســـب هذا التعبير معنى ضيقاً وأكثر دقة. وأصبح السر المقدس يُعـــرف علـــى أنـــه علاقة مرئية يقـــدم الله بواســـطتها وعـــده بالنعمـــة في صيغـــة ظـــاهرة. والعلامات الخارجية تختم وتؤكـــد مواعيـــد الله الـــتي تضمنـــها العـــهد. وتتكون الأسرار المقدسة من عنصر ظاهر مثـــل المـــاء، الخـــبز أو الخمـــر، ونشاط محدد رسمه الله بالارتباط مع العلاقة، وفائدة تعطـــى للمؤمـــن.

وحددت الكنيسة الكاثوليكية عـــدد الأســـرار المقدســـة (بمعـــنى خـــاص) بسبعة أسرار. وهي المعمودية، التثبيت، التناول المقـــدس (عشـــاء الـــرب)، التوبة، الزواج، الكهنوت، المســـحة المقدســـة. وحصـــرت البروتســـتانتية التاريخية الأسرار المقدسة في فريضتـــين فقـــط همـــا: المعموديـــة وعشـــاء الرب. وعلى الرغم من أن البروتستانت يعـــترفون بشـــعائر أخـــرى مثـــل الزواج على أنها شعائر ذات صفة خاصـــة، إلا أنهـــا لم تـــرق في نظرهـــم إلى مستوى الأسرار المقدســـة.

وحصرت الأسرار المقدسة في: (١) الطقوس التي أسســـها المســـيح بصفـــة مباشرة، (٢) طقوس هامة جدا بطبيعتها، (٣) فرائـــض وضعـــت لتكـــون دائمة، (٤) فرائض قصد بها أن تشير، وتعلـــم، وتختـــم المؤمنـــين الذيـــن يقبلونها بالإيمـــان.

والأسرار المقدسة هي وسائل حقيقية للنعمة توصـــل مواعيـــد الله. وقوتهـــا لا تكمن في العناصر ذاتها، ولكن في الله، وهي عبارة عـــن علامـــات لهـــا. بل ولا تعتمد قوتها على شخصية أو إيمان أولئـــك الذيـــن يقدمونهـــا، بـــل على أمانة اللــــه.

والأسرار والفرائض هي صيغ غير لفظية للاتصال. فلم يُقصد بها إطلاقاً أن تكون وحدها بمعزل عن الإشارة إلى كلمة الله. وتؤكد هذه الفرائض كلمة الله حتى يمكن القيام بالفرائض، والكرازة بالكلمة جنباً إلى جنب.

والخلاص لا يتأتى من خلال الأسرار أو الفرائض، ذلك أن الخلاص هو بالإيمان بالمسيح. ومع ذلك حينما يتواجد الإيمان لا يكون ثمة تجاهل أو إهمال للأسرار أو الفرائض، ذلك أنها تشكل جزءٍ حيوياً من عبادة الله وتعزيز الحياة المسيحية.

وعلى الرغم من أن الفرائض تتضمن استخدام أشكال خارجية، إلا أنه لا ينبغي احتقارها، والقول بأنها أمور شكلية أو طقسية فارغة، وعلى الرغم من أنه يمكن إفسادها وجعلها طقوساً عقيمة، إلا أنه لا يجب رفضها فهي بالفعل طقوس، لكنها طقوس رسمها الله، وعلى ذلك يجب الاشتراك فيها بفرح وتبجيل.

فقرات كتابية للتأمل

متى ٢٨: ١٩-٢٠
أعمال ٢: ٤٠-٤٧
رومية ٦: ١-٤
١كورنثوس ١١: ٢٣-٣٤
غلاطية ٣: ٢٦-٢٩

موجز

١. الفريضة أو السر هو علامة مرئية لوعد الله بالنعمة للمؤمنين.
٢. تمارس الكنيسة الكاثوليكية سبعة أسرار، في حين أن معظم الكنائس البروتستانتية ليس لديها سوى فريضتين هما فريضة المعمودية، وعشاء الرب.
٣. الفرائض المقدسة لا توصل تلقائيا الأشياء التي ترمز إليها. ومضمون السر المقدس يتم الحصول عليه بالإيمان.
٤. الفرائض ليست طقوسا فارغة، بل رسمها المسيح.
٥. يجب أن تربط الأسرار والفرائض بالكرازة بالكلمة.

٨٠

المعمودية

المعمودية هي فريضة وهي إحدى علامات العهد الجديد. وهي علاقة يختم الله بواسطتها على وعده للمختارين بأن عهد النعمة يتضمنهم.

والمعمودية تشير إلى أمور عديدة. أولاً، هي علامة على التطهير وغفران خطايانا. كما أنها تشير أيضاً إلى أننا قد وُلدنا ولادة ثانية بالروح القدس، وأننا دُفنا وقمنا معاً مع المسيح، وأنه قد سكن فينا الروح القدس، وأنه قد تم تبنينا في عائلة الله، وأن الروح القدس قد قدسنا.

والمعمودية رسمها المسيح، ويجب أن تجرى باسم الآب والابن والروح القدس. والعلامة الخارجية لا تنقل الحقائق التي رمز إليها تلقائياً أو بطريقة سحرية. وعلى سبيل المثال، فإنه على الرغم من أن المعمودية تشير إلى الميلاد الثاني، إلا أنها لا تتمم الميلاد الثاني آلياً. فقوة المعمودية ليست في الماء، بل في قوة الله.

والحقيقة التي تشير إليها الفريضة قد تكون موجودة قبل أو بعد أن تعطى علامة المعمودية. ففي العهد القديم كان الختان هو علامة العهد. وكان الختان، من بين أشياء أخرى، علامة الإيمان. وبالنسبة للكبار، كإبراهيم، كان الإيمان سابقا لعلامة الختان. وبالنسبة لأبناء المؤمنين، فإن علامة الختان مع ذلك كانت تعطى قبل الإيمان، كما كان الحال بالنسبة لإسحاق.

وكذلك، في العهد الجديد، الفكر اللاهوتي للكنائس المصلحة يطلب من المتجددين الكبار أن يعتمدوا بعد إعلان الإيمان، في حين أن الأطفال يعمدون قبل أن يعلنوا إيمانهم.

والمعمودية تشير إلى غُسل بالمــاء. والوصيــة بالمعموديــة يمكــن أن تتــم بالتغطيس أو الغمس أو الرش. والكلمة اليونانيــة الــتي تُرجمــت "يعمــد" تتضمن كل هذه الاحتمالات الثلاثـــــة.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٤: ١١-١٢

رومية ٦: ٣-٤

١كورنثوس ١٢: ١٢-١٤

كولوسي ٢: ١١-١٥

تيطس ٣: ٣-٧

وصحة المعمودية لا تعتمد على شـــخصية القــس الــذي يقــوم بهــا أو شخصية الشخص الذي يعتمد. والمعمودية هــي علامــة علــى وعــد الله بالخلاص لكل الذين يؤمنون بالمســـيح.

وبالنظر إلى أنها وعد من الله، فإن صحة الوعد تعتمد على مصداقية شخص الله. ومن حيث أن المعمودية هــي علامــة وعــد الله، فــلا يجــب أن يُعمــد الشخص أكثر من مرة واحدة. والعماد أكثر مــن مــرة للشــخص يلقــي ظلالاً من الشك على أمانــة الله وإخلاصــه لوعــده. ومــن المؤكــد أن أولئك الذين تعمدوا مرتين أو أكـــثر لا يقصـــدون أن يلقــوا بالشــك في أمانة الله، غير أن هذا العمل إذا فُهم على نحــو صحيــح، ســوف ينجــم عنه هذا الشك. ومع ذلك فإنه من واجـــب كــل مســيحي أن يعتمــد. إنها ليست طقساً فارغاً، بل فريضة أمر بهــا الـــرب.

موجز

١. المعمودية هي العلامة الخاصة بالعهد الجديد.
٢. المعمودية لها معان كثيرة.
٣. المعمودية رسمها المسيح وتُعمل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس.
٤. المعمودية لا ينجم عنها آليا الولادة الثانية.
٥. المعمودية يمكن أن تكون بالتغطيس، أو الرش، أو الغمس.
٦. صحة المعمودية تعتمد علــى أمانــة وعــد الله، ولا يجــب أن تتــم بالنسبة للشخص إلا مرة واحـــدة.

٨١

معمودية الأطفال

مع أن معمودية الأطفال كانت الممارسة السائدة في تاريخ المسيحية، إلا أن مدى ملاءمتها كانت موضع جدل كبير بواسطة مسيحيين أتقياء من طوائف مختلفة. والجدال المتعلق بمعمودية الأطفال يقوم على أساس اهتمامات عديدة. والعهد الجديد لم يأمر صراحة بعماد الأطفال أو منع عمادهم بوضوح. ويقوم الجدال على أسئلة تدور حول معنى المعمودية ودرجة الاستمرارية بين العهد القديم والعهد الجديد.

وأكثر الاعتراضات قوة من أولئك الذين يعارضون معمودية الأطفال هو أن فريضة المعمودية هي لأعضاء الكنيسة، وأن الكنيسة هي جماعة المؤمنين. وبالنظر إلى أن الأطفال لا يستطيعون ممارسة الإيمان، فعلى ذلك لا يجب تعميدهم. كما شدد أيضا على أن حالات المعمودية المسجلة في العهد الجديد لا تتضمن إشارات واضحة إلى أطفال. وثمة اعتراض آخر وهو أن العهد القديم، على الرغم من أنه لا يقدم الخلاص عن طريق سلالات الأسلاف البيولوجية، إلا أنه على الرغم من ذلك يتضمن تأكيدا عرقيا على شعب إسرائيل. وقد مر العهد خلال روابط عائلية وقومية. والعهد كما تضمنه العهد الجديد كان أكثر شمولية، حيث سمح للأمميين بالدخول إلى مجتمع الإيمان. ونقطة عدم الاستمرارية هذه توجد فرقا بين الختان والمعمودية.

ومن ناحية أخرى، فإن أولئك الذين يؤيدون معمودية الأطفال يشددون على التشابهات بينها وبين الختان. وعلى الرغم من أنه ليس هناك تطابق بين المعمودية والختان، إلا أن هناك نقاطا أساسية مشتركة بينهما. فكلاهما علامة للعهد، وكلاهما علامة للإيمان. وفي حالة إبراهيم، فقد جاء إلى الإيمان وهو كبير، وأعلن إيمانه قبل أن يختتن. كان لديه إيمان قبل أن يتلقى علامة الإيمان. ومن ناحية أخرى، فإن إسحاق بن إبراهيم تلقى علامة الإيمان قبل أن يكون لديه

الإيمان الذي تشير إليه العلامة (كما كان الحال هكذا بالنسبة لجميع أطفال العهد بعد ذلك).

والنقطة الهامة هي أنه في العهد القديم، أمر الله أن تُعطى علامة للإيمان "قبل" أن يكون الإيمان موجوداً. وبالنظر إلى أن الوضع كان على هذا النحو بجلاء، فإنه من الخطأ المجادلة، من حيث المبدأ، بأنه من الخطأ عمل علامة للإيمان قبل وجود هذا الإيمان.

ومن المهم أيضاً أن نلاحظ أن سجل حالات العماد في العهد الجديد كانت لأشخاص بالغين كانوا في السابق من غير المؤمنين. وكانوا من مسيحي الجيل الأول. غير أن القاعدة كانت دائماً تقضي بأن المتجددين الكبار (الذين لم يكونوا من أطفال المؤمنين في طفولتهم) عليهم أن يعلنوا إيمانهم أولاً قبل تلقي المعمودية، والتي هي علامة إيمانهم.

وربع حالات المعمودية المذكورة في العهد الجديد تقريباً كانت تشير إلى أن عائلات بكاملها كانت تُعمّد. وهذا ما يوحي بقوة، وإن لم يكن إثباتاً، بأن الأطفال كانوا ضمن الذين تعمدوا. وبالنظر إلى أن العهد الجديد لم يستبعد الأطفال صراحة من علامة العهد (كما كان الأمر يشملهم لآلاف من السنين حين كان الختان علامة للعهد) كان من الطبيعي أن يُفترض في الكنيسة الأولى أن تُعطي للأطفال علامة العهد.

والتاريخ يشهد لهذا الافتراض. فأول ذكر مباشر لمعمودية طفل كان في منتصف القرن الثاني الميلادي تقريباً. ومما هو جدير بالذكر فيما يختص بهذه الإشارة هي أنها تفترض أن عماد الأطفال كان ممارسة عامة للكنيسة. وإذا لم يكن عماد الأطفال يُمارس في كنيسة القرن الأول، فكيف حدث هذا الخروج عن الرأي المستقيم على هذا النحو من السرعة وعلى هذا المدى من الانتشار، وما سبب ذلك؟ ولم يكن الانتشار سريعاً وعاماً فقط، بل إن الكتابات المتبقية من ذلك العهد لا نجد بها أي جدل حول هذا الموضوع.

والعهد الجديد، بصفة عامة، أكثر شمولية من العهد القديم. ومع ذلك، فإن الذين يجادلون في صحة عماد الأطفال، يجعلونه أقل شمولية بالنسبة للأطفال، على الرغم من عدم وجود أي منع كتابي ضد معمودية الأطفال.

موجز

١. العهد الجديد لا يأمر بعماد الأطفال، أو يمنع ذلك صراحة.
٢. كي يدعموا حجتهم، فإن معارضي عماد الأطفال يشيرون إلى الفروق بين العهدين القديم والجديد، وإلى حقيقة أن المعمودية هي علامة للإيمان.
٣. يشير مؤيدو معمودية الأطفال إلى الاستمرارية بين الختان والمعمودية كعلامة للإيمان.
٤. معظم حالات المعمودية المذكورة في العهد الجديد كانت لمتجددين من البالغين ينتمون إلى الجيل الأول، وهم بالطبع لم يكونوا قد تعمدوا كأطفال.
٥. سجل المعموديات في العهد الجديد يشمل "عائلات" بأكملها، كانت بالطبع تتضمن أطفالاً ورُضعاً.
٦. يشهد تاريخ الكنيسة لممارسة عماد الأطفال بشكل شامل دون أي جدال وذلك في القرن الثاني الميلادي.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ١٧: ١-٤
أعمال ٢: ٣٨-٣٩
أعمال ١٦: ٢٥-٣٤

٨٢

عشاء الرب

عارض مارتن لوثر تعليم الكنيسة الكاثوليكية الخاص بالاستحالة الجوهرية لخبز القربان وخمره إلى جسد المسيح ودمه. فلم يجد لوثر مبرراً لهذا التعليم. بل وافق بالأحرى على أن حضور المسيح لم يحل محل الخبز والخمر، بل أضيف إليهما. وقال إن جسد المسيح ودمه موجودان بطريقة ما في عناصر الخبز والخمر وتحتها ومن خلالها.

وكان من العادة أن يطلق على وجهة النظر اللوثرية "ضد الاستحالة"، لأن جسد المسيح ودمه موجودة مع مادة الخبز والخمر. والمفكرون اللاهوتيون اللوثريون، لا يحبون مع ذلك تعبير Consubstatiation "الاستحالة دون تغيير". ويعترضون بأن هذا التعبير يفهم في عبارات وثيقة الصلة بتعليم الكنيسة الكاثوليكية الخاص بالاستحالة الجوهرية.

غير أنه من الواضح أن لوثر كان يصر على الوجود المادي والحقيقي ليسوع في عشاء الرب. وكان يكرر دائماً اقتباس كلمات يسوع التي أسس بها هذه الفريضة "هذا هو جسدي"، كي يثبت رأيه. ولم يكن لوثر يسمح بأخذ فعل الكينونة "هو" بمعنى رمزي أو نيابي. كما تبنى لوثر تعليم نقل الصفات والذي بواسطته نُقلت صفة الوجود في كل مكان إلى طبيعة يسوع البشرية، الأمر الذي جعل لجسده ودمه أن يتواجدا في أكثر من مكان في ذات الوقت.

ويجادل زوينجلي وآخرون بأن قول يسوع "هذا هو جسدي" يعني في الواقع أن "هذا "يمثل" جسدي". وكثيراً ما كان يسوع يستعمل فعل الكينونة "هو" بهذا المعنى الرمزي فقد قال: "أنا هو الباب"، "أنا الكرمة" إلخ. ويجادل زوينجلي وآخرون بأن جسد المسيح لا يُوجد في المادة الخاصة بعشاء الرب. وما هذه الفريضة إلا أمر للذكرى فقط، ووجوده فيها لا يختلف عن وجوده العادي من خلال الروح القدس.

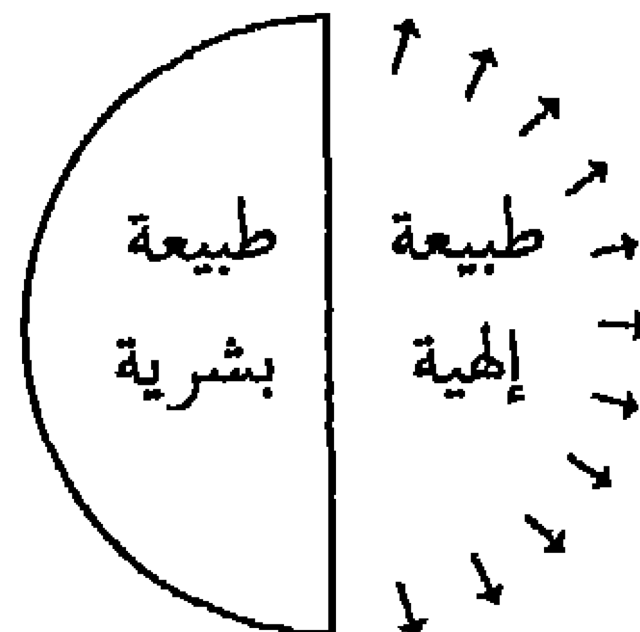
ومن ناحية أخرى، حين كان جون كالفن يجادل مع روما ولوثر، فإنه أنكر الوجود الحقيقي للمسيح في فريضة عشاء الرب. ومع ذلك حين كان يجادل مع التطهريين، الذين قالوا إن فريضة عشاء الرب ليست إلا للذكرى فقط، أصر على الوجود "الفعلي" للمسيح.

وللوهلة الأولى يبدو أن كالفن وقع في تناقض صارخ. ومع ذلك، وعند الفحص الدقيق، نرى أن كالفن استخدم كلمة Substantial بطريقتين مختلفتين. فحين كان يخاطب الكنيسة الكاثوليكية واللوثريين، استخدم هذه الكلمة بمعنى "مادي". فقد أنكر الوجود المادي للمسيح في عشاء الرب. وحين خاطب التطهريين، أصر على استخدام نفس الكلمة بمعنى "حقيقي". وهكذا جادل كالفن بأن المسيح كان موجوداً حقاً أو بالفعل في عشاء الرب ولو أن ذلك لم يكن بمعنى مادي.

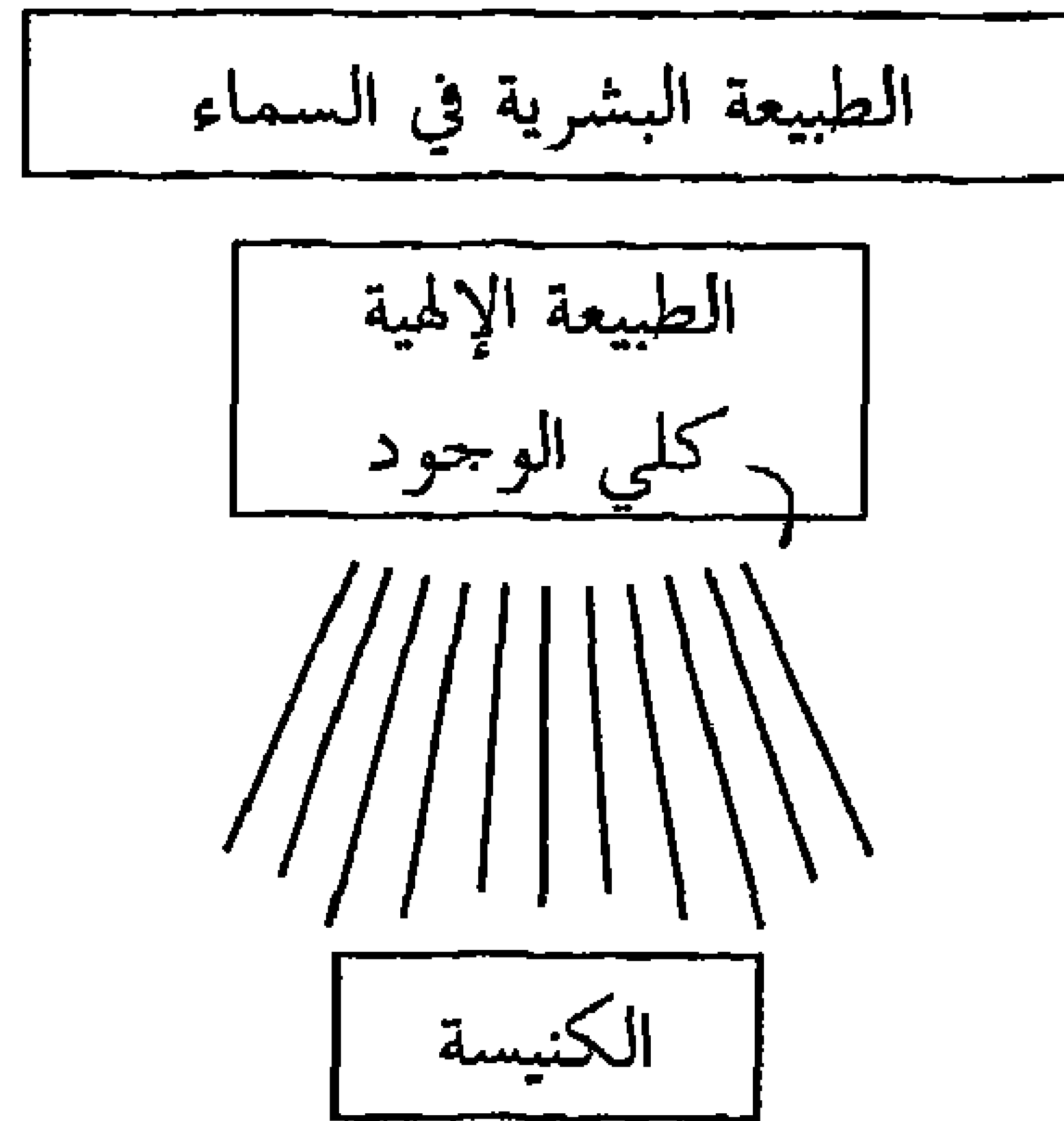
ولأن كالفن رفض فكرة انتقال السمات من الطبيعة الإلهية إلى الطبيعة البشرية، فقد اتهم بأنه "يفصل" أو "يقسم" طبيعتي المسيح ويرتكب الهرطقة النسطورية، التي أدينت في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م. ورد كالفن على ذلك بأنه لم يفصل بين الطبيعتين بل كان يميز بينهما.

وطبيعة يسوع البشرية متمركزة الآن في السماء. وتظل في وحدة تامة مع طبيعته الإلهية. وعلى الرغم من أن الطبيعة البشرية محتواة في مكان واحد، إلا أن أقنوم المسيح ليس محتوياً على هذا النحو، لأنه مازالت لطبيعته الإلهية القوة على التواجد في كل مكان. قال يسوع: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). وعلى الرغم من محدوديات الرسم التالي ومخاطرة سوء فهمه، إلا أننا نقدمه لتوضيح ما نقول.

يسوع



الطبيعة البشرية محدودة بالزمان والمكان. أما الطبيعة الإلهية فلا يحدها شيء.



فقرات كتابية للتأمل
متى ٢٦: ٢٦-٢٩
١كورنثوس ١٠: ١٣-١٧
١كورنثوس ١١: ٢٣-٣٤

وكان كالفن يعتقد أنه على الرغم من أن جسد المسيح ودمه يظلان في السماء، إلا أنهما من الناحية الروحية "جُعلا موجودين" بالنسبة لنا بواسطة طبيعة يسوع الإلهية التي تستطيع التواجد في كل مكان. وحيثما تكون طبيعة المسيح الإلهية حاضرة، فإنه يكون حاضراً بالفعل. وهذا يتناغم مع تعليم يسوع نفسه بأنه "يمضي"، ومع ذلك سيكون معنا. وحين نتقابل معه في عشاء الرب في وجوده الإلهي، فنحن نكون مع وجوده البشري بطريقة سرية، لأن طبيعته الإلهية لا تنفصل إطلاقاً عن طبيعته البشرية. والطبيعة البشرية تقودنا إلى المسيح الصاعد، وفي العشاء الرباني يتوفر لنا مذاق السماء.

موجز

١. كان لوثر يعلّم بأن جسد المسيح ودمه أُضيفا إلى عناصر الخبز والخمر، فيه وتحته ومن خلاله*
٢. علّم زوينجلي بالرأي القائل إن عشاء الرب إنما هو للذكرى فقط.
٣. أنكر كالفن الوجود المادي للمسيح في عشاء الرب، لكنه أكد الوجود الفعلي للمسيح.
٤. طبيعة يسوع البشرية متمركزة في السماء، أما طبيعته الإلهية فموجودة في كل مكان.

---

* يقصد أنه يحل فيها ولكنها لا تتحول إلى جسد المسيح ودمه.

٨٣

الاستحالة الجوهرية

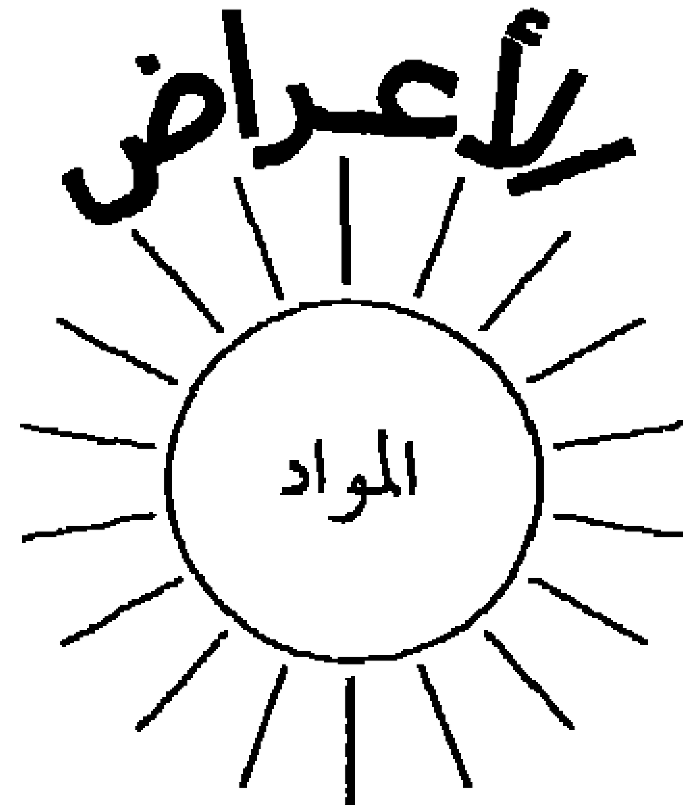
ليست هناك لحظة في حياة الكنيسة أكثر إجلالاً أو قداسة من لحظة الاحتفال بعشاء الرب، وهو يُسمى "الشركة المقدسة"، لأنه أثناء هذه الوجبة يحدث لقاء خاص بين يسوع وشعبه. وفي هذه اللحظة يكون يسوع حاضراً معنا بطريقة فريدة.

والسؤال هو، كيف يكون المسيح حاضرا معنا في "الشركة المقدسة"؟ كان هذا السؤال موضع جدل لا نهاية له بين المسيحيين. بل ولم يكن موضع خلاف بين البروتستانتية والكاثوليكية فقط، بل كان كذلك بين قادة الإصلاح: لوثر، كالفن، زوينجلي، حيث فشلوا في تسوية هذا الأمر بينهم.

وتعلم الكنيسة الكاثوليكية بتعليم تحول خبز القربان وخمره إلى جسد المسيح. وهذه الاستحالة الجوهرية تعني أنه أثناء صلاة القداس تحدث معجزة تتحول مادة العناصر الاعتيادية للخبز والخمر إلى مادة جسد المسيح ودمه. وبالنسبة للحواس البشرية لا يظهر الخبز والخمر أي تغيير منظور. لكن الكاثوليك يعتقدون أنه على الرغم من أن العناصر لا تزال تبدو خبزا وخمرا، ومذاقها مذاق الخبز والخمر، ورائحتها تبدو كرائحة الخبز والخمر إلخ، إلا أنها تصبح جسد ودم المسيح الحقيقيين.

ولكي تفهم المعجزة فهذا يتطلب منا أن نعرف شيئا عن فلسفة أرسطو، فقد علم أرسطو بعبارات بسيطة، أن كل شيء (كينونة) يتكون من "مادة" وأعراض خارجية. والمادة، هي الجوهر الأعمق، أو "مادة" الشيء. والأعراض تشير إلى مظهر الشيء الخارجي، الظاهري أو العرضي. إنها تشير إلى سمات الشيء الذي نراه ونشعر به، ونشمه، ونتذوقه.

ويرى أرسطو أنه كانت هناك دائماً علاقة لا يمكن فصمها بين الشيء وأعراضه. فشجرة البلوط - على سبيل المثال - لها دائماً المادة والأعراض الخاصة بكونها شجرة بلوط. وأن يكون للشيء مادة شيء وأعراض شيء آخر فهذا يتطلب معجزة.

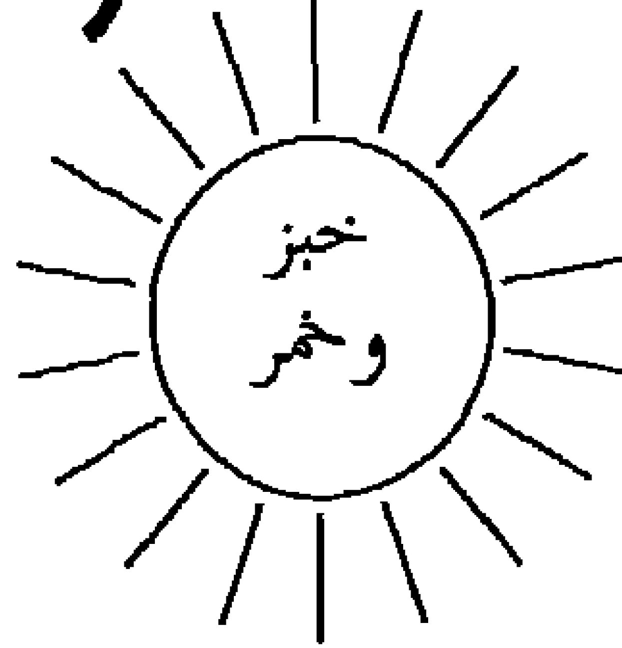


مادة = جوهر

الأعراض = سمات خارجية يمكن رؤيتها

هذه هي معجزة تحول خبز القربان وخمره إلى جسد المسيح ودمه. فعناصر الخبز والخمر تتحول إلى جوهر جسد المسيح ودمه. وفي غضون ذلك، تظل أعراض الخبز والخمر باقية. ولذلك، فإنه في القداس يكون لدينا جوهر جسد المسيح ودمه دون أعراض الجسد والدم، وأعراض الخبز والخمر دون جوهر الخبز والخمر.

وقبل أن تحدث المعجزة يكون لدينا جوهر الخبز والخمر وأعراضهما.

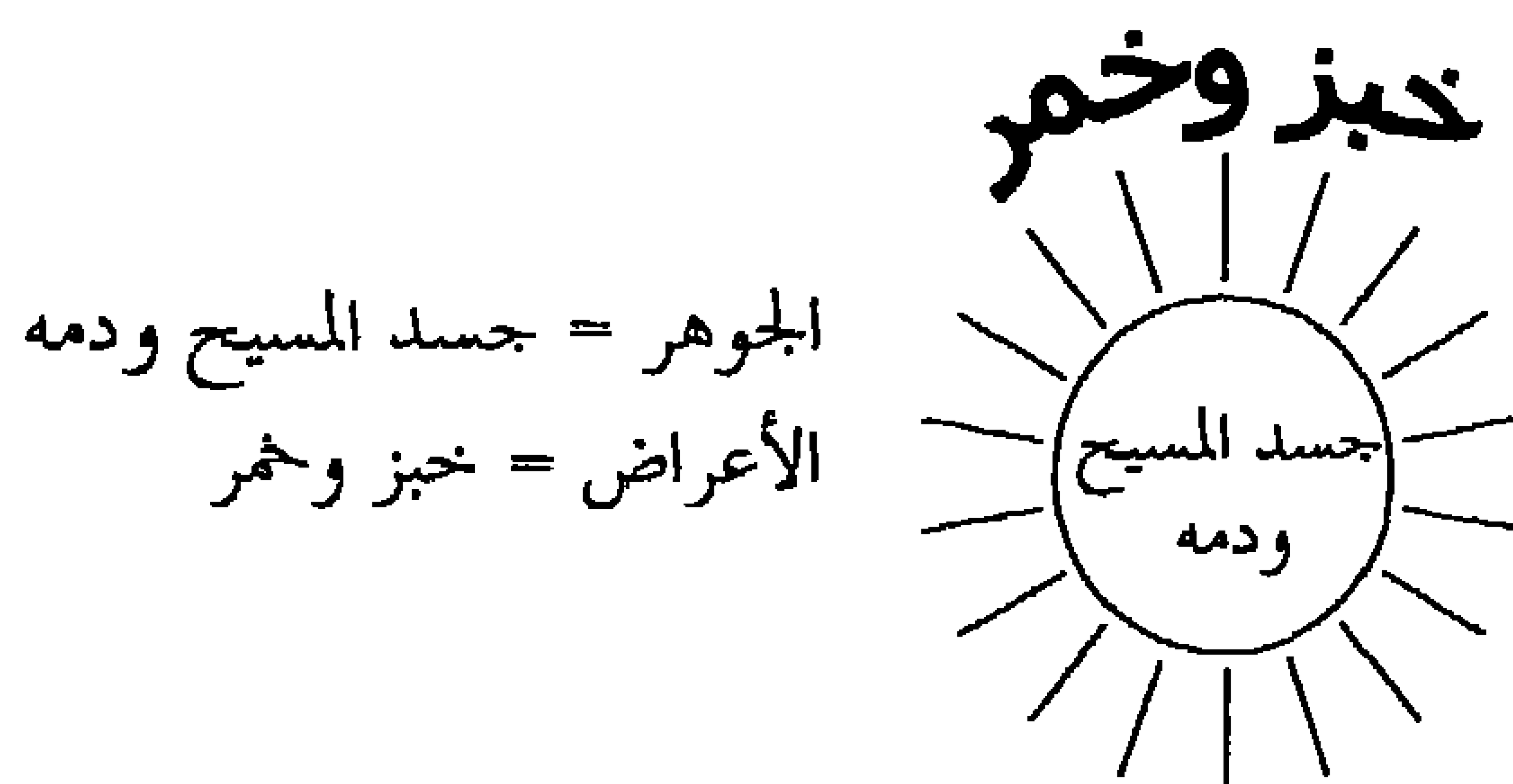


خبز وخمر = جوهرهما وأعراضهما معا

وبعد أن تحدث المعجزة، يكون لدينا جوهر جسد المسيح ودمه مع أعراض الخبز والخمر.

والأكثر أهمية من الجدل حول تحول خبز القربان وخمره إلى جسد المسيح ودمه، هو موضوع الطبيعة البشرية ليسوع. فالجسد والدم ينتميان إلى بشرية المسيح، وليس إلى ألوهيته. وبالنظر إلى أن خدمة القداس تقام في أجزاء مختلفة من العالم في ذات الوقت، فالسؤال هو:

كيف يمكن لطبيعة يسوع البشرية (الجسد والـــدم) أن تتواجـد في أكـثر من مكان واحد وفي ذات الوقـــت؟



فقرات كتابية للتأمل
مرقس ١٤: ٢٢-٢٥
١كورنثوس ١١: ٢٣-٢٦

فالقدرة على التواجد في كـل مكـان، أي أن يكـون متواجـداً في كـل مكان وبنفس القدر، هي سمة اللاهــوت وليس الناسـوت. وأن تنتشر طبيعة يسوع البشرية في العالم كله تتطلب تأليـه الطبيعـة البشـرية. وقـد علّم كل من لوثر والكنيسـة الكاثوليكيـة الرومانيـة أن الطبيعـة الإلهيـة ليسوع (والتي لها سمة التواجد في كل مكان بـالفعل) تنقـل هـذه القـدرة للطبيعة البشرية، حتى تتمكن الطبيعة البشرية - علـى الرغـم مـن أنها في العادة متمركزة - من أن تتواجد في أكثر من مكان في نفـس الوقـت.

أما بالنسبة لكالفن وآخريـن، فـإن فكـرة نقـل السـمات الإلهيـة إلى الطبيعة البشرية، تعد انتهاكاً لما قرره مجمـع خلقيدونيـة (٤٥١م)، الـذي أكد أن طبيعتي المسيح البشرية والإلهية، متحدتان بطريقـة، بحيـث تكونـا دون اختلاط ولا امتزاج، ولا انفصال، ولا تقسيم، حيـث تحتفـظ كـل طبيعة بسماتها. وهكذا فإن الاسـتحالة الجوهريـة (للخـبز والخمـر إلى جسد المسيح ودمه) بالنسبة لكالفن ولمعظم الكنـائس المصلحـة، تشـكل صيغة من هذه الهرطقـة.

موجز

١. التحول الجوهري معناه أنه أثنـاء صـلاة القـداس، يتحـول الخـبز والخمر بطريقة معجزية إلى جسد المسيح ودمـه، في حـين يظـلان محتفظين بمظهر الخبز والخمر بالنسبة لحواسـنا.

٢. المادة تشير إلى جوهر الشيء، في حين أن الأعراض تشير إلى سماته الظاهرة المرئية.

٣. تحول خبز القربان وخمره إلى جسد المسيح ودمه يتطلب تمكين الطبيعة البشرية للمسيح بأن يكون لها سمات إلهية حتى يستطيع كل من جسده ودمه أن يكونا في أكثر من مكان في ذات الوقت.

٤. عارض كالفن تحول خبز القربان وخمره إلى جسد المسيح ودمه، باعتبار ذلك انتهاكاً لما قرره مجمع خلقيدونية.

٨٤ السبت

تقديس السبت أمر مقرر منذ الخليقة. فبعد عملـــه في الخلـق مـدة ستة أيام، استراح الله في اليوم الســابع وقدسـه. وبتقديـس الله لهـذا اليـوم السابع فإنه يكون قد أفرزه عن بقية أيام الأسـبوع. لقـد كرسـه كيـوم مقدس. وحفظ السبت على نحو سـليم، كـان أمـراً تضمنتـه الوصايـا العشر التي أُعطيت على جبل سيناء. ومـن المـهم أن نتذكـر أن تعيينـه كان جزءاً لا يتجزأ من ميثاق الخليقة. وكان انتـهاك السـبت في العـهد القديم يُعد خطية مميتـة.

وكلمة "سبت" تعني "السابع". وهذا هو السـبب في أن البعـض يصـرون على أن يوم السبت هو اليـوم الوحيـد الصحيـح للاحتفـال بالسـبت، وإنه من غير المشروع حفظـه في يـوم الأحـد. ومـع ذلـك، كـانت المسيحية التاريخية تحفظ الأحد دائماً على أنه السبت، وذلـك مـرده أنـه في العهد الجديد هو "يوم الرب" فهو يوم قيامة المسـيح. ومبـدأ السـبت، واحد من السبعة، يتبقى دون مساس. وكان السـبت الأسـبوعي قائمـاً بصفة دائمة منذ الخليقة، وكان الرسـل يحفظونـه.

وتظل الأسئلة التي تدور حول الحفظ الصحيـح للسـبت موضـع جـدل بين المفكرين اللاهوتيين. ومعظمهم يتفقـون علـى أن السـبت يتضمـن تفويضا للراحة من كل شيء باستثناء ما هو ضـروري جـدا في التجـارة أو العمـل.

والسبت أيضا وقت للعبـادة الجماعيـة، ولدراسـة كلمـة الله باهتمـام. وهو وقت مميز للفرح فيه بقيامة المسـيح، وفي رجـاء سـبت راحتنـا في السـماء.

والخلافات تتركز حـول دور الاسـتجمام وأعمـال الرحمـة. فـالبعض يعتبرون الاستجمام انتهاكاً دنيوياً للسبت، في حين يصـر آخـرون علـى أن ذلك جزء هام من الراحة والانتعـاش.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ٢: ١-٣
خروج ٢٠: ٨-١١
إشعياء ٥٨: ١٣-١٤
متى ١٢: ١-١٤
أعمال ٢٠: ٧
١كورنثوس ١٦: ١-٢
رؤيا ١: ١٠

ولا يوجد موضع في الكتاب المقدس يعزز أو يمنع الاستجمام في السبت بشكل صريح، على الرغم من أن معنى "مسرة" في إشعياء ٥٨: ١٣ قد يُوحي بأنه ممنوع.

وثمة جدل أقل صراحة يركز على موضوع أعمال الرحمة. وكثيرون يستندون إلى مثال يسوع بالنسبة للخدمة الخاصة في يوم السبت على أنه وصية واضحة للمسيحيين أن ينخرطوا بنشاط في أعمال الرحمة في السبت، وذلك مثل زيارة المرضى. وآخرون يجادلون أن مثال يسوع يثبت أنه من المشروع والمستحسن أن ننخرط في أعمال على هذا النحو، ولكن ما سُمح به ليس بالضرورة أن يكون مطلوباً (وواضح أن أعمال الرحمة هذه ليست قاصرة على السبت).

موجز

١. أُسس حفظ يوم السبت عند الخليقة ومازال سارياً.
٢. "السبت" معناه "السابع". ويشير إلى دوره يوم واحد في السبعة أيام.
٣. احتفلت الكنيسة الأولى بالسبت في يوم الرب، حيث نقلت السبت إلى الأحد (أول أيام الأسبوع).
٤. يتطلب السبت التوقف عن الأعمال المنتظمة (باستثناء العمل الضروري) ويتجمع فيه المؤمنون في عبادة جماعية.
٥. هناك خلاف حول مدى صحة الاستجمام، وضرورة أعمال الرحمة في السبت.

٨٥

الأقسام والنذور

فيما كنت ولداً صغيراً سمعت قصة خرافية عن جورج واشنطن وشجرة الكرز. حين واجه جورج واشنطن أباه الغاضب بسبب تدمير متعمد لشجرة الكرز قال الصبي: "أنا لا أستطيع أن أكذب، أنا الذي قطعت الشجرة".

لقد استغرقني الأمر سنوات لأعرف أن اعتراف جورج واشنطن كان في الحقيقة كذباً. فإن عبارة "أنا لا أستطيع أن أكذب" تُعد كذباً بالنسبة لقدرتك على الكذب. هناك أشياء عديدة لا يستطيع جورج واشنطن أن يعملها: فهو لا يستطيع الطيران، ولا يستطيع التواجد في أكثر من مكان واحد في نفس الوقت إلخ. غير انه يستطيع أن يكذب. لأنه إنسان. فكل البشر قادرون على الكذب. ويقول الكتاب المقدس "كل إنسان كاذب" (مزمور ١١٦: ١١). وهذا يعني أن كل إنسان يكذب طوال الوقت. كما أنه لنا القدرة أيضا على قول الحق. والمشكلة تبرز حين يطلب منا أن نثق في كلمة شخص ما، ولا نعرف على وجه اليقين ما إذا كان يقول الحق أم لا.

ولكي نؤكد أهمية الحقيقة في قطعنا لوعودنا وتقديم شهاداتنا الهامة، نلجأ إلى الحلف والقسم. وقبل تقديم الشهادة في المحكمة، يطلب من الشاهد أن يحلف، فيقول "أقسم بأن أقول الحق، كل الحق، ولا شيء غير الحق، فساعدني يا الله".

وفي القسم، تكون المناشدة لله، والله وحده باعتباره الشاهد الأسمى على ما نقوله. فالله هو الشاهد على الحلف، والقسم والنذور. وهو نفسه مصدر كل صدق ولا يستطيع أن يكذب. وما قيل كذباً عن جورج واشنطن هو صحيح بالنسبة لله. ذلك أن الله هو "المنزه عن الكذب" (تيطس ١: ٢، عبرانيين ٦: ١٧-١٨). ولا يتحمل الكاذبين. وهو يحذر من الاندفاع إلى النذر الكاذب: "فأوف بما

نذرته. أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفي" (جامعة ٥: ٤-٥) وتتضمن الوصايا العشر، وصية ضد الشهادة الزور (خروج ٢٠: ١٦).

وبالنظر إلى أن علاقتنا مع الله تقوم كلها على مواعيد العهد، فقد قدس الله موضوعات الحلف والنذور والوعود. والثقة في العلاقات بين الناس (مثل الزواج واتفاقيات العمل) أمر ضروري لخير المجتمع. والقسم الشرعي جزء من العبادة، حيث إن الناس يستهدفون به تأكيد صحة ما يقولون، فمن ثم يستشهدون بالله على ما يؤكدونه أو يعدون به. وتداعيات ذلك أنه إذا ما وُجد الذين يحلفون كانوا يكذبون، فلسوف يعاقبهم الله بسرعة وبقسوة.

فقرات كتابية للتأمل

تثنية ١٠: ٢٠

٢أخبار الأيام ٦: ٢٢، ٢٣

عزرا ١٠: ٥

متى ٥: ٣٣-٣٧

يعقوب ٥: ١٢

وأكدت الكنيسة المسيحية دائماً قيمة الحلف والقسم. والموقعون على إقرار إيمان ويستمنستر ذكروا الحدود والشروط الكتابية التالية:

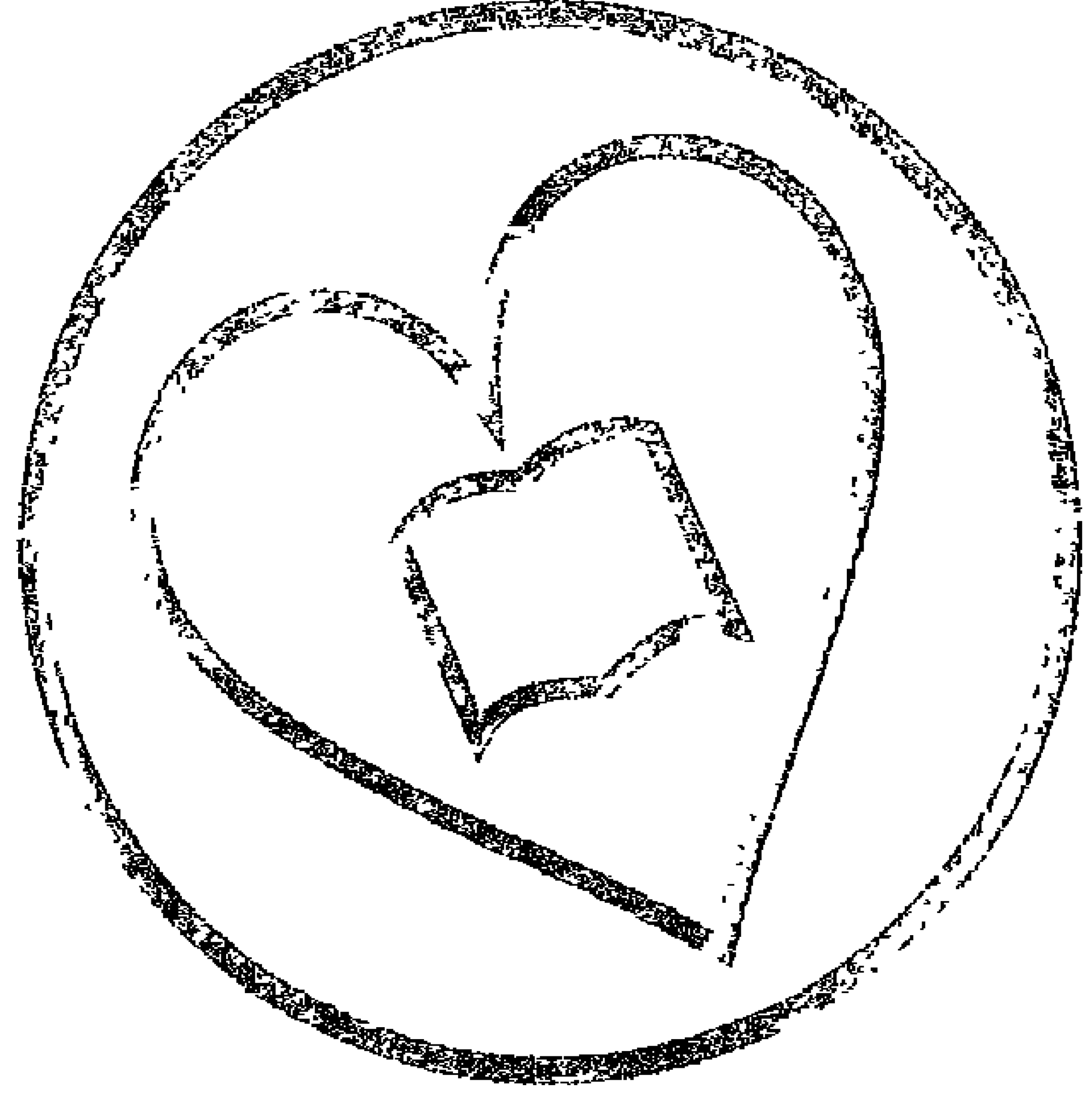
لا يجب أن يحلف الناس إلا باسم الله فقط، وفي هذه الحالة ينبغي أن يُستخدم بكل خوف وتبجيل مقدسين. وعلى ذلك فإن الحلف باطلاً، أو بتهور بذلك الاسم المجيد المخوف، أو الحلف بأي شيء آخر، يُعد خطية ويجب أن يكون شيئاً ممقوتاً. ومع ذلك، فإنه في المواقف الاضطرارية، يُسمح الحلف بكلمة الله، سواء في ظل العهد الجديد أو القديم، وهكذا فإن الحلف القانوني إذا ما فُرض من سلطة قضائية يجب اتخاذه.

وهناك شرط آخر، وهو أن الحلف لا يجب أن يتم في ظل المراوغة أو النية المبيتة. فالله لا يحب النوايا السيئة، ولكنه يتوقع الأمانة. ولا يجب الاستخفاف بالحلف، ويجب ألا يحلف المؤمن إلا في المناسبات التي تحتم ذلك، أو الوعود الكبيرة. وحتى الحكومات أدركت ذلك، ولهذا تصر على القسم عند الزواج، أو قبل الإدلاء بشهادة قانونية. وفضلاً عن ذلك، فحتى في المناسبات الأقل أهمية، مطلوب من المؤمن أن يكون أميناً – وأن تكون نعمه نعم، ولاؤه لا. وهذه هي مسئولية كل تلميذ أمين ليسوع.

موجز

١. البشر لديهم القدرة على الكذب.
٢. الله، مصدر الصدق، لا يمكنه أن يكذب، وهو حارس الصدق.
٣. الحلف والنذر يشكلان جزءاً شرعياً من العبادة.
٤. لا يجب الحلف إلا باسم الله فقط. فما من مخلوق يمكنه أن يكون الشاهد الأساسي للحق.
٥. لا يجب التهور عند القسم، أو القسم مع وجود نية سيئة.

الجزء التاسع



الروحانية والحياة في هذا العصر

٨٦

ثمر الروح

ثمر الروح من أكثر نواحي التعليم الكتابي عـــن التقديـــس والـــتي نهملـــها. وهناك أسباب مختلفة لـــــذلك:

١. *الانشغال بالأمور السطحية*. وعلى الرغم مـــن أن الطلبـــة كثـــيراً مـــا يتذمرون حين يواجهون الاختبارات في المدرسة، إلا أن هنـــاك ناحيـــة مـــا تبين أننا في الواقع نريدها. فالاختبارات الـــتي تقيـــس المـــهارة، الإنجـــاز، المعرفة التي تنشرها المجلات تلقى رواجاً دائماً. فالنـــاس يحبـــون أن يعرفـــوا مدى جدارتهم. هل حققت الامتيـــاز في محاولـــة معينـــة؟ أم أن قـــدراتي ضئيـــلة؟

والمسيحيون ليسوا استثناء من ذلك، فنحـــن نميـــل إلى قيـــاس تقدمنـــا في التقديس باختبار أداءنا على أساس معايير خارجية. هل نحـــن نلعـــن؟ هـــل نشرب الخمر؟ هل نذهب إلى السينما؟ كثيرا ما تســـتخدم هـــذه المعايـــير لقياس روحانيتنا. أما الاختبار الحقيقي - دليل ثمـــر الـــروح - كثـــيرا مـــا يتم تجاهله أو يقلل مـــن شـــأنه. وهـــذا هـــو الفـــخ الـــذي وقـــع فيـــه الفريســـيون.

نحن نتراجع عن الاختبار الحقيقي لأن ثمر الروح غـــير واضـــح تمامـــا. إن طلباته من السمات الشخصية تفـــوق كثـــيرا جـــدا المظـــاهر الســـطحية الخارجية والرجوع عن اللعن أسهل كثيرا مـــن اكتســـاب عـــادة الصـــبر التي يتسم بها الأتقيـــاء.

٢. *الانشغال بالمواهب*. نفس الروح القدس الـــذي يقودنـــا إلى القداســـة، وينتج ثمره فينا هو أيضا الذي يعطي المؤمنـــين مواهـــب روحيـــة. ويبـــدو أننا مهتمون بمواهب الروح بأكثر كثـــيرا مـــن اهتمامنـــا بثمـــره، علـــى الرغم من التعليم الكتابي الواضح بأن الإنســـان قـــد يمتلـــك مواهـــب في الوقت الذي لا يكون فيه ناضجا في التقـــدم الروحـــي. ورســـائل بولـــس إلى أهل كورنثوس توضح ذلك بدرجـــة كبـــيرة.

٣. *مشكلة غير المؤمنين المستقيمين أخلاقياً*. إنه لأمر محبط أن نقيس تقدمنا في القداسة بثمر الروح، في الوقت الذي نجد فيه الفضائل المذكورة بين ثمر الروح تظهر أحياناً في غير المسيحيين بدرجة أكبر مما تظهر في المسيحيين. ونحن جميعاً نعرف أشخاصاً من غير المؤمنين ممن يظهرون لطفاً أو صبراً أكثر مما يظهره كثيرون من المسيحيين. وإذا كان بوسع الناس أن يكون لديهم "ثمر الروح" بمعزل عن الروح القدس، فكيف يتسنى لنا أن نحدد نمونا الروحي في هذه الحالة؟

فقرات كتابية للتأمل

رومية ١٢: ١-٢١

١كورنثوس ١٢: ١-١٤: ٤٠

غلاطية ٥: ١٩-٢٦

أفسس ٤: ١-٦: ٢٠

هناك فرق نوعي بين فضائل المحبة، الفرح، السلام، الصبر إلخ، التي يولدها فينا الروح القدس، وتلك الفضائل التي نراها في غير المؤمنين. فغير المؤمنين يعملون على أساس دوافع أنانية تماماً. غير انه حين يظهر المؤمنون ثمار الروح، فإنهم يظهرون سمات هي في أساسها موجهة لله وللآخرين. وكون المؤمن ممتلئ من الروح القدس، معناه أن الروح القدس يسيطر على حياته، ثم إن غير المؤمنين لا يستطيعون إظهار هذه الفضائل الروحية إلا في إطار قدرة البشر.

وقد ذكر الرسول بولس ثمر الروح في رسالته إلى غلاطية: "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف" (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣). ويجب أن تتسم حياة كل مسيحي بهذه الفضائل. وإذا امتلأنا بالروح القدس، فلسوف نظهر ثمر الروح. غير أن هذا بالطبع يستغرق وقتاً. فهذه ليست تعديلات سطحية في الشخصية تحدث بين عشية وضحاها. فهي تتضمن إعادة تشكيل أعمق لميول القلب، وهذه عملية تقديس يقوم بها الروح القدس تستغرق العمر كله.

موجز

١. نميل إلى إهمال دراسة ثمر الروح وذلك لأننا: (أ) مشغولون بأمور خارجية (مظاهر سطحية). (ب) مشغولون بمواهب الروح. (ج) نعرف أن كثيرين من غير المؤمنين يظهرون الفضائل الروحية أفضل من مسيحيين كثيرين.

٢. قياس الروحانية بالمظاهر السطحية أسهل من قياسها بثمر الروح.

٣. يمكن أن تكون لنا مواهب روحية ومع ذلك نظل غير ناضجين.

٤. هناك فرق نوعي بين وجود الفضـــائل الروحيــة في غــير المؤمنــين والمؤمنين وهي بالنسبة لغير المؤمنين، تكــون مجــرد جــهد بشــري. وبالنسبة للمسيحيين، فإن الله الروح القدس هــو الــذي ينتــج ثمــر الروح وبمقياس يفوق قدرة الإنســـان.

٨٧

المحبة

المحبة في مجتمعنا يتم الحديث عنها عـادة بعبـارات سـلبية. أي أن الحـب شيء يحدث لنا وليس لنا سيطرة عليه. ونحـن "نقـع" في الحـب. ونحـن أساساً نتكلم على هذا النحو لأننـا نربـط الحـب بشـعور أو عاطفـة خاصة. ومثل هذه العاطفـة لا يمكـن إنتاجـها بـالضغط علـى أحـد الأزرار، أو بعمل متعمد من الإرادة. فنحـن لا نقـرر أن نقـع في الحـب مع شخص مـا.

ومع ذلك، يتحدث الكتاب المقدس عن المحبـة بعبـارات أكـثر فعاليـة. ومفهوم المحبة يعمل كفعل بأكثر مما يعمـل كاسـم. والمحبـة واجـب – عمل نحن ملزمون بالقيام به. الله يأمرنـا بـأن نحـب قريبنـا، وشـريك حياتنا، بل وأن نحب أعداءنا. وأن يكـن الإنسـان مشـاعر المحبـة نحـو أعدائه فهذا شيء، أما أن تتصرف معهم في إطار من المحبـة فـهذا شـيء آخـر.

والكتاب المقدس به مفهوم معقد عن المحبة تم التعبير عنـه بكلمـات قليلـة نسبيا. فالعهد القديم وبشكل دائم يستخدم كلمـة عبريـة واحـدة هـي "Aheb" للتعبير عن المحبة. أما العهد الجديـد فيسـتخدم بصفـة أساسـية كلمتين يونانيتين تترجمـان محبـة همـا Phileo وagape. و"فيلـو" هـي الكلمة التي اشتق منها اسـم مدينـة فلادلفيـا (وتعـني "مدينـة المحبـة الأخوية")، وهي الكلمة اليونانية التي تسـتخدم للإشـارة إلى المحبـة الـتي بين الأصدقاء. وعلى النقيض من ذلك كلمـة "Eros" والـتي لم تسـتخدم في الكتاب المقدس، وهي تشير بالأكثر إلى المحبـة الجنسـية أو الشـهوانية. وهذا هو الحب الذي كثيراً ما نربـط بينـه وبـين الرومانسـية. وهاتـان النوعيتان من المحبة يشترك فيها البشر جميعاً. ونوعية المحبـة هـذه تميـل إلى أن تحفزها المصلحة الذاتية، والإمتاع الذاتي، وحمايـة الـذات.

ومع ذلك يصف العهد الجديد نوعيـة ثالثـة مـن المحبـة. تُـترجم عـن الكلمة اليونانية Agape، وهي محبة تأتي علـى النقيـض مـن العواطـف

الأساسية الأخرى. وأهم صفة تميز هذه المحبة هي عدم وجود المصلحة الذاتية. فهي تنبع من قلب يهتم بالآخرين، وقد ذكر الرسول بولس سماتها في كورنثوس الأولى ١٣، هي محبة تتأنى وترفق، لا تحسد ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق. وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء ولا تسقط أبداً. ولذلك فالمحبة الكتابية أكثر من مجرد عاطفة. فهي فعالة. ودعوة المسيحي ليست في أساسها أن تكون لديه مشاعر محبة للآخرين. ففي كثير من الحالات تكون هذه خارج سيطرته. ومع ذلك، بوسعنا أن نتحكم في الكيفية التي نرد بها ونتصرف تجاه شخص معين. فيتعين على المسيحي أن يكون محباً، يكون مرآة محبة الله التي لا تعرف الأنانية.

إذاً، المحبة الفعالة للآخرين هي ثمر الروح الأساسي. وكما قال الرسول بولس: "أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة (كورنثوس الأولى ١٣: ١٣).

وبقدر ما تظهر محبتنا للآخرين طبيعة محبة الله لنا وتعكسها، هنا يمكن أن تُسمى المحبة الراسخة، محبة تتحمل بإخلاص. وهي تتسم بالأمانة – الأمانة القائمة على الثقة. ومثل هذه المحبة لا تستطيع أن تكون متقلبة، إنها محبة الالتزام الدائم.

فقرات كتابية للتأمل

تثنية ٦: ٤-٥

متى ٥: ٤٣-٤٨

١كورنثوس ١٣: ١-١٣

أفسس ٥: ٢٥-٣٣

١يوحنا ٤: ٧-٢١

موجز

١. المحبة الكتابية هي المحبة الفعالة.
٢. المحبة الكتابية واجب أمر به الله.
٣. من بين الكلمات اليونانية المختلفة التي تُترجم محبة، هناك ثلاث كلمات هامة يجب التمييز بينها:
   (أ) phileo = محبة أخوية.
   (ب) éros = محبة جنسية أو رومانسية.
   (ج) agape = محبة إلهية أو روحية.
٤. المحبة الإلهية تعكس محبة الله الراسخة وهي موجهة نحو الآخرين.

٨٨

الرجاء

نحو "نرجو" أشياء كثيرة في هذا العالم. فنحن نرجو أن نتلقى زيادة في مرتباتنا. ونرجو أن يفوز فريقنا المفضل في الدورات العالمية. وهذه النوعية من الرجاء تعبر عن رغباتنا الشخصية بالنسبة للمستقبل. ولنا رجاء يختص بأمور كثيرة غير مؤكدة. فنحن لا نعرف ما إذا كانت رغباتنا ستتحقق أم لا، لكننا نتمسك بالرجاء في أنها ستتحقق.

ومع ذلك، فحين يتحدث الكتاب المقدس عن الرجاء، فإنه يقصد بذلك شيئاً مختلفاً. فالرجاء الكتابي هو اعتقاد راسخ بأن مواعيد الله المستقبلية سوف تتحقق. فالرجاء ليس مجرد رغبة ما، بل هو "يقين" بما سوف يحدث.

الرجاء "الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب" (عبرانيين ٦: ١٩).

والرجاء يأخذ مكانه إلى جانب الإيمان والمحبة كأحد الفضائل المسيحية التي ذكرها بولس في كورنثوس الأولى ١٣: ١٣. فالرجاء هو إيمان موجه نحو المستقبل.

والكتاب المقدس يتحدث عن الرجاء بطريقتين. الاستعمال الأقل شيوعاً يشير إلى موضوع رجائنا. ويسوع هو رجاؤنا في الحياة الأبدية. أما الاستعمال الأكثر شيوعاً هو موقف اليقين فيما يتعلق بتحقيق مواعيد الله. والمسيحي مدعو إلى أن يرجو، أي أن يكون له يقين تام في قيامة شعب الله ومجيء ملكوت الله. والرجاء مرتبط بالآخرويات برباط لا ينفصم أبداً.

ويذكر الرسول بولس المسيحيين أنه إلى أن يأتي الملكوت في ملئه، لا يمكن للمؤمنين إلا أن يكون لهم رجاء يقيني، وعليهم أن يسلكوا بالإيمان لا بالعيان (انظر كورنثوس الثانية ٥: ٧)، وهذا الرجاء لا يفتقر إلى مبرر أو أساس. وعلى الرغم من أن حياة المسيحي تتسم

بالآلام بأكثر مما تتسم بالنصرة (كورنثوس الأولى ٤: ٨-١٣، كورنثوس الثانية ٤: ٧-١٨)، إلا أن أساس رجائنا هو الله.

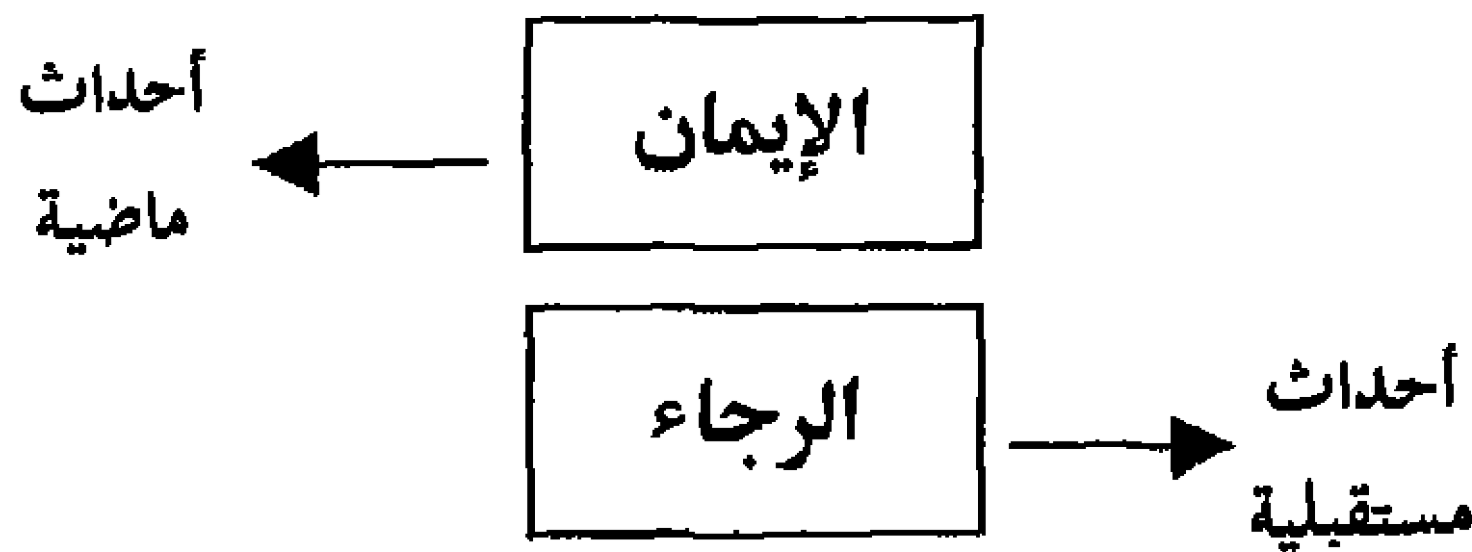
فقرات كتابية للتأمل
أيوب ١٣: ٥
رومية ٥: ١-٥
رومية ٨: ١٨-٢٥
تيطس ٢: ١١-١٤
١يوحنا ٣: ١-٣

أولاً، المؤمن ينظر إلى موت المسيح وقيامته. فقد كان موته يشكل أحلك وقت بالنسبة لتلاميذه. لقد مات المسيا المنتظر، وبدا أن ملكوته قد ضاع. وبعد القيامة تحول هذا اليأس إلى رجاء. فإلى جانب الألم، سواء كان كبيراً أم بسيطاً، يجب أن يصمد الرجاء فالله دائماً أمين وفيه الكفاية.

ثانياً، لدى المؤمن الروح القدس كعربون للملكوت. ووجوده يؤكد لنا أن الملكوت سيكتمل تماماً. والروح القدس ليس علامة للرجاء فقط، بل إنه الذي يدعم الرجاء. وهو يقوم بدور المعزى، ويمنطق المؤمن بالقوة والرجاء. إن الروح القدس هو الذي يشجع المؤمن على الصلاة للآب قائلاً "ليأت ملكوتك".

موجز

١. الرجاء الكتابي هو يقين وليس مجرد رغبة.
٢. الرجاء فضيلة وليس ضعفا.
٣. الإيمان هو الثقة فيما عمله الله بالفعل. والرجاء هو الثقة فيما وعد به الله بالنسبة للمستقبل.
٤. قيامة المسيح تعطي الرجاء في وسط الألم.
٥. الروح القدس، المعزي، يعطينا رجاء، ووجوده ضمان لمجيء ملكوت الله.



٨٩

الصلاة

بوسعنا أن نتكلم مع الله. وهو يتكلم معنا لفظياً بكلمته، وبدون ألفاظ من خلال عنايته الإلهية الواضحة. كما أننا نحدثه من خلال الصلاة. ويقول تشارلز هودج "الصلاة هي حديث الروح مع الله". ففي الصلاة وبواسطتها نعبر عن توقيرنا وعبادتنا لله، فنحن نعري نفوسنا في اعتراف وندم أمامه، ونسكب شكر قلوبنا المعترفة بالجميل، كما نقدم له توسلاتنا وتضرعاتنا.

وفي الصلاة، نختبر الله كإله شخصي وقوي. فهو يستطيع أن يسمعنا ويستجيب لنا. ويعلم الكتاب المقدس بقضاء الله المسبق، وبفعالية الصلاة. والأمران ليسا متنافرين، لأن الله يقدر الوسائل الخاصة بمقاصده الإلهية كما يقدر غاياتها .. والصلاة وسيلة يستخدمها الله كي يحقق من خلالها مشيئته الإلهية.

ويجب أن توجه الصلاة لله وحده، إما لله باعتباره الثالوث الأقدس، أو إلى كل أقنوم من الأقانيم الإلهية. أما الصلاة للمخلوقات فهي وثنية.

والصلاة الصحيحة لها متطلبات عديدة: أولها أن تتقدم إلى الله بإخلاص. فالعبارات العقيمة غير المخلصة تعتبر سخرية منه. ومثل هذه الصلاة، إذ هي أبعد ما تكون عن ممارسة الديانة في إطار تقوي، فإنها تعد أيضا إساءة موجهة لله.

الأمر الثاني، هو أن نتقدم إلى الله في وقار. وينبغي علينا أن نتذكر دائما في الصلاة إلى من نحن نتكلم. ومخاطبة الله بخيلاء، أو بدون كلفة أو دون احترام، كما لو كنا نتحدث مع أصدقائنا من البشر، معناه أننا نعامله باحتقار. وكما يعلن الشعب الولاء والتبجيل للملك بالدخول إلى محضره بوضع يدل على الاحترام والإجلال، هكذا يتوجب أن نأتي أمام الله معترفين تماما بعظمته السامية.

المطلب الثالث، والذي يتأتى من المطلبين السابقين، هو أن نتقدم إلى الله باتضاع. وليس علينا فقط أن نتذكر من هو الله، بل يتوجب أن نتذكر أيضاً من نحن، وماذا نكون. فنحن أولاده بالتبني، كما أننا بشر خطاة. وهو يدعونا أن نتقدم إليه بثقة، ولكن دون غطرسة على الإطلاق.

ويطلب منا الله أن نكون متحمسين حارين في طلباتنا. وفي نفس الوقت نتقدم في خضوع بكامل إرادتنا. وأن نقول "لتكن مشيئتك" لا يُعد دلالة على الافتقار إلى الإيمان. والإيمان الذي ينبغي أن يصاحب الصلاة يتوجب أن يتضمن ثقة في أن الله قادر على أن يسمع صلواتنا، وأنه يرغب في الاستجابة لها.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ٥: ١-٣
يوحنا ١٤: ١٣-١٤
رومية ٨: ٢٦-٢٧
فيليبي ٤: ٦-٧
١يوحنا ٥: ١٤-١٥

ومع ذلك، فحين يرفض الله طلباتنا، فإن هذا الإيمان يثق أيضاً في حكمته. وحكمة الله وطبيعته الخيرة يجب دائماً وفي كل مكان، أن تكون نصب عيني كل من يتضرع إليه.

ونحن نصلي باسم يسوع لأننا بهذا نعترف بدوره كوسيط. والمسيح كرئيس كهنتنا الأعظم هو شفيعنا، كما أن الروح القدس هو معيننا في الصلاة.

والعناصر التالية تعد وسيلة نافعة لتعلم الصلاة، حيث إن كلا منها يشكل عنصرا حيويا من عناصرها:

التوقير، الاعتراف، الشكر، التضرع.

وبمراعاة هذه العناصر البسيطة نتأكد من أن صلاتنا قد تضمنت العناصر الصحيحة للصلاة.

موجز

١. الصلاة هي حديث مع الله.
٢. الصلاة يجب أن توجه لله وحده.
٣. يجب أن تتسم الصلاة بالإخلاص، والاحترام، والتواضع.
٤. أوصانا الله أن نكون حارين وملحين في الصلاة.
٥. صلاة الإيمان هي الصلاة التي نثق فيها بحكمة الله وتعطفاته.
٦. التوقير، الاعتراف، الشكر، التضرع، من العوامل التي تتضمنها الصلاة الصحيحة.

٩٠

اللاناموسية

كانت هناك قصيدة تُعد بمثابة أغنية معادية للناموس. وقد جاء بها: "تحررت من الناموس، يا لها من حالة مباركة، أستطيع أن أخطئ كما أريد، ومع ذلك لازلت أتمتع بالغفران".

واللاناموسية معناها الحرفي "ضد الناموس". وهي تنكر أو تحط من شأن ناموس الله في حياة المؤمن. وهذه هرطقة عكس هرطقة توأم لها وهي هرطقة الناموسية (التمسك الحرفي بالناموس).

واللاناموسيون يكتسبون مقتهم للناموس بطرق عديدة. البعض يعتقدون أنهم لم يعودوا بعد ملزمين بحفظ ناموس الله الأدبي لأن يسوع حررهم منه. ويصرون على أن النعمة لا تحررنا فقط من لعنة الناموس، بل تخلصنا من أي التزام لطاعته. وهنا أصبحت النعمة (عندهم) رخصة للعصيان.

أما الأمر الذي يدعو للدهشة فهو أن الناس يتبنون هذا الرأي على الرغم من تعليم الرسول بولس القوي ضده. وبولس - أكثر من أي كاتب آخر من كتبة العهد الجديد - يؤكد على إبراز الفرق بين الناموس والنعمة. وكان يفتخر بالعهد الجديد، ومع ذلك كان واضحا للغاية في شجبه لمعاداة الناموس. وفي رومية ٣: ٣١ يقول: "أفنبطل الناموس بالإيمان. حاشا. بل نثبت الناموس".

أما مارتن لوثر، عند توضيحه لتعليم التبرير بالإيمان وحده، اتُهم بأنه ضد الناموس. ومع ذلك فقد أكد مع يعقوب أن "الإيمان بدون أعمال ميت" وقد جادل لوثر مع تلميذه يوهان أجريكولا حول هذا الموضوع. فقد أنكر أجريكولا أن للناموس أي دور في حياة المؤمن. بل إنه أنكر حتى دور الناموس في إعداد الخاطئ للنعمة. ورد لوثر على أجريكولا بكتابه "ضد اللاناموسية" سنة ١٩٥٣. وفي وقت

لاحق أنكر أجريكولا تعاليمه المعادية للناموس، غير أن الموضوع ظل كما هو.

وقد أكد المفكرون اللاهوتيون اللوثريون بعد ذلك وجهة نظر لوثر حول الناموس. وفي كتاب "صيغة تناغم" (١٥٧٧)، وهي آخر أقوال اللوثرية التقليدية عن الإيمان ذكروا ثلاثة استخدامات للناموس: (١) يكشف الخطية. (٢) يرسخ لياقة عامة وآدابا للسلوك في المجتمع بصفة عامة. (٣) يقدم قاعدة للحياة لأولئك الذين ولدوا ثانية بالإيمان بالمسيح.

فقرات كتابية للتأمل

يوحنا ١٤: ١٥

رومية ٣: ٢٧-٣١

رومية ٦: ١-٢

١يوحنا ٢: ٣-٦

١يوحنا ٥: ١-٣

وغلطة اللاناموسية الكبرى هي خلطها بين التبرير والتقديس. ونحن نتبرر بالإيمان فقط، ولا علاقة للأعمال بذلك. ومع ذلك، كل المؤمنين ينمون في الإيمان بحفظ وصايا الله المقدسة - ليس لكسب رضاء الله، بل بدافع من العرفان والمحبة لنعمة الله السابق أن أسبغت عليهم نتيجة عمل المسيح.

وإنها لغلطة خطيرة أن تفترض أن العهد القديم كان عهد ناموس، وأن العهد الجديد كان عهد نعمة. فالعهد القديم يعد شهادة هامة لنعمة الله العجيبة التي خلعها على شعبه. كذلك العهد الجديد عامر في الواقع بالوصايا. ونحن لم نخلص بالناموس، لكننا نبين محبتنا للمسيح بإطاعة وصاياه "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي" (يوحنا ١٤: ١٥).

كثيراً ما نسمع القول: "المسيحية ليست كومة من افعل ولا تفعل، فهي ليست قائمة تتضمن قواعد". وهناك بعض الحق في هذا الاستدلال، من ناحية أن المسيحية أكثر من مجرد لائحة بالقواعد. فهي - في أساسها - علاقة شخصية بالمسيح نفسه. ومع ذلك، فالمسيحية أيضاً ليست أقل من قواعد. فالعهد الجديد يتضمن بوضوح بعض الأوامر والنواهي. والمسيحية ليست بالديانة التي تؤيد فكرة أن لكل واحد الحق في أن يعمل ما يراه صواباً. بل على النقيض من ذلك، لا تعطي المسيحية أي أحد "الحق" في أن يعمل ما هو خطأ.

موجز

١. اللاناموسية هرطقة تقول بأن المسيحيين ليسوا ملزمين بإطاعة ناموس الله.

٢. الناموس يكشف الخطية، كما أنه أساس للسلوك اللائق في المجتمع، وهو دليل للحياة المسيحية.

٣. اللاناموسية تخلط بين التبرير والتقديس.

٤. الناموس والنعمة يملآن العهدين القديم والجديد.

٥. على الرغم من أن إطاعة ناموس الله ليست هي التي ينتج عنها تبريرنا، إلا أنه يُتوقع من الشخص المبرر أن يكافح في حماس إطاعة وصايا الله.

٩١

الناموسية

الناموسية هرطقة مضادة لهرطقة اللاناموسية. وفي حين أن اللاناموسية تنكر أهمية الناموس، نجد أن الناموسية ترفع الناموس فوق النعمة. وكان الناموسيون على أيام تجسد المسيح هم الفريسيون الذين نالوا أشد نقد صدر عن يسوع.

والتشويه الأساسي للناموسية يتمثل في الاعتقاد أن الإنسان يستطيع أن يكسب طريقه إلى ملكوت السموات. وكان الفريسيون يعتقدون أنه على أساس وضعهم كأولاد إبراهيم، ولتمسكهم المفرط التدقيق بالناموس، فإنهم أولاد الله. وهذا في جوهره إنكار للإنجيل.

وثمة نتيجة طبيعية للناموسية، وهي التمسك بحرفية الناموس واستبعاد روحه. ولكن يعتقد الفريسيون أن بمقدورهم حفظ الناموس، كان عليهم أولا أن يختزلوه إلى تفسير ضيق وأحمق للغاية. وقصة الشاب الغني توضح هذه النقطة. فقد سأل هذا الشاب الغني يسوع ما الذي يعمله ليرث الحياة الأبدية. قال له يسوع: "احفظ الوصايا". كان هذا الشاب يعتقد أنه حفظها كلها. غير أن يسوع كشف له بحزم عن "الإله" الوحيد الذي كان يعبده من دون الإله الحقيقي – وهو المال. "اذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء" (متى ١٩: ٢١). فلما سمع الشاب الغني هذا مضى حزينا.

كان الفريسيون مذنبين في شكل آخر من أشكال الناموسية. فقد أضافوا ناموسهم إلى ناموس الله. فقد رفعوا "تقاليدهم" إلى وضع مساو لناموس الله. لقد سلبوا الناس حريتهم، وقيدوهم حيث تركهم الله أحرارا. وهذه النوعية من الناموسية لم تنته مع الفريسيين. فقد نكبت بها الكنيسة في كل جيل.

وكثيرا ما تتأتى الناموسية كرد فعل مبالغ فيه ضد اللاناموسية. فلكي نتأكد من أننا لن نسمح لأنفسنا أو للآخرين أن يتزلقوا إلى التهاون

الأخلاقي الذي تتيحه اللاناموسية، تجدنا نميل إلى وضع قوانين أكثر صرامة من القوانين التي وضعها الله نفسه. وحين يحدث هذا، تفرض الناموسية طغياناً على شعب الله.

كذلك قد تظهر أشكال من اللاناموسية كرد فعل مبالغ فيه ضد الناموسية. والفكرة التي تستخدمها هي في العادة الدعوة للحرية من كل هم. وهي السعي وراء الحرية الأخلاقية المهلكة. والمسيحيين في حراستهم لحريتهم، يجب أن يحرصوا على ألا يخلطوا بين الحرية وبين الخلاعة والفسق.

فقرات كتابية للتأمل

متى ١٥: ١-٢٠

متى ٢٣: ٢٢-٢٩

أعمال ١٥: ١-٢٩

رومية ٣: ١٩-٢٦

غلاطية ٣: ١٠-١٤

وهناك شكل آخر من الناموسية يتمثل في التهويل في الأمور الصغيرة. وقد وبخ يسوع الفريسيين لتركهم أثقل الناموس في حين أنهم يدققون إلى أقصى حد في طاعة الأمور الصغيرة (انظر متى ٢٣: ٢٣-٢٤). وهذا الميل يظل تهديداً دائماً للكنيسة. فلدينا ميل أن نرفع إلى أعلى مستوى من الصلاح الفضائل التي تمتلكها، ونحط من قدر رذائلنا باعتبارها أموراً غير ذات أهمية. وعلى سبيل المثال، قد اعتبر الامتناع عن الرقص بمثابة قوة روحية كبيرة، في حين أنظر إلى شهوتي لتملك ما للغير على أنها أمر بسيط.

والترياق الوحيد للناموسية واللاناموسية نجده في الدراسة الجادة لكلمة الله. حينئذ فقط سنكون على مستوى من المعرفة بالنسبة للأمور التي ترضي الله وتلك التي لا ترضيه.

موجز

١. الناموسية تشوه ناموس الله في اتجاه عكسي لاتجاه اللاناموسية.

اللاناموسية ⟵ ناموس الله ⟶ الناموسية

٢. الناموسية تضع تقاليد الناس في مستوى الناموس الإلهي.

٣. الناموسية تقيد شعب الله في النواحي التي تركهم الله فيها أحراراً.

٤. الناموسية تضخم الأمور الصغيرة وتهون من الأمور الكبيرة.

٩٢ الاســـــتخدام الثلاثي للناموس

كل مسيحي يتصارع مع السؤال، ما صلة ناموس العـــهد القـــديم بحيـــاتي؟ هل أصبح ناموس العهد القديم غير ذي صلـــة بالمســيحيين، أم أن هنـــاك ناحية ما تجعلنـــا مازلنـــا مقيديـــن بـــأجزاء منـــه؟ وكمـــا أن هرطقـــة اللاناموسية أصبحت منتشرة في ثقافتنـــا بشـــكل دائـــم، كذلـــك تـــزداد الحاجة إلحاحاً إلى الإجابة على هذه الأســـــئلة.

قام الإصلاح الديني على النعمة وليس علـــى النـــاموس. ومـــع ذلـــك لم ينكر المصلحون ناموس الله. وعلى سبيل المثال، كتب جـــون كـــالفن مـــا أصبح يُعرف "بالاستخدام الثلاثي للناموس" كـــي يبـــين أهميـــة النـــاموس للحياة المســـيحية.

والغرض الأول من الناموس هو أن يكون مـــرآة. فالنـــاموس مـــن ناحيـــة يعكس ويظهر بر الله الكامل. ذلك أن الناموس يحدثنـــا كثـــيرا عـــن مـــن يكون الله. ولعل الأكثر أهمية، هو أن الناموس يوضح حالـــة الخطيـــة الـــتي أصبح عليها الإنســـــان.

وقد كتب أغسطينوس يقول: "الناموس يضع الترتيبات، حـــتى إننـــا بعـــد محاولة عمل هذه الترتيبات، قد نشعر بضعفنا تحـــت النـــاموس، فنتعلـــم أن نترجى من أجل معونة النعمة". فالناموس يبرز لنـــا ضعفنـــا لعلنـــا نسـعى لنجد القوة التي في المسيح. وهنا يعمل النـــاموس وكأنـــه مـــدرس قـــاس يدفعنا إلى المســـيح.

أما الهدف الثاني للناموس فهو كبح الشر. والناموس في حـــد ذاتـــه ومـــن تلقاء نفسه لا يستطيع تغيير قلوب البشـــر. ومـــع ذلـــك فإنـــه يمكـــن أن يعمل على حماية الأبرار من الفجار. ويقـــول كـــالفن إن هـــذا الغـــرض "بواسطة شجبه المخيف، وما يتبع ذلك من عقوبة مرعبـــة، يعمـــل علـــى كبح أولئك الذين – ما لم يجبروا – لـــن يبـــالوا بالاســـتقامة والعدالـــة.

والناموس يسمح بقدر محدود من العدل على هذه الأرض، حتى تتم الدينونة الأخيرة.

أما الهدف الثالث من الناموس فهو إعلان ما هو مسر لله. ونحن كأولاد الله المولودين ثانية، يعرفنا الناموس ما هو مسر لأبينا السماوي الذي نسعى لخدمته. والمسيحي يسر بالناموس كما يسر به الله. وقد قال يسوع: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي" (يوحنا ١٤: ١٥). وهذه أسمى وظيفة للناموس، وهي أن يعمل كأداة لشعب الله كي يكرموا الله ويمجدوه.

فقرات كتابية للتأمل
مزمور ١٩: ٧-١١
مزمور ١١٩: ٩-١٦
رومية ٨: ٣-٤
١كورنثوس ٧: ١٩
غلاطية ٣: ٢٤

وبدراسة ناموس الله أو التأمل فيه، نكون قد التحقنا بمدرسة البر. ونتعلم ما يرضي الله وما يسيء إليه. والناموس الأدبي الذي أعلنه الله في الكتاب المقدس ملزم دائما لنا. وخلاصنا هو من لعنة الناموس، وليس من واجبنا نحو طاعته. ولقد تبررنا، ليس بسبب طاعتنا للناموس، بل لكي نصبح مطيعين لناموس الله. وأن تحب المسيح فهذا يتطلب حفظ وصاياه. وأن تحب الله معناه أن تطيع ناموسه.

موجز

١. الناموسية التي تضعف، أو ترفض، أو تشوه ناموس الله، غزت الكنيسة في أيامنا هذه.
٢. ناموس الله هو المرآة التي تعكس قداسة الله وعدم برنا. وهو نافع من ناحية أنه يكشف لنا حاجتنا إلى مخلص.
٣. ناموس الله يكبح الخطية.
٤. يكشف ناموس الله عما يسر الله وعما يسيء إليه.
٥. على المسيحي أن يحب ناموس الله، وأن يطيع ناموس الله الأدبي.

٩٣

مذهب الكمالية

يقول تعليم "الكمالية" أن القداسة أو المحبة الكاملة، التي تأتي بها نعمة الله، يمكن أن يصل إليها كل مسيحي في هذه الحياة، كما أنها تحرر المؤمنين من الخطايا المتعمدة. وجاءت هذه العقيدة من تعليم جون وسلي، واستمرت خلال الحركة الخمسينية المبكرة. والوصول إلى الكمال هذا يراه البعض على أنه عمل ثان من أعمال النعمة التي تعمل فوراً في قلب المؤمن.

فقرات كتابية للتأمل

رومية ٥: ٨

١كورنثوس ١٥: ٤٢-٥٧

٢كورنثوس ٧: ١

فيلبي ٣: ٧-١٤

١يوحنا ١: ٥-١٠

وثمة رأي أخف حدة وهو أنه بعد هذه البركة الثانية يصبح المؤمن أكثر انتصاراً على "الخطية المتعمدة". وأية خطية متبقية في مثل هذا الشخص فإما أنها خطية عارضة أو خطية ارتُكبت في جهل. والصعوبة بالنسبة لوجهة النظر هذه هي أنها تنبع من خطأين رئيسيين. أولاً، تقلل من المطاليب الصارمة التي يفرضها ناموس الله. وأي فهم حقيقي للناموس سوف يمنع وضع الشخص الذي يتبع مذهب الكمال. ثانياً، لها رأي متغطرس عن إنجازات المرء الروحية. وأن يتمسك أحد بهذا الرأي لابد وأن يبالغ بالضرورة في تقدير بره الذاتي.

أما الأغلبية الساحقة من الكنائس الإنجيلية على مر التاريخ، والكنائس المصلحة على وجه الخصوص، فتجده رأيا بغيضا. بل إنه حتى الحركة الخمسينية المحدثة تخلت عن هذا التعليم. وعلم مارتن لوثر أن البشر الذين تجددوا هم مبررون وخطاة في ذات الوقت. والمؤمنون يعتبرون أبرارا في نظر الله بفضل الكفارة، وبر المسيح الذي حسب لنا. فالله يحسب المؤمنين أبرارا "في المسيح". أما هم في حد ذاتهم – وبدون عمل المسيح – يظلون خطاة.

وعلى الرغم من أن عملية التقديس تعني أن المؤمن يصبح على درجة أقل من الخطية، إلا أن تلك العملية تظل غير كاملة حتى الموت، حين يمجد المؤمن.

والكمال هو في الواقع هدف الحياة المسيحية. أما وأننا نفشل في الوصول إليه، فهذا لا يجب أن يُتخذ عذراً لارتكاب الخطية. فنحن كمسيحيين ينبغي أن نسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.

موجز

١. مذهب الكمالية يعلّم بأن هناك عملاً ثانياً للنعمة يختبر المؤمنون بواسطته القداسة الكاملة أو المحبة في هذه الحياة.
٢. مذهب الكمالية المعدلة يعلّم بأن المسيحيين يمكنهم أن ينتصروا على خطايا العمد.
٣. يقوم مذهب الكمالية على فكرة متدنية عن ناموس الله، وفكرة عالية عن أداء البشر.
٤. الله يبررنا فيما نحن بعد خطاة.
٥. عند لحظة التبرير، تبدأ عملية التقديس التي تستغرق العمر كله.
٦. لا يصبح المسيحيون كاملين إلا عند عملية التمجيد بعد الموت.

٩٤

الحكومة المدنية

يُقال ويُكتب الكثير في أمريكا عن الفصل بين الكنيسة والدولة. وهذه الفكرة لفتت الأنظار أساساً إلى المؤسستين الرئيسيتين اللتين خلقهما الله، وعينهما الله، وكلتاهما مسئولتان أمام الله، وتخضعان لسلطان الله. وكل مؤسسة منهما لها مهامها الخاصة بها والتي عليها أن تؤديها، ولا يجب على أي منهما اغتصاب مجال نفوذ الأخرى. إن مهمة الكنيسة أن تكرز بالإنجيل، وتقدم الأسرار المقدسة، وتغذي نفوس أعضائها إلخ. وهذه ليست مهام الحكومة. أما مسئولية الحكومة فهي أن تنظم المجتمع، وتحصل الضرائب، وتحكم التجارة والمجتمع، وتقيم جيشا قويا، وتحمي الحياة والممتلكات، إلخ. وهذه ليست من مهام الكنيسة. وقد أعطيت الدولة قوة السيف. وهذا لم يعط للكنيسة. وقال الرسول بولس:

"لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله. حتى إن كل من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان. افعل الصلاح فيكون لك مدح منه. لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشر فخف. لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر" (رومية ١٣: ١-٤).

ومن وجهة نظر بولس، سلطان الحكومة المدنية هو من الله. وحين يعطى حاكم مدني سلطان فإنه، بمعنى ما، قد عين بواسطة الله خادما له كخادم. وحكمه لا يكون بمعزل عن الله. وجاء في إقرار إيمان ويستمنستر:

"الله، رب العالم كله وملكه الأسمى، رسم حكاما مدنيين، كي يكونوا تحت سلطانه، حكاما للشعب، من أجل مجده، وللصالح العام، ولهذه الغاية، سلحهم بسلطان السيف، للدفاع عن الصالحين وتشجيعهم،

ولعقاب فاعلي الشر ... والحكام المدنيون لا يقبلون هم بأنفسهم على تقديم الكلمة والأسرار المقدسة، أو يكون معهم سلطان مفاتيح ملكوت السموات، أو على الأقل، يتدخلون في الموضوعات المتعلقة بالإيمان".

وفي أيامنا هذه تمت إعادة تفسير (وسوء فهم) مفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة، ليعني الفصل بين الدولة والله. وتسعى الحكومة المدنية أكثر فأكثر لتخرج من "تحت" سلطان الله. وهي تسعى لقوة وسلطان ذاتيين. وحين تصرخ الكنيسة قائلة: "خطأ" يتم انتقادها لتدخلها في مجال سلطة الدولة. ومع ذلك، لا تحاول الكنيسة أن تكون هي الدولة. والكنيسة إذ تقدم نقدا نبويا، فإنها بذلك تدعو الدولة لأن تكون الدولة كما رسمها الله وساد عليها.

وهناك معنى ما يكون فيه الإنجيل سياسيا دونما خجل. فهي تعلن أن يسوع هو ملك الملوك ورب الأرباب. وهو يجلس على عرش السلطان الأسمى. وكل الحكام الذين هم أقل منه مسئولين في النهاية أمامه بالنسبة للطريقة التي مارسوا بها حكمهم.

والحاكم المدني أعطي سلطان السيف. وقد أعطيت للدولة سلطة استخدام القوة لتأمين العدل والدفاع عن حدودها. والحكومات لا تحكم بناء على طلب أو اقتراح. بل تحكم بالقانون، الذي ينظر بالقوة القانونية. وعلى الرغم من أنه صرح للحكومة التي أعطيت قوة السيف أن تعاقب بالإعدام، وأن تشن الحرب العادلة، إلا أن استخدامها قوة السيف سوف تحاسب عليه أمام الله.

والكتاب المقدس يحث المسيحيين أن يكونوا نموذجا للطاعة المدنية حيثما كان ذلك ممكنا. ونحن نكرم المسيح بالصلاة من أجل الذين لهم سلطان علينا، ولأننا خاضعون ومطيعون لحكمهم. وعلينا أن نبذل كل ما في وسعنا في طاعتنا للسلطات المدنية. وعلينا أن نطيع الحكام ما لم يأمروننا بعمل حرمه الله، أو يمنعوننا من عمل ما أمر به الله. وفي كلتا الحالتين، فليس من واجبنا، بل علينا بالفعل أن لا نطيع من هم في السلطة.

موجز

١. الكنيسة والدولة مؤسستان منفصلتان عينهما الله وكل منهما مسئولة أمامه عن المهام المنوطة بها.
٢. السلطة المدنية عينها الله وأُعطيت قوة السيف.
٣. ما من حكومة تتمتع باستقلال ذاتي عن الله. ولا يمكن لأي حكومة أن تنفصل عن الله.
٤. حين تسعى الحكومات للحصول على الاستقلال الذاتي عن الله، من واجب الكنيسة انتقادها.
٥. طاعة السلطة الحكومية واجب مقدس لكل مسيحي. والقانون المدني يجب اتباعه بكل تدقيق ما لم يكن متعارضاً مع كلمة الله.

فقرات كتابية للتأمل

٢أخبار الأيام ٢٦: ١٦-٢٠
مزمور ٢: ١٠-١٢
رومية ١٣: ١-٧
١تيموثاوس ٢: ١-٤
١بطرس ٢: ١٣-١٧

٩٥

الزواج

الزواج رسمه الله وأسسه عند الخليقة. وقدس المسيح الزواج بحضوره عرس قانا وبتعليماته التي قالها لنا رسله في العهد الجديد. ومعظم احتفالات الزواج في العصر الحديث تعكس هذا وتعترف بأن الزواج رسمه الله. أما الذي كثيراً ما يتم تجاهله أو التغاضي عنه في العقود الحديثة هو أن تنظيم الزواج طبقاً لوصايا الله وناموس الله يحدد معنى الزواج ومشروعيته.

والزواج يجب أن يكون علاقة قاصرة على رجل وامرأة وبواسطته يصبح الاثنان "جسداً واحداً" حيث يتحدان جسدياً وعاطفياً وذهنياً وروحياً. والزواج يُقصد به أن يستمر العمر كله. وتتم الوحدة نتيجة قسم وعهد مقدسين، وتُستكمل بالوحدة الجسدية. ولا يذكر الكتاب المقدس إلا موقفين فقط يمكن أن يكون من شأنهما فسخ الاتفاق وهما الخيانة والهجر.

والخيانة ممنوعة في العلاقة الزوجية. ولقد رسم الله الزواج حتى يمكن للرجال والنساء، بالتبادل، أن يكمل كل منهما الآخر، والاشتراك في عمله الخلاق الخاص بالإنجاب. والوحدة الجسدية اللازمة للإنجاب لها أيضا مغزى روحي. فهي تشير إلى الوحدة الروحية بين الزوج والزوجة وتوضحها. ويستخدم الرسول بولس هذه الوحدة ليرمز إلى العلاقة بين المسيح وكنيسته، كما أن العهد القديم أيضا يصف علاقة العهد بين الله وإسرائيل بأنها كعلاقة الزواج. فالإخلاص، والحب المتبادل، ودعم كل منهما للآخر، ينبغي أن تشكل جوهر العلاقة الزوجية. وأعمال الخيانة تنقض العهد، وهكذا تسمح للطرف الذي وقع عليه الضرر أن يلجأ للمحكمة طالباً للطلاق.

وفضلاً عن ذلك، يقول الرسول بولس في كورنثوس الأولى ٧: ١٢-١٦ إنه إذا هُجر الزوج (أو الزوجة) المؤمن، فإنه (أو إنها) لن يكون ملزماً

بالحفاظ على عهد الزواج. فالهجر - مثل الخيانة الزوجية - يُعد انتهاكاً أساسياً لقصد الله من الزواج.

فقرات كتابية للتأمل

تكوين ٢: ٢٤

متى ١٩: ١-٩

١كورنثوس ٧

أفسس ٥: ٢١-٣٣

١تسالونيكي ٤: ٣-٨

عبرانيين ١٣: ٤

الزواج شريعة ترجع إلى وقت الخليقة. ولا يحتاج الأمر أن يكون المرء مؤمناً ليتلقى النعمة العامة لهذه الفريضة. وفي حين أن كل الرجال والنساء قد يتزوجون، إلا أن الشخص المؤمن دُعي ألا يتزوج إلا "في الرب". والكتاب المقدس واضح من ناحية منع المؤمنين من الزواج من غير المؤمنات.

والزوج، بحسب نظام الزواج، دُعي لأن يكون "رأس" زوجته. كما دُعيت الزوجة إلى أن تخضع لزوجها كما للرب. ودُعي الزوج إلى أن يحب زوجته ويضع نفسه مضحياً من أجلها، كما أحب المسيح عروسه، الكنيسة وبذل نفسه من أجلها.

موجز

١. رسم الله الزواج ونظمه.
٢. لا يتزوج المرء أكثر من واحدة.
٣. الوحدة الجسدية المسموح بها، بل والتي أُمر بها في الزواج تعكس الوحدة الروحية للزوج وزوجته.
٤. استُخدمت حالة الزواج كتشبيه مجازي في الكتاب المقدس لتوضح العلاقة بين المسيح وكنيسته.
٥. والزواج، إذ هو فريضة تتعلق بالخلق، مسموح به للبشر جميعاً. وتعترف الكنيسة بالزواج المدني. ومع ذلك يُوصي المؤمنون بأن يتزوجوا "في الرب".
٦. نظم الله هيكل الوحدة في الزواج، وكل طرف من طرفي العلاقة الزوجية لديه أوامر معينة من الله وعليه أن يطيعها.

٩٦

الطلاق

أصبح موضوع الطلاق موضوعاً ملحاً في مجتمع تزايدت فيه للغاية معدلات الطلاق حتى أصبحت مثل الوباء. وبسبب الزيادة الجذرية في حالات الطلاق، والمشاكل القانونية والعائلية التي يثيرها، اتجه القانون لتسهيل العملية بتدبير الطلاق دونما خطأ. وفيما أصبح الحصول على الطلاق أمراً سهلاً للغاية، فقد تفاقمت مشكلة التعجيل به.

و لم يكن الكتاب المقدس سطحياً بالنسبة لموضوع الطلاق. فتعليم يسوع عن الموضوع قُدم في سياق جدل ثار في القرن الأول بين مدارس معلمي اليهود. وكان هناك خلاف مستمر بين التحرريين والمحافظين حول الأسس الشرعية للطلاق. وقد واجه الفريسيون يسوع بالموضوع:

"وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب. فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى. وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان"

ونلاحظ أنه حين سأل الفريسيون يسوع عن قانون متحرر للطلاق، أرجعهم فوراً إلى الأسفار المقدسة، وتشريع الله الأساسي للزواج. وقد شدد على أن الزواج قُصد به أن يكون للعمر كله. كما أبرز أن وحدة الرجل وزوجته في جسد واحد لا يمكن فصمها بقوانين وضعية. فالله وحده هو الذي له سلطان أن يحدد أسس فسخ الزواج.

وتواصل الجدال:

"قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتطلق. قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا

نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة يزني" (متى ١٩: ٧-٩).

فقرات كتابية للتأمل

متى ٥: ٣١-٣٢

متى ١٩: ٣-٩

رومية ٧: ١-٣

١كورنثوس ٧: ١٠-١٦

وإذا تفحصنا رد يسوع بإمعان نجد أنه دحض مفهوم الفريسيين لناموس العهد القديم. فموسى لم "يوصي" بل "سمح" بالطلاق على أسس معينة (كان موسى بالطبع هو المتحدث باسم الله. وكان الله هو الذي سمح بهذا الانحراف عن قصده الأساسي بسبب وجود الخطية التي انتهكت عهد الزواج). ولقد ذكرهم يسوع إنه حتى هذا الإذن أُعطي بسبب الخطية فقط (قساوة القلب) وهو بهذا لم يبطل القصد الأساسي للزواج.

ثم أعلن يسوع مفهومه بالنسبة لهذا الموضوع - حيث منع الطلاق إلا بسبب الزنا. وكلامه المبهم عن الزواج ثانية وعن الزنا يجب أن يُفهم في علاقته بحالات الطلاق غير الصحيحة وغير الشرعية. وإذا سمح الناسِ بحالات الطلاق، التي لم يسمح الله بها، هنا يُعد رباط الزواج قائماً بين طرفيه في نظر الله. وعلى ذلك، فإن الزواج ثانية من أشخاص مطلقين (رجالاً أو نساء) يشكل علاقة زنا.

وفي وقت لاحق، وكما قلنا في فصل سابق، وسع بولس السماح بالطلاق في حالة المؤمن الذي هجره الطرف غير المؤمن (كورنثوس الأولى ٧: ١٠-١٥). ويلخص إقرار إيمان ويستمنستر الموضوع، على النحو التالي:

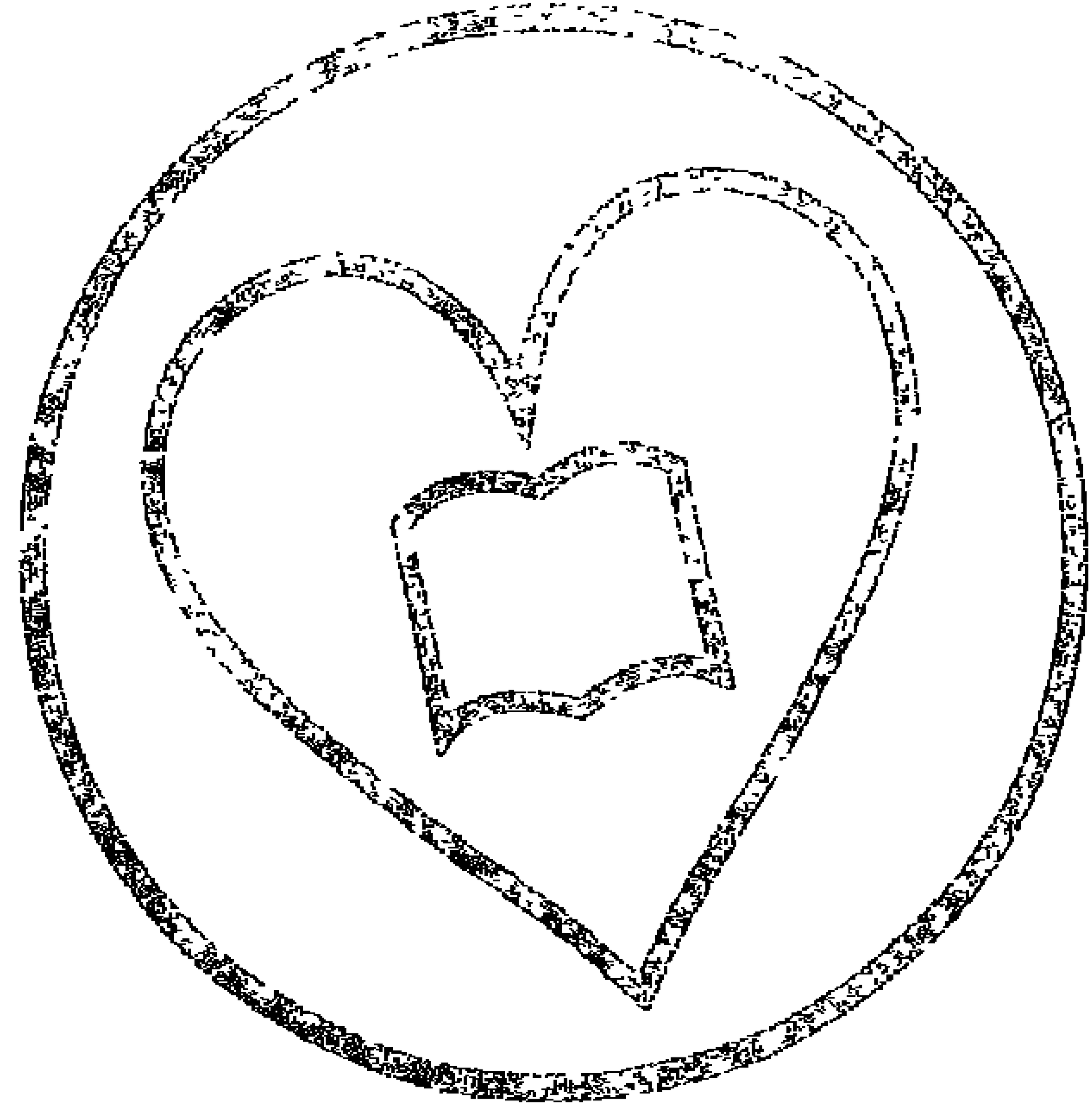
في حالة الزنا بعد الزواج، فإنه من المشروع للطرف البريء أن يرفع قضية طلاق، وبعد الطلاق، مسموح له أن يتزوج من آخر كما لو أن الطرف المسيء قد مات ... على الرغم من أن فساد الإنسان يدفعه إلى دراسة الحجج بإفراط ليباعد بين أولئك الذين ربطهم الله معا في الزواج، ومع ذلك، فلا شيء سوى الزنا، أو الهجر المتعمد الذي لا تستطيع الكنيسة أو القاضي المدني إصلاحه، يعد سببا كافيا لفسخ رابطة الزواج، وفي حين أنه سيتم مراعاة بعض الإجراءات

العامة والمنظمة، ولا يُترك الأشخاص الذين يتعلــق بهــم الأمــر ليتصرفــوا بحسب إرادتهم أو على هواهم بالنســبة لقضيتـــــهم.

موجز

١. الكتاب المقدس لم يتغاض عن الطلاق دون سبب.
٢. رفض يسوع وجهة نظر الفريسيين المتحررة عن الطلاق.
٣. سمح موسى بالطلاق، و لم يُوص به.
٤. سمح يسوع بالطلاق في حالة الزنا.
٥. علّم يسوع أن الزواج ثانية مـــن أشــخاص مطلقــين طلاقــاً غــير شرعي يشكل جريمة زنـــا.
٦. أضاف بولس هجر غير المؤمن على أنه أساس للطلاق.

الجزء العاشر



نهاية الأزمنة

٩٧

ضد المسيح

أثارت الصورة الكتابية لضد المسيح كثيراً من الاهتمام، ليس فقط في الأوساط المسيحية، بل وفي الأوساط الدنيوية حيث عادت بالفائدة على صناعة أفلام السينما في هوليود، وسوق القصة. وضد المسيح هو الشرير الأعظم الذي يجسد إلى أقصى درجة كل ما هو شر.

والصورة التي يرسمها العهد الجديد لضد المسيح غامضة إلى حد ما. وهناك جدل وارتباك كثير يركز على دوره وطبيعته. وكلمة anti التي تُستخدم لوصفه يمكن أن تعني إما "ضد" أو "بدلاً من". فضد المسيح لا يعارض المسيح فحسب، بل يسعى لاغتصاب المكان الشرعي الخاص بالمسيح. فهو يعمل من أجل أن يجعل نفسه بدلاً من المسيح. ولذلك فضد المسيح هو مسيح كاذب، يسعى لخداع الناس حتى يظنوا أنه المسيح الحقيقي.

وقد ثارت مناقشات حول شخصية ضد المسيح. هل هو شخص أم قوة أم مؤسسة؟ هل هو شخصية دينية أم سياسية أم هو يجمع بين الصفتين معا؟ وهل "ضد المسيح" واحد فقط أم أن هناك كثيرين؟ إن ضد المسيح عرفه المسيحيون في بعض الأوقات على أنه شخص معين في التاريخ مثل نيرون أو هتلر أو موسوليني على سبيل المثال. وكثيرون من البروتستانت عرفوا البابوية في روما على أنها مؤسسة ضد المسيح، في حين أن آخرين يعتقدون أن ضد المسيح هو شخصية أو قوة لم تكشف بعد.

ويتحدث يوحنا عن "أضداد للمسيح" كثيرين (يوحنا الأولى ٢: ١٨)، كما يتحدث عن "روح ضد المسيح" الذي "الآن هو في العالم" (يوحنا الأولى ٤: ٣). وبوسعنا أن نستنتج من ذلك أنه إبان الفترة ما بين العصر الرسولي والمجيء الثاني للمسيح سيكون هناك ظهورات لضد المسيح، على الأقل في الروح والقوة.

ويشير الرسول بولس إلى أن ظهوراً خاصاً لضد المسيح سيحدث قبل المجيء الأخير للمسيح. و"إنسان الخطية" هذا سيأتي طبقاً لعمل الشيطان حتى إنه يجلس في "هيكل الله" كإله (تسالونيكي الثانية ٢: ١-١٢). ويعتقد البعض أن هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا استعادت أمة إسرائيل عبادة الهيكل، وآخرون يفسرون هذا على أنه إشارة إلى ظهور في "هيكل" العهد الجديد، أي الكنيسة المسيحية.

فقرات كتابية للتأمل

٢تسالونيكي ٢: ١-١٢
١يوحنا ٢: ١٨-٢٣
١يوحنا ٤: ١-٦
٢يوحنا ١: ٧

ومجيء ضد المسيح يرتبط بردة هائلة في الكنيسة. ولعل المقصود هنا هو تحالف بين الحكومة الدنيوية والمؤسسات الدينية. وهدف ضد المسيح أن يشعل حرباً ضد شعب الله وتدمير المسيح وملكوته. ومع ذلك يؤكد لنا الكتاب المقدس أنه على الرغم من قوة ضد المسيح ونفوذه الهائلين، إلا أن هزيمته ودينونته وهلاكه هي من الأمور المؤكدة. فهو في نهاية الأمر ليس نداً للمسيح الحقيقي الحي.

موجز

١. ضد المسيح يعمل "بدلاً من المسيح" و"ضده".
٢. ضد المسيح ظهر طوال تاريخ الكنيسة في أشخاص ومؤسسات.
٣. يتنبأ الكتاب المقدس بظهور خاص لضد المسيح بقوة ونفوذ غير عاديين وذلك في آخر الدهور.
٤. المسيح سوف يهزم "ضد المسيح" (المسيح الكذاب).

٩٨

المجيء الثاني للمسيح

كانت الكنيسة في كل العصور تتطلع بفرح إلى المجيء الثاني للمسيح الموعود به. وكما أن مجيئه الأول حقق لنا الفداء، فإن مجيئه الثاني يُعد الرجاء المبارك للكنيسة لاستكمال ملكوته بشكل تام.

والتعبير الذي يستخدمه العهد الجديد للإشارة إلى المجيء الثاني للمسيح هو "Parousia". وهذه الكلمة تشير إلى "ظهور"، "إعلان"، أو "مجيء" يسوع في مجد مع نهاية الدهر. وهي تشير إلى توقع الكنيسة للمجيء الثاني للمسيح الموعود به.

ويعلم الكتاب المقدس أن مجيء المسيح سيكون شخصيا ومرئيا. وعلى الرغم من أن مجيئه سيكون بقوة، إلا أنه سيتضمن أكثر من إعلان قوته. بل سيتضمن ظهور المسيح بشخصه وبذاته. ولن يكون مجيئه سرا أو غير مرئي. ولسوف يصاحبه ظهور سحب مثلما كان الأمر عند صعوده. ولسوف تكون هناك أصوات بوق مسموعة بصوت عال، يصاحبها صوت رئيس ملائكة.

وعند مجيء المسيح ستختبر الكنيسة حالة اختطاف - تؤخذ في الهواء لمقابلة المسيح عند مجيئه. ولن يكون الاختطاف سرا بل سيتم علانية وبشكل صريح. وهدفه لن يكون نقل المختارين بعيدا عن الأرض لفترة ما حتى يعود المسيح في مجيئه الثاني "الثاني". بل إن الغرض من الاختطاف هو أن يتاح للقديسين مقابلة يسوع في الهواء عند مجيئه والانضمام إلى حاشيته أثناء نزوله الانتصاري من السماء. ومجيئه بهذه الطريقة سيصاحبه قيامة عامة، الدينونة الأخيرة، عند نهاية العالم.

وقد دُعي المسيحيون من كل جيل إلى أن يكونوا يقيظين في انتظارهم للمجيء الثاني للمسيح حتى لا يفاجئهم مجيئه الثاني، مثل لص في الليل يأتي في ساعة لا نعرفها. كما نُصحنا أيضاً بأن نذكر أنفسنا بهذا الظهور المستقبلي العجيب كتشجيع لنا في متاعبنا الحالية.

فقرات كتابية للتأمل

متى ٢٤: ١-٢٥: ٤٦
متى ٢٦: ٦٤
لوقا ٢١: ٥-٣٦
أعمال ١: ٤-١١
١تسالونيكي ٤: ١٣-٥: ١١
تيطس ٢: ١١-١٤

وما من أحد يعرف اليوم ولا الساعة التي سيعود فيها المسيح. وقد حاول كثيرون أن يحسبوا الأزمنة، ولكن ذلك لم يؤد سوى إلى إحراجهم، نتيجة فشل تنبؤاتهم المعينة. ودعوة الكتاب المقدس إنما هي إلى السهر. علينا أن نسهر ونرقب علامات اقترابه. وعلى الرغم من توانى المسيح لقرون، الأمر الذي كان من شأنه ضعف الرجاء عند البعض، إلا أن كل يوم ينقضي، يقربنا بالأكثر من مجيئه الذي طال انتظاره.

موجز

١. لدى الكنيسة يقين بالمجيء الثاني الموعود به للمسيح.
٢. مجيء المسيح الثاني سيكون شخصياً ومرئياً.
٣. سيعود المسيح على سحب المجد كما صعد.
٤. ستقابل الكنيسة المسيح لمصاحبته في دخوله الانتصاري الثاني إلى الأرض.
٥. يجب على الكنيسة أن تكون يقظة في ترقبها للمجيء الثاني للمسيح، ومع ذلك ينبغي عليها أن تحرص على تجنبها حماقة التنبؤات التي تقول بها بعض المعتقدات بالنسبة لليوم والساعة الخاصين بالمجيء الثاني للمسيح.

٩٩

ملكوت الله

شهد تاريخ العالم أشكالاً عديدة ومختلفة من الحكومات. وأكثر النوعيات شيوعاً كانت الديكتاتوريات التي كانت تحكم بالقوة العسكرية، والجمهوريات التي كانت تحكم بالقانون، والحكومات الديمقراطية التي كانت تحكم بأغلبية الأصوات، والنوعيتان من الملكية – ملكيات مؤسساتية (سلطة الملك فيها محدودة) والملكيات المطلقة (كلمة الملك فيها هي القانون).

وملكوت الله هو ملكية مطلقة. وليس هناك دستور خارجي يحكم الله بمقتضاه. وهو لا يحتاج إلى موافقة المحكومين كي يسود عليهم. ولا يحده استفتاء أو صوت الأغلبية. فكلمته قانون. وحكمه ملكية مطلقة.

وفي أية ملكية تجد أن فضيلتي احترام العرش والولاء له لهما أهمية بالغة. ولا توجد ملكية تجد هذين العنصرين فيها أكثر أهمية على النحو الذي هما عليه في ملكوت الله. ومع ذلك فالخطية الأساسية للجنس البشري كامنة في رفضنا أن نمجد الله كإله (رومية ١: ٢١) وفي عدم إخلاصنا لملك الملوك.

وموضوع ملكوت الله يعد حافزا رئيسيا يجري كخيط في كل من العهدين القديم والجديد، وينبر على حكم الله على شعبه. فالمسيح الآتي أعلن كملك الله الممسوح الذي سيتوج في السماء ملكا للملوك وربا للأرباب.

ويشير العهد القديم إلى الملكوت باعتباره سيأتي في المستقبل. ويفتتح العهد الجديد من الكتاب المقدس بإعلان يوحنا المعمدان أنه "قد اقترب ملكوت السموات" (متى ٣: ٢). والموقف التاريخي وصف بتشبيهات بلاغية مثل: "والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة" (متى ٣: ١٠)، "الذي رفشه في يده" (متى ٣: ١٢)،

وكلاهما يشيران إلى قرب جذري. ولقد كان اختراق ملكوت الله للتاريخ هو الذي أعلن إنجيل العهد الجديد. ورسالة يوحنا أن "الملك آت" كانت تشير إلى قرب انتهاء الأزمنة.

ولهجة كرازة المسيح نفسه تنصب على إعلان إنجيل الملكوت. فقد أعلن أن الملكوت قد جاء بقوة وأنه في وسط شعبه. وعند صعوده أوصى يسوع تلاميذه أن يكونوا له شهوداً في العالم. هم شهود حكم يسوع باعتباره ملك الملوك . ووضع يسوع الحالي كملك الملكوت كله غير مرئي. فإما أن العالم يجهل سيادته وإما أنه ينكرها. ومهمة الكنيسة أن تقدم شهادة مرئية للملكوت غير المرئي.

فقرات كتابية للتأمل

مزمور ١٠: ١٦-١٨

مزمور ٢٢: ٢٧-٣١

دانيال ٢: ٤٤

يوحنا ١٨: ٣٦

عبرانيين ١: ٨-١٤

لقد افتتح يسوع ملكوت الله. وقد تُوّج في السماء فعلاً. ولكن الأمر يبدو كما لو أنه ملك في المنفى مع عدد قليل من الرعايا المخلصين. وعند عودته سيستكمل حكمه تماماً.

ويشير العهد الجديد إلى أن ملكوت الله "حاضر" و"مستقبلي" فالملكوت يُوصف بأنه "وقع بالفعل" كما يُوصف بأنه "ليس بعد". وكلا الناحيتين يتوجب أن يفهمهما المسيحيون ويتبنوهما. والنظر إلى الملكوت باعتباره قد تحقق بالفعل وبشكل تام، أو إلى أنه أمر مستقبلي تماماً يشوه رسالة العهد الجديد. فنحن نخدم ملكاً تم تتويجه بالفعل. ومع ذلك، ننتظر عودته الانتصارية في مجد حيث ستنحني له كل ركبة.

موجز

١. ملكوت الله يشكل حكماً مطلقاً.
٢. موضوع ملكوت الله يربط العهدين القديم والجديد.
٣. يعلن العهد الجديد افتتاح ملكوت الله بظهور يسوع وتتويجه بعد ذلك.
٤. ملكوت الله موجود بالفعل، إلا أنه سيكتمل تماماً عند عودته المجيدة.

١٠٠

السماء

تقول إحدى الأغنيات المعاصرة "السماء هي .. حين أكون معك". فأن تكون في شركة حميمة مع شخص تحبه هي بحق بركة. ومع ذلك، فبالنظر إلى أنه لا توجد مواقف دنيوية جديرة بمقارنتها بالشقاء الموجود في جهنم، فلا توجد أيضاً أفراح أرضية مناسبة نستخدمها كتشبيهات لأعاجيب السماء.

وكما نجد رسائل كتابية كئيبة وشنيعة لوصف جهنم، هكذا نجد أيضا صورا كتابية ثرية وواعدة في السماء. فقد شبهت بالفردوس، وبحضن إبراهيم، وبالمدينة المقدسة النازلة من السماء. وقد وصفت أورشليم الجديدة أن شوارعها شبه شفافة من الذهب، ومكان جدرانه من الأحجار الكريمة الثمينة، وبيئة من الفرح الدائم الذي لا ينتهي.

أما أروع شيء يمكن أن يُقال عن السماء فهو ما هو غائب عنها، وأيضاً ما هو موجود بها. والأشياء التي لن تكون في السماء هي: (١) الدموع، (٢) الحزن، (٣) الموت، (٤) الألم، (٥) الظلام، (٦) الأشرار، (٧) الخطية، (٨) الهياكل (٩) الشمس أو القمر، (١٠) اللعنة من خطية آدم (انظر تكوين ٣: ١٤-١٩).

أما الذي سيكون في السماء فيشمل: (١) القديسين، (٢) نهر ماء الحياة، (٣) الثمرة الشافية، (٤) حمل الله، (٥) العبادة، (٦) وليمة عرس الحمل وعروسه، (٧) وجه الله المكشوف، (٨) شمس البر.

والسماء هي حيث يُوجد المسيح. إنها البركة الدائمة للشركة مع الله – الإنسان. وفي محاولة للتعبير عن الأفراح التي يجدها المؤمنون في السماء، كتب جوناثان إدوارد بأن المؤمنين سوف:

يسبحون في محيط المحبة، ويُبتلعون إلى الأبد في نور المحبة الإلهية غير المحدود، والطيف وأشعته الحلوة، حيث يحيطهم إلى الأبد، وينعكس دائماً إلى مصدره.

وحينما سيبتهج القديسون بالشركة مع إلهم ومخلصهم، إلا أنه ليس من سبب للاعتقاد بأنهم لن يتعرفوا على القديسين الذين كانوا يعرفونهم على الأرض ويكونون في شركة معهم. فالسماء هي مكان وجود كل شيء صالح.

ولسوف تكون هناك درجات من البركة في السماء. ويستخدم بولس تشبيهاً مجازياً بالنجوم التي تتلألأ بدرجات مختلفة في السماء لوصف هذا. ومع ذلك يحتاج الأمر إلى نقاط توضيحية عديدة.

فقرات كتابية للتأمل

١كورنثوس ١٥: ٥٠-٥٧
٢كورنثوس ٥: ١-٨
١بطرس ١: ٣-٩
رؤيا ٢١-٢٢

أولاً، جميع النجوم تتلألأ. بمعنى أنه لن توجد تعاسة في السماء. فالجميع سيُباركون بأكثر مما نستطيع أن نتخيله. ثانياً، عمل المسيح الكفاري له نفس الفاعلية المخلصة لجميع القديسين. وأخيراً، "أعمال" المؤمن التي "تستحق" بركة أكثر أو أقل، ليست صالحة في حد ذاتها، بل إن مسرة الله بالأحرى هي التي يرجع إليها الفضل في اعتبار أن هذه الأعمال أهل للتقدير. وهذا من أجل المسيح فقط. وفي حين أن أفظع ما تتسم به جهنم هو أبديتها، فإن من أعظم مباهج السماء هو التأكيد بأنه لا نهاية لها. وآخر عدو يبطل هو الموت. ويتأكد لنا مما جاء في لوقا ٢٠: ٣٤-٣٨ أن مكافأة السماء هي مكافأة دائمة.

وأعظم أفراح السماء هي الرؤية البهيجة، وهي رؤية وجه الله. ومع ذلك فإن هذا الفرح الذي لا يُعبر عنه يأتي بواسطة عيوننا الروحية. فالله روح، وفي الروح سيراه المختارون. وهذه هي المكافأة، التي ربحها المسيح ليتمتع بها أولاده.

موجز

١. مما تتسم به السماء أنه لا يوجد بها كل ما يسبب الألم والموت.
٢. السماء مكان لا توجد بها خطية أو نتائج الخطية.
٣. السماء ستكون المكان الذي يتمتع فيه المؤمنون بوجود المسيح شخصياً.

٤. تتضمن السماء الرؤية البهيجة، والاختبار المجيـــد بـــالتفرس في وجـــه الله، الأمر الذي لا يمكن تحقيقه في هـــذه الحيـــاة.

٥. السماء هي المكان الذي نتمتع فيه بمكافآت الله إلى الأبد.

٦. ما من معرفة أرضية أو اختبار دنيوي بوسعه أن يعتـــم علـــى الفـــرح الكامل الذي سيكون لنا في الســـــماء.

١٠١

الرؤية البهيجة

هناك قصة عن ولد صغير كان يتصارع مع فكرة الله التي كان يتعلمها من والديه. أما أكثر ما كان يزعجه هو ما قيل له من أن الله لا يمكن رؤيته. كيف يتسنى له أن يعبد ويخدم إلهاً لا يستطيع أن يراه؟ كان يعرف بالفعل المثل القائل "البعيد عن العين، بعيد عن الفكر". وفي إحباطه من فكرة الله الغير المرئي، صاح قائلاً: "أريد إلهاً أستطيع أن أراه".

ولعل الرغبة في إله يمكن رؤيته كانت من بين العوامل التي حفزت الإنسان على عبادة الأوثان. وهي أوثان من حجر أو خشب، وعلى الرغم من أنها صماء بكماء تماما وعاجزة عن المساعدة على الإطلاق، إلا أنها على الأقل مرئية. إنها بديل الهدف منه إشباع تلهف عيوننا على رؤية عظمة الله.

كتب الرسول بولس أن البشر قد أثموا لأنهم "أبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى" (رومية ١: ٢٣)، وأنهم "استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد. آمين" (رومية ١: ٢٥).

وحتى تلاميذ المسيح، عبروا عن رغبتهم أن يروا وجه الله مباشرة. وهم أيضاً كانت تزعجهم الفكرة المحيرة بأن الله لا يُرى. وحين تقابل يسوع مع تلاميذ في العلية للعشاء الأخير، قال له فيلبس "يا سيد أرنا الآب وكفانا" (يوحنا ١٤: ٨). وكان فيلبس يتحدث عن جميع المؤمنين. وكفايتنا ستكون قد استُوفيت تماماً بلمحة واحدة من وجه الله غير المكشوف. فأن نراه في بهائه المقدس سيكون كافياً لنا.

وإذا كان يسوع قد عبر عن تبرمه أو نفاد صبره في يوم ما، فقد حدث ذلك بالنسبة لهذا السؤال. وقد رد قائلا: "أنا معكم زمانا هذه

مدته ولم تعرفني يا فيلبس. الـــذي رآني فقـــد رأى الآب فكيـــف تقـــول أنت أرنا الآب" (يوحنـــا ١٤: ٩).

سبق ليسوع أثناء خدمته على الأرض بالجسد، أن ألقـــى الموعظـــة علـــى الجبل، حيث بدأها بالتطويبات. وهنا أعلن بركته لأنقيـــاء القلـــب حيـــث صاحبها الوعد بأنهم سيعاينون اللـــــه.

فقرات كتابية للتأمل

خروج ٣٢: ١-٣٣: ٢٣

عدد ٦: ٢٤-٢٦

متى ٥: ٨

رؤيا ٢٢: ١-٥

أما وأن الله لا يمكن أن يُرى في الوقت الحـــاضر في مجـــده، وأنـــه يظـــل غير مرئي لعيوننا، فهذا يشكل عبءً للبشر الذيـــن يتطلعـــون إلى رؤيـــة ذاك الذي هو موضع عبادتهم وحبهم. ومـــن الوقـــت الـــذي مُنـــع فيـــه الاقتراب من جنة عدن، وأقام الله ملاكاً يلوح بلـــهيب ســـيف متقلـــب، كان أمر الله بألاّ يراه أي بشر دون حجـــاب. وحـــتى بالنســـبة لموســـى الذي طلب أن يرى مجد الله. أجابه الله بقوله: "أما وجـــهي فـــلا يُـــرى" (خـــروج ٣٣: ٢٣).

ومع ذلك يتطلع المفديون إلى اللحظة الـــتي يســـتطيعون فيـــها أن يتفرســـوا مباشرة إلى ما وراء الحجاب ليروا نقاء بهـــاء الله. أمـــا الســـبب في أننـــا لا نستطيع أن نرى ذلك الآن فليس مرده عيب في عيوننا، بـــل افتقـــار قلوبنـــا إلى الطهارة. وحين نُمجّد في الســـماء،وتُطـــهر قلوبنـــا، فســـوف نتمتـــع بالبركة التي لا يُعبر عنها، والمتمثلة في أننا سنراه كما هـــو في المجـــد.

والرؤية البهيجة سُميت هكذا، لأنها الوعد برؤية الله الـــتي معـــها أقصـــى بركة تتطلع إليها النفس البشرية. وقد كـــانت أسمـــى بركـــة لإســـرائيل: "يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليـــك ويرحمـــك. يرفـــع الرب وجهه عليك ويمنحك ســـلاماً" (عـــدد ٦: ٢٤-٢٦).

ويعدنا يوحنا بأنه على الرغم من الغموض المحيط بكثـــير ممـــا ينتظرنـــا في السماء، إلا أنه بالنسبة لهذا الكثير، بوسعنا أن نكون على ثقـــة مـــن أننـــا سوف "نكون مثله لأننا سنراه كما هـــو" (يوحنـــا الأولى ٣: ٢).

وهذا الوعد يؤكد لنا أن الله في الســـماء ســـيظهر نفســـه لنـــا بطريقـــة تفوق الظهور الإلهي (إعلان خارجي لمجـــد الله مثـــل العليقـــة). فالرؤيـــا ستسمو على العليقة أو عمـــود ســـحاب. فلســـوف نـــرى أكـــثر مـــن عرض خارجي أو صـــورة منعكســـة. فلســـوف نـــراه "كمـــا هـــو".

ولسوف نحدق - بطريقة ما - في جوهره. وهنا لـــن يكــون هنـــاك أي خوف من رؤيتنا لرب المجـــــد.

موجز

١. عدم إمكانية رؤية الله كثيراً ما تكون سبباً لأعمال وثنية من قبل البشر.

٢. عرض يسوع صورة الله الكاملة، فأن تراه يعني أنك ترى الآب.

٣. رؤية الله وُعد بها أنقياء القلب.

٤. ما من إنسان يستطيع أن يرى وجه الله حتى نتطهر في السماء.

٥. رؤية الله المستقبلية تُسمى "مغبطة" لأنها ستغمر قلوبنا بالغبطة.

١٠٢

جهنم

كثيراً ما نسمع تعبيرات مثل "الحرب هي جهنم"، أو "لقد مررت بجهنم". وبالطبع لم تُوخذ هذه التعبيرات بمعناها الحرفي. ذلك أنها تعكس بالأحرى ميلنا إلى استخدام كلمة "جهنم" كتعبير لوصف أفظع اختبارات البشر الممكنة. ومع ذلك، ما من شيء اختبره الإنسان في هذا العالم يمكن بالفعل تشبيهه بجهنم. فإذا حاولنا تخيل أسوأ الآلام الممكنة في هذا العالم لا نكون قد وسعنا بعد من تخيلاتنا لتصل إلى حقيقة جهنم الرهيبة.

وباستخدام كلمة جهنم ككلمة لعن عامة نكون قد جعلنا من هذه الكلمة أمرا تافها. واستخفافنا باستخدام الكلمة قد يشكل محاولة بشرية فاترة للتهوين من هذه الكلمة أو استخدامها على سبيل المزاح أو التسلية. ونحن نميل إلى أن نمزح عن أكثر الأمور التي تخيفنا في جهد لا جدوى منه كي نقلم أظافرها، ونقلل من قوتها المهددة.

وليس ثمة مفهوم كتابي أكثر كآبة أو مدعاة للفزع من فكرة جهنم. وهي فكرة مكروهة منا حتى إن القليل ما كانوا يولونها أية أهمية لولا أنها جاءت لنا من تعليم السيد المسيح نفسه.

وكل تعليم كتابي عن جهنم جاء تقريباً على لسان يسوع. ولعل هذا التعليم أكثر من غيره، هو الذي يعمل على توتر ولاء المسيحي لتعليم المسيح نفسه.

ووسع المسيحيون حديثاً من حدود الاستخفاف من جهنم كمحاولة لتجنب تعليم يسوع أو تخفيفه. والكتاب المقدس يصف جهنم كمكان للظلمة الخارجية، بحيرة النار، موضع البكاء وصرير الأسنان، مكان الانفصال الأبدي عن بركات الله، وأنها سجن، ومكان العذاب الأبدي الذي دوده لا يموت. والصور التوضيحية للعقوبة الأبدية تثير فينا السؤال: هل نأخذ هذه الأوصاف حرفياً أم أنها مجرد رموز؟

من ناحيتي أشك في أنها رموز، ولكن لا أجد من وراء ذلك ما يشعرني بالارتياح ولا يتوجب أن نأخذها على أنها "مجرد" رموز، فمن المحتمل أن الخاطئ في جهنم كان سيفضل بالفعل بحيرة من نار حرفياً كمقره الأبدي على حقيقة جهنم التي مثلتها صورة بحيرة النار. ولو كانت هذه الصور رموزاً حقاً، هنا علينا أن نستنتج أن الحقيقة أسوأ مما توحي به الرموز. وعمل الرموز هو أنها تشير إلى ما يتجاوز نفسها، إلى حالة أعلى أو إلى قدر من الحقيقة أكثر ضخامة ما يتضمنه الرمز. أما وأن يسوع استخدم أكثر الرموز التي يمكن تصورها بشاعة لوصف جهنم فهذا لا يشكل راحة لأولئك الذين لا يرون فيها سوى مجرد رموز.

ونسمع في العادة تنهيدة ارتياح حين يقول أحدهم: "جهنم ليست سوى انفصال عن الله". فالانفصال الأبدي عن الله لا يشكل تهديداً كبيراً للشخص غير التائب. فالأشرار لا يريدون شيئاً أكثر من أن يكونوا منفصلين عن الله.

فمشكلتهم في جهنم لن تكون الانفصال عن الله، لأن الله هو الذي يعذبهم. فلسوف يشعرون بملء غضب الله يحوطهم في جهنم. كما سيشعرون أيضا بيد الله التي تعلن وتمارس دينونته العادلة على الملاعين المحكوم عليهم بالهلاك الأبدي. ولسوف يعرفونه كنار آكلة تماماً.

ومهما كان تحليلنا لمفهوم جهنم إلا أنها كثيرا ما تبدو لنا كمكان للعقوبة القاسية غير العادية. ومع ذلك، إذا استطعنا أن نجد تعزية في مفهوم جهنم، فيمكننا أن نثق تماما أنه لن تكون هناك قسوة. لأنه يستحيل على الله أن يكون قاسيا. ذلك أن القسوة هي أن توقع عقوبة أكثر قسوة من الجريمة. والقسوة بهذا المعنى تعد غير عادلة. فالله لا يستطيع أن ينزل بأحد عقوبة ظالمة. فمن المؤكد أن ديان الأرض كلها لابد وأن يصنع عدلا. وما من بريء يمكنه أن يتألم على يده.

ولعل أكثر النواحي المخيفة لجهنم هو أبديتها. فالناس يقدرون على تحمل أعظم ألم إذا عرفوا أنه سيتوقف في النهاية. ولا يوجد مثل هذا الرجاء في جهنم. ويعلم الكتاب المقدس بكل وضوح أن العقوبة

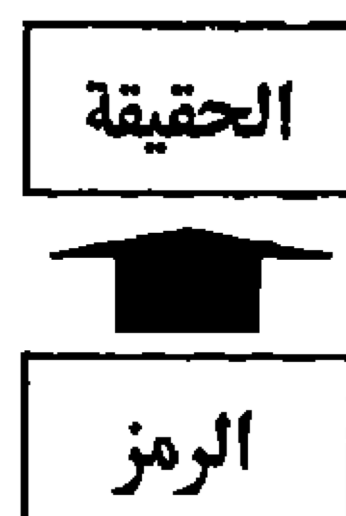
أبدية. ونفس الكلمة استُخدمت للحياة الأبدية، والموت الأبدي. والعقوبة تشير إلى الألم. ومجرد المحق أو الإبادة، والتي يسعى البعض وراءها، لا تتضمن ألماً.

وبمعرض تفسيره لما جاء في رؤيا ٦: ١٥-١٦ قال جوناثان إدوارد:
"الأشرار في الأبدية سيتلهفون بحرارة أن يتحولوا إلى لا شيء، وألا يكون لهم أي وجود إلى الأبد، حتى يهربوا من غضب الله".

فجهنم إذاً عذاب أبدي بنار غضب الله العادل، وهو عذاب أليم لا مهرب منه ولا نجاة. وفهمنا لهذا أمر حيوي لتقديرنا لعمل المسيح، ولكي نكرز بإنجيله.

موجز

١. آلام جهنم تفوق أي بؤس موجود في هذا العالم.
٢. من الجلي أن تعليم المسيح تضمن الحديث عن جهنم.
٣. إذا كانت الأوصاف الكتابية لجهنم هي مجرد رموز، إذاً ستكون الحقيقة أسوأ من الرموز.



٤. جهنم هي حضور الله في غضبه ودينونته.
٥. لا تُوجد قسوة في جهنم، لأنها ستكون موقع العدل التام.
٦. جهنم أبدية، ولا مهرب منها من خلال التوبة أو الإبادة.

فقرات كتابية للتأمل

متى ٨: ١١-١٢
مرقس ٩: ٤٢-٤٨
لوقا ١٦: ١٩-٣١
يهوذا ١: ٣-١٣
رؤيا ٢٠: ١١-١٥

NOTES

Introduction

1. J. V. Langmead Casserley, *Apologetics & Evangelism* (Louisville: Westminster, 1970).
2. John Stott, *Christ the Controversialist* (Downers Grove, III.: InterVarsity Press, 1970).
3. John Bunyan, *Pilgrim's Progress* (Wheaton, III.: Tyndale House Publishers, 1991), 11-15.
4. Allan Bloom, *The Closing of the American Mind* (New York: Simon & Schuster, 1987).
5. C. S. Lewis, "On the Reading of Old Books," in *God in the Dock: Essays on Theology and Ethics* (Grand Rapids: Eerdmans, 1970), 204-205.

Chapter 3

1. John Calvin, *Institutes of the Christian Religion,* trans. Henry Beveridge, 2 vols., bk.I (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1975), 43.

Chapter 9

1. Roland H. Bainton, *Here I Stand: A Life of Martin Luther* (Nashville: Abingdon Press, 1978).

Chapter 20

1. *Westminster Confession of Faith* (Committee for Christian Education & Publication, Presbyterian Church in America, 1990), chap. 5, sec. 1.

Chapter 26

1. *Westminster Confession,* chap. 8, sec. 1.

Chapter 33

1. Calvin, *Institutes*, bk. II, 1:448.

Chapter 35

1. Calvin, *Institutes*, bk. II, 1:425-429.

Chapter 39

1. Martin Luther, *Bondage of the Will* (Old Tappan, NJ: Revell, 1957), 70.
2. Calvin, *Institutes*, bk I, 1:71-72.

Chapter 44

1. William Shakespeare, *The Complete Works of Shakespeare,* ed. David Bevington, 3d ed. (Glenview, III.: Scott, Foresman and Co., 1980), act 5, sc. 5, lines 24-28, p. 1247.

Chapter 50

1. Westminster Larger Catechism (Committee for Christian Education and Publication, Presbyterian Church in America, 1990), question #24.
2. Calvin, Institutes, bk. II, 1:362.

Chapter 51

1. *Westminster Confession,* art. 6:1.
2. *Westminster Confession,* art. 6:1-4.

Chapter 53

1. Roland H. Bainton, *Here I Stand: A Life of Martin Luther* (Nashville: Abingdon Press, 1978).

Chapter 60

1. Charles Colson, *Born Again* (Old Tappan, N.J.: Revell, 1977)

Chapter 63	1. Jonathan Edwards, *The Freedom of the Will,* ed. Paul Ramsey (New Haven: Yale University Press, 1973),137. 2. Edwards, *The Freedom of the Will,* 156.
Chapter 78	1. Calvin, *Institute,* bk. IV, 2:XII. 2. *Westminster Confession,* art. 30:3.
Chapter 82	1. Calvin, *Institutes*, bk. IV, 2:XVII.
Chapter 85	1. *Westminster Confession,* art. 22:3.
Chapter 92	1. Calvin, *Institutes*, bk. II, 1:304-310. 2. Calvin, *Institutes*, bk. II, 1:306. 3. Calvin, *Institutes*, bk. II, 1:307.
Chapter 94	1. *Westminster Confession,* art. 23:1,3.
Chapter 96	1. *Westminster Confession,* art. 24:5, 6.
Chapter 100	1. Jonathan Edwards, *The Works of Jonathan Edwards,* vol. 2 (Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1979),29.
Chapter 102	1. John H. Gerstner, *Heaven & Hell* (Orlando: Ligonier Ministries, 1991),75.

SUGGESTED READING

Beginning

I. REVELATION

North, Gary. *The Hoax of Higher Criticism.* Tyler: Institute for Christian Economics, 1989.
Radmacher,Earl D. *Can We Trust the Bible?* Wheaton, III.: Tyndale House Publishers, Inc., 1979.

II. THE NATURE AND ATTRIBUTES OF GOD

Brown, Stephen. *If God Is in Charge.* Nashville: Thomas Nelson Publications, 1983.
Colson, Charles W. *Loving God.* Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1987.

III. THE WORKS AND DECTEES OF GOD

Ramsbottom, B. A. *Bible Doctrines Simply Explained.* London; Gospel Standard Trust Publications, 1986.
Robertson, O. Palmer *Covenants: God's Way.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1987.

IV. JESUS CHRIST

LIoyd-Jones, D. M. *The Cross of Christ.* Downers Grove, III.: Inter-Varsity Press, 1986.
McDowell, Josh. *More Than a Carpenter.* Wheaton, III.: Tyndale House Publishers, Inc., 1980.
Sproul, R. C. *Following Christ.* Wheaton, III.: Tyndale House Publishers, Inc., 1991.

V. THE HOLY SPIRIT

Green, Michael. *I Believe in the Holy Spirit.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1989.
Stott, John R. *The Baptism and Fullness of the Spirit.* Downers Grove, III.: InterVarsity Press, 1976.

VI. HUMAN BEINGS AND THE FALL

Allen, Ronald B. *The Majesty of Man:* The Dignity of Being Human. Portland, Oreg.: Multnomah, 1984.
Brand, Paul, and Philip Yancey. *Fearfully & Wonderfully Made.* Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1987.
Lewis, C.S. *The Abolition of Man.* New York: Macmillan Publishing Company, Inc., 1978.

VII. SALVATION

Horton, Michael Scott. *Putting Amazing Back into Grace: An Introduction to Reformed Theology.* Nashville: Thomas Nelson Publications, 1991.
Palmer, Edwin H. *The Five Points of Calvinism:* A Study Guide. Grand Rapids: Baker Book House, 1972.
Stott, John R. *Basic Christianity.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1957.

VIII. THE CHURCH AND SACRAMENTS
Barrs, Jerran. *Shepherds and Sheep: A Biblical View of Leading and Following.* Downers Grove,III.: InterVarsity Press, 1983.
Sartelle, John P. *Infant Baptism: What Christian Parents Should Know.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1985.

IX. SPITIUALITY AND LIVING IN THIS AGE
Kelly, Douglas. *If God Already Knows, Why Pray?* Brentwood: Wolgemuth & Hyatt Publishers, Inc., 1989.
Sproul, R. C. *Following Christ.* Wheaton, III.: Tydale House Publishers, Inc., 1991.
-----. *The Intimate Marriage.* Wheaton, III.: Tyndale House Publishers, Inc., 1986.

X. END TIMES
Clouse, Robert G., ed. *The Meaning of the Millenium: Four Views.* Brethren Missionary Herald Inc., 1978.
Erickson, Millard J. *Contemporary Options in Eschatology: A Study of the Millenium.* Grand Rapids: Baker Book House, 1977.

INTERMEDIATE

I. REVELATION
Sproul, R. C. *Knowing Scripture.* Downers Grove, III.: InterVarsity Press, 1977.
Stott, John R. *The Authority of the Bible.* Downers Grove, III.: InterVarsity Press, 1974.

II. THE NATURE AND ATTRIBUTES OF GOD
Packer, J.I. *Knowing God.* Downers Grove, I11.: InterVarsity Press, 1973.
Pink, Arthur W. *Attributes of God.* Grand Rapids: Baker Book House, 1975.
Sproul, R. C. *One Holy Passion: The Consuming Thirst to Know God.* Nashville: Thomas Nelson Publications, 1987.
------. *The Holiness of God.* Wheaton, III.: Tyndale House Publications, Inc., 1985.
Storms, C. Samuel. *The Grandeur of God.* Grand Rapids: Baker Book House, 1984.

III. THE WORKS AND DECREES OF GOD
Boice, James M. *Our Sovereign God.* Grand Rapids: Baker Book House, 1977.
Bridges, Jerry. *Trusting God.* Colorado Spring: NavPress, 1991.
Robertson, O. Planer. *The Christ of the Covenants.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1981.

IV. JESUS CHRIST
Bruce, F. F. *Jesus: Lord and Savior.* Downers Grove, III.: InterVarsity Press, 1986.

Sproul, R. C. *The Glory of Christ.* Wheaton, I11.: Tyndale House Publications, Inc., 1990.
Stott, John. *The Cross of christ.* Downers Grove, III.: InterVarsity Press, 1986.
Warfield, Benjamin B. *The Savior of the World,* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1960.

V. THE HOLY SPIRIT
Packer, J. I. *Keep in Step with the Spirit,* Tarrytown: Fleming H. Revell Co., 1984.
Palmer, Edwin H. *The Holy Spirit: His Person and Ministry.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Co., 1985.
Sproul, R. C. *The Mystery of the Holy Spirit.* Wheaton, I11.: Tyndale House Publishers, Inc., 1990.

VI. HUMAN BEINGS AND THE FALL
Machen, J. Gresham. *The Christian View of Man.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1984.
Packer, J. I. *Knowing Man.* Wheaton, I11.: Good News Publishers, 1979.
Sproul, R. C. *The Hunger for Significance.* Ventura, Calif.: Gospel Light Publications, Inc., 1991.

VII. SALVATION
Murray, John. *Redemption: Accomplished and Applied.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1961.
-----. *The Sovereignty of God.* Edited by Jacob T. Hoogstra Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1940.
Pink, Arthur W. *The Sovereignty of God.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1988.
Sproul, R. C. *Chosen by God.* Wheaton, I11.: Tyndale House Publications, Inc., 1986.

VIII. THE CHURCH AND SACRAMENTS
Adams, Jay E. *The Meaning and Mode of Baptism.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1975.
Kuiper, R. B. *The Glorious Body of Christ.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1987.
Stott, Hohn. *One People: Helping Your Church Become a Caring Community.* Harrisburg: Christian Publications, 1982.

IX. SPIRITURALITY AND LIVING IN THIS AGE
Bridges, Jerry. *The Pursuit of Holiness.* Colorado Springs: NavPress, 1978.
Ferguson, Sinclair. *A Heart for God.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1987.
Pratt, Richard L. Jr. *Pray with Your Eyes Open: Looking at God, Ourselves, and Our Prayers.* Grand Rapids: Baker Book House, 1988.
Sproul, R. C. *Pleasing God.* Wheaton, I11.: Tyndale House Publishers, Inc., 1988.

X. END TIMES
Campbell, Roderick. *Israel and the New Covenant.* Tyler: Geneva Ministries, 1982.
Gerstner, John H. *Jonathan Edwards on Heaven and Hell.* Grand Rapids: Baker Book House, 1980.
Glimore, John. *Probing Heaven.* Grand Rapids: Baker Book House, 1989.
Hendriksen, William. *The Bible on the Life Hereafter.* Grand Rapids, Baker Book House, 1959.

ADVANCED

I. REVELATION
Bruce, F. F. *The Foundation of Biblical Authority.* Edited by James M. Boice. Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1978.
-----. *Canon of Scripture.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1988.
Montgomery, John Warwick. *God's Inerrant Word.* Minneapolis: Bethany Fellowship, 1974.
Warfield, B. B. *The Inspiration and Authority of the Bible.* Grand Rapids: Baker Book House, 1964.

II. THE NATURE AND ATTRIBUTES OF GOD
Bavinck, Herman. *The Doctrine of God.* Translated by W. Hendricksen. Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1977.
Boice, James. *Foundations of the Christian Faith.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1986.
Charnock, Stephen. *The Existence and Attributes of God.* Grand Rapids: Baker Book House, 1979.
Clark, Gordon. *The Trinity.* (Trinity Papers: No. 8.) Jefferson: The Trinity Foundation, 1985.

III. THE WORKS AND DECREES OF GOD
Ames, William. *The Marrow of Theology.* Durham: The Labyrinth Press, Inc., 1983.
Bates, William. *Harmony of the Divine Attributes.* Harrisonburg: Sprinkle Publications, 1985.
Warfield, B. B. *Counterfeit Miracles.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth 1986.
Witsius, Herman. *The Economy of the Covenants between God and Man.* Distributed by Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1990.

IV. JESUS CHRIST
Morris, Leon. *The Apostolic Preaching of the Cross.* Grand Rapids. William B. Eerdmans Publishing Company, 1976.
-----. *The Cross of Jesus.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1988.
Owen, John. *The Death of Death in the Death of Christ.* Carlisle, Pa: Banner of Truth, 1989.
Smeaton, Gearge. *The Doctrine of the Atonement according to the Apostles..* Peabody: Hendrikson Publications, Inc., 1988.
Warfield, B. B. *The Person and Work of Christ.* Distributed by Grand Rapids: Baker Book House; publishing Company, 1950.

V. THE HOLY SPIRT
Kuyper, Abraham. *The Work of the Holy Spirit.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1956.
Owen, John. *The Holy Spirit, His Gifts & Power.* Melbourne: Kregel Publications, 1977.
Smeaton, Gearge. *The Doctrine of the Holy Spirit.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1988.

VI. HUMAN BEINGS AND THE FALL
Clark, Gordon H. *The Biblical Doctrine of Man.* Jefferson: The Trinity Foundation, 1984.
Cosgrove, Mark P. *The Essence of Human Nature.* Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1977.
Hoekema, Anthony. *Created in God's Image.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1986.
Machen, J. Gresham. *The Christian View of Man.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1984.

VII. SALVATION
Crampton, Kenneth, and Gary Talbot. *Calvinism, Hypercalvinism and Arminianism.* Lakeland: Whitefield Publishing, 1990.
Morris, Leon. *The Atonement.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1983.
Wallace, Ronald S. *The Atoning Death of Christ.* Wheaton, Ill.: Good News Publishers, 1981.

VIII. THE CHURCH AND SACRAMENTS
Bannerman, D. Douglas. *The Scripture Doctrine of the Church.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1955.
Marcel, Pierre. *The Biblical Doctrine of Infant Baptism.* Translated by James Clarke. London: James Clarke & Company, 1953.
McNair, Donald J. *The Challenge of Eldership: A Handbook for the Elders of the Church.* Philadelphia: Great Commission Publications, 1984.
Murray, John. *Christian Baptism.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1980.

IX. SPIRITUALITY AND LIVING IN THIS AGE
Burroughs, Jeremiah. *The Rare Jewel of Christian Contentment.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1979.
Edwards, Jonathan. *Charity and Its Fruits.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1978.
Owen, John. *The Grace and Duty of Being Spiritually Minded: Stated and Practically Improved.* Grand Rapids: Baker Book House, 1977.
Warfield, Benjamin B. *Perfectionism.* Grand Rapids: Baker Book House, 1981.

X. END TIMES
Hoekema, Anthony A. *The Bible and the Future.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1979.
Ridderbos, Herman. *The Coming of the Kingdom.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1962.
Vos, Geerhardus. *The Kingdom of God and the Church.* Phillipsburg: Presbyterian & Reformed Publishing Company, 1972.

CLASSIC THEOLOGY

Anselm of Canterbury. *Why God Became Man.* Edited by Jasper Hopkins and Herbert Richardson. Lewiston: Edwin Mellen Press, 1980.
-----. *The Virgin Conception and Original Sin.* (Anselm of Canterbury series, Vol. 3) Translated by Jasper Hopkins and Herbert Richardson. Lewiston: Edwin Mellen Press, 1976.
Aquinas, St. Thomas. *The Summa Contra Gentiles.* Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1975.
-----. *Summa Theologica.* Translated by the Dominican Fathers of the English Province. Westminster: Christian Classics Inc., 1981.
Augustine, St. *Confessions of St. Augustine.* Grand Rapids: Baker Book House, 1977.
-----. *City of God.* Edited by R. V. Tasker and translated by John Healey. Totowa: Biblio Distribution Center, 1973.
-----. *The Trinity.* (Fathers of the Church series, Vol. 45). Translated by Stephen McKenna. Baltimore: Catholic University of America Press, 1963.
Calvin, John. *Institutes of the Christian Religion.* Translated by Ford L. Battles. Grand Rapids: William b. Eerdmans Publishing Company, 1986.
Edwards, Jonathan. *Freedom of the Will.* Edited by Arnold S. Kaufman and William K. Frankena. New York: Irvington Publications, 1982.
-----. *Religious Affections: How Man Will Affect His Character before God.* Edited by James M. Houston. Portland, Oreg.: Multnomah Press, 1990.
-----. *Original Sin.* (Works of Jonathan Edwards series, Vol. 3) Edited by Clyde A. Holbrook. New Haven, Conn.: Yale University Press, 1970.
Hodge, A. A. *Outlines of Theology.* Carlisle, Pa.: Banner of Truth, 1983.
Hodge, Charles. *Systematic Theology.* Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1960.
Luther, Martin. *The Bondage of the Will.* Thranslated by J. I. Packer. Tarrytown: Fleming H. Revell Company, 1990.



حقائق وأساسيات
الإيمان المسيحي

هنا تبدأ رحلة كل من يتوق لحياة أعمق في الإيمان. هنا يقدم مؤلف هذا الكتاب مائة من الحقائق والعقائد اللاهوتية العميقة، بلغة واضحة وشرح مبسط. إنه يقدم للقارئ المفاهيم الأساسية للإيمان المسيحي التي تضرم فيه محبة خاصة لكل ما هو حق وأساس لحياة الإيمان المسيحي الناضج.

سيجد القارئ في هذا الكتاب شرحاً لاهوتياً للمفاهيم الكتابية التي يتحتم على كل مسيحي أن يعرفها، وهي مقدمة بطريقة مفهومة للجميع.

إن ما يقدمه المؤلف من أمثلة توضيحية عملية تتسم بالمعاصرة، تجعل هذا الكتاب مثيراً للاهتمام، ومفيداً، وسهل القراءة!
بقي على القارئ أن يقرأه.

تأليف: ر. ك. سبرو



